سلسلة تفسير القرآن
17

أبو القاسم الزّمخشري

الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل

الجزء الثّاني

ندقيق
أسعد جمعة

دار كيرانيس للطباعة والنشر والتوزيع
2024

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع

أبو القاسم الزّمخشري

الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل

الجزء الثّاني

سورة البقرة

سورة البقرة

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا
وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ﴾[2]: إِنْكَارٌ وَاسْتِبْعَادٌ لِأَنْ يَكُونَ فِي الْعُقَلَاءِ مَنْ يَرْغَبُ عَنِ الْحَقِّ الْوَاضِحِ الَّذِي هُوَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَ﴿مَنْ سَفِهَ﴾[3]: فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي يَرْغَبُ، وَصَحَّ الْبَدَلُ، لِأَنَّ مَنْ يَرْغَبُ غَيْرُ مُوجِبٍ، كَقَوْلِكَ: هَلْ جَاءَكَ أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ.

﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[4]: امْتَهَنَهَا وَاسْتَخَفَّ بِهَا، وَأَصْلُ السَّفَهِ: الْخِفَّةُ، وَمِنْهُ زِمَامٌ سَفِيهٌ، وَقِيلَ: انْتِصَابُ النَّفْسِ عَلَى التَّمْيِيزِ، نَحْوُ: غُبِنَ رَأْيُهُ وَأَلِمَ رَأْسُهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي شُذُوذِ تَعْرِيفِ الْمُمَيَّزِ نَحْوُ قَوْلِهِ:

وَلَا بِفَزَارَةَ الشُّعُرِ الرِّقَابَـــــا

*****

أَجَبِّ الظَّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنَـــامُ

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: سَفِهَ فِي نَفْسِهِ، فَحُذِفَ الْجَارُّ، كَقَوْلِهِمْ: زَيْدٌ ظَنِّي مُقِيمٌ، أَيْ فِي ظَنِّي، وَالْوَجْهُ هُوَ الْأَوَّلُ، وَكَفَى شَاهِدًا لَهُ بِمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "الْكِبْرُ أَنْ تُسَفِّهَ الْحَقَّ وَتَغْمِصَ النَّاسَ" وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا رَغِبَ عَمَّا لَا يَرْغَبُ عَنْهُ عَاقِلٌ قَطُّ فَقَدْ بَالَغَ فِي إِزَالَةِ نَفْسِهِ وَتَعْجِيزِهَا، حَيْثُ خَالَفَ بِهَا كُلَّ نَفْسٍ عَاقَّةٍ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ﴾[1]: بَيَانٌ لِخَطَأِ رَأْيِ مَنْ رَغِبَ عَنْ مِلَّتِهِ، لِأَنَّ مَنْ جَمَعَ الْكَرَامَةَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الدَّارَيْنِ بِأَنْ كَانَ صَفْوَتَهُ وَخِيرَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَكَانَ مَشْهُودًا لَهُ بِالِاسْتِقَامَةِ عَلَى الْخَيْرِ فِي الْآخِرَةِ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَوْلَى بِالرَّغْبَةِ فِي طَرِيقَتِهِ مِنْهُ.

﴿إِذْ قَالَ﴾[2]: ظَرْفٌ لِاصْطَفَيْنَاهُ، أَيِ: اخْتَرْنَاهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، أَوِ انْتُصِبَ بِإِضْمَارِ ﴿اذْكُرِ﴾[3]: اسْتِشْهَادًا عَلَى مَا ذُكِرَ مِنْ حَالِهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: اذْكُرْ ذَلِكَ الْوَقْتَ لِتَعْلَمَ أَنَّهُ الْمُصْطَفَى الصَّالِحُ الَّذِي لَا يُرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ مِثْلِهِ، وَمَعْنَى: (قَالَ لَهُ أَسْلِمْ) أَخْطَرَ بِبَالِكَ النَّظَرُ فِي الدَّلَائِلِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْمَعْرِفَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾[4]: أَيْ فَنَظَرَ وَعَرَفَ، وَقِيلَ: (أَسْلِمْ)، أَيْ: أَذْعِنْ وَأَطِعْ.

وَرُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ دَعَا ابْنَيْ أَخِيهِ سَلَمَةَ وَمُهَاجِرًا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُمَا: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: إِنِّي بَاعِثٌ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ نَبِيًّا اسْمُهُ أَحْمَدُ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَى وَرَشَدَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ، فَهُوَ مَلْعُونٌ، فَأَسْلَمَ سَلَمَةُ وَأَبَى مُهَاجِرٌ أَنْ يُسْلِمَ، فَنَزَلَتْ.

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[5]

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

قُرِئَ: (وَأَوْصَى)، وَهِيَ فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَالشَّامِ، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿بِهَا﴾[1]، لِقَوْلِهِ: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]، عَلَى تَأْوِيلِ الْكَلِمَةِ وَالْجُمْلَةِ، وَنَحْوُهُ رُجُوعُ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾[3] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلا الَّذِي فَطَرَنِي﴾[4].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾[5] دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ التَّأْنِيثَ عَلَى تَأْوِيلِ الْكَلِمَةِ، "وَيَعْقُوبُ": عَطْفٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، دَاخِلٌ فِي حُكْمِهِ، وَالْمَعْنَى: وَوَصَّى بِهَا يَعْقُوبُ بَنِيهِ أَيْضًا، وَقُرِئَ: (وَيَعْقُوبَ) بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى بَنِيهِ، وَمَعْنَاهُ: وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَنَافِلَتَهُ يَعْقُوبَ "يَا بَنِيَّ": عَلَى إِضْمَارِ الْقَوْلِ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ، وَعِنْدَ الْكُوفِيِّينَ يَتَعَلَّقُ بِوَصَّى، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْقَوْلِ.

وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْقَائِلِ:

رَجُلَانِ مِنْ ضَبَّةَ أَخْبَرَانَا إِنَّا رَأَيْنَا رَجُلًا عُرْيَانَا

بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ: فَهُوَ بِتَقْدِيرِ الْقَوْلِ عِنْدَنَا، وَعِنْدَهُمْ يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ الْإِخْبَارِ، وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ: (أَنْ يَا بَنِيَّ).

﴿اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾[6] أَعْطَاكُمُ الدِّينَ الَّذِي هُوَ صَفْوَةُ الْأَدْيَانِ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، وَوَفَّقَكُمْ لِلْأَخْذِ بِهِ.

﴿فَلا تَمُوتُنَّ﴾[7]، مَعْنَاهُ: فَلَا يَكُنْ مَوْتُكُمْ إِلَّا عَلَى حَالِ كَوْنِكُمْ ثَابِتِينَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَالنَّهْيُ فِي الْحَقِيقَةِ عَنْ كَوْنِهِمْ عَلَى خِلَافِ حَالِ الْإِسْلَامِ إِذَا مَاتُوا، كَقَوْلِكَ: لَا تُصَلِّ إِلَّا وَأَنْتَ خَاشِعٌ، فَلَا تَنْهَاهُ عَنِ الصَّلَاةِ، وَلَكِنْ عَنْ تَرْكِ الْخُشُوعِ فِي حَالِ صَلَاتِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَأَيُّ نُكْتَةٍ فِي إِدْخَالِ حَرْفِ النَّهْيِ عَلَى الصَّلَاةِ وَلَيْسَ بِمَنْهِيٍّ عَنْهَا؟

قُلْتُ: النُّكْتَةُ فِيهِ إِظْهَارُ أَنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي لَا خُشُوعَ فِيهَا كَ لَا صَلَاةٍ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَنْهَاكَ عَنْهَا إِذَا لَمْ تُصَلِّهَا عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الزُّخْرُف، الآية 28.

[4] سورة الزُّخْرُف، الآيتان 26–27.

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: "لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ"، فَإِنَّهُ كَالتَّصْرِيحِ بِقَوْلِكَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ: لَا تُصَلِّ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ، وَكَذَلِكَ الْمَعْنَى فِي الْآيَةِ إِظْهَارُ أَنَّ مَوْتَهُمْ لَا عَلَى حَالِ الثَّبَاتِ عَلَى الْإِسْلَامِ مَوْتٌ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِمَوْتِ السُّعَدَاءِ، وَأَنَّ مِنْ حَقِّ هَذَا الْمَوْتِ أَنْ لَا يَحِلَّ فِيهِمْ، وَتَقُولُ فِي الْأَمْرِ أَيْضًا-: مُتْ وَأَنْتَ شَهِيدٌ، وَلَيْسَ مُرَادُكَ الْأَمْرُ بِالْمَوْتِ، وَلَكِنْ بِالْكَوْنِ عَلَى صِفَةِ الشُّهَدَاءِ إِذَا مَاتَ، وَإِنَّمَا أَمَرْتَهُ بِالْمَوْتِ اعْتِدَادًا مِنْكَ بِمِيتَتِهِ، وَإِظْهَارًا لِفَضْلِهَا عَلَى غَيْرِهَا، وَأَنَّهَا حَقِيقَةٌ بِأَنْ يُحَثَّ عَلَيْهَا.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1]

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾[2]: هِيَ أَمِ الْمُنْقَطِعَةُ، وَمَعْنَى الْهَمْزَةِ فِيهَا الْإِنْكَارُ، وَالشُّهَدَاءُ جَمْعُ شَهِيدٍ، بِمَعْنَى الْحَاضِرِ، أَيْ: مَا كُنْتُمْ حَاضِرِينَ يَعْقُوبَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إِذْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ، أَيْ: حِينِ احْتُضِرَ، وَالْخِطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَعْنَى: مَا شَاهَدْتُمْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا حَصَلَ لَكُمُ الْعِلْمُ بِهِ مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، وَقِيلَ: الْخِطَابُ لِلْيَهُودِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: مَا مَاتَ نَبِيٌّ إِلَّا عَلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَوْ شَهِدُوهُ وَسَمِعُوا مَا قَالَهُ لِبَنِيهِ وَمَا قَالُوهُ لَظَهَرَ لَهُمْ حِرْصُهُ عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَلَمَا ادَّعَوْا عَلَيْهِ الْيَهُودِيَّةَ، فَالْآيَةُ مُنَافِيَةٌ لِقَوْلِهِمْ؛ فَكَيْفَ يُقَالُ لَهُمْ: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾[3]؟ وَلَكِنَّ الْوَجْهَ أَنْ تَكُونَ أَمْ مُتَّصِلَةً عَلَى أَنْ يُقَدَّرَ قَبْلَهَا مَحْذُوفٌ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَتَدَّعُونَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الْيَهُودِيَّةَ؟ ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾[4]، يَعْنِي أَنَّ

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

أَوَائِلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا مُشَاهِدِينَ لَهُ إِذْ أَرَادَ بَنِيهِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَمِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ، فَمَا لَكُمْ تَدَّعُونَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ مَا هُمْ مِنْهُ بَرَاءٌ؟

وَقُرِئَ (حَضِرَ) بِكَسْرِ الضَّادِ، وَهِيَ لُغَةٌ.

﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾[1]: أَيَّ شَيْءٍ تَعْبُدُونَ؟ وَ﴿مَا﴾[2]: عَامٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا عُلِمَ فُرِّقَ بِمَا وَمَنْ، وَكَفَاكَ دَلِيلًا قَوْلُ الْعُلَمَاءِ: ﴿مَنْ لِمَا يَعْقِلُ﴾[3]، وَلَوْ قِيلَ: مَنْ تَعْبُدُونَ لَمْ يَعُمَّ إِلَّا أُولِي الْعِلْمِ وَحْدَهُمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾[4]: سُؤَالٌ عَنْ صِفَةِ الْمَعْبُودِ، كَمَا تَقُولُ: مَا زَيْدٌ؟ تُرِيدُ: أَفَقِيهٌ أَمْ طَبِيبٌ أَمْ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ؟

وَ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾[5]: عَطْفُ بَيَانٍ لِآبَائِكَ، وَجُعِلَ إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ عَمُّهُ مِنْ جُمْلَةِ آبَائِهِ، لِأَنَّ الْعَمَّ أَبٌ وَالْخَالَةُ أُمٌّ، لِانْخِرَاطِهِمَا فِي سِلْكٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْأُخُوَّةُ لَا تَفَاوُتَ بَيْنَهُمَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: "عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ"، أَيْ: لَا تَفَاوُتَ بَيْنَهُمَا كَمَا لَا تَفَاوُتَ بَيْنَ صِنْوَيِ النَّخْلَةِ.

وَقَالَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– فِي الْعَبَّاسِ: "هَذَا بَقِيَّةُ آبَائِي"، وَقَالَ: "رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَفْعَلَ بِهِ قُرَيْشٌ مَا فَعَلَتْ ثَقِيفٌ بِعُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ".

وَقَرَأَ أُبَيٌّ: (وَإِلَهَ إِبْرَاهِيمَ) بِطَرْحِ آبَائِكَ، وَقُرِئَ: (أَبِيكَ)، وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا وَإِبْرَاهِيمُ وَحْدَهُ عَطْفَ بَيَانٍ لَهُ، وَأَنْ يَكُونَ جَمْعًا بِالْوَاوِ وَالنُّونِ، قَالَ:

وَفَدَّيْنَنَا بِالْأَبِينَـــا

﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾[6] بَدَلٌ مِنْ إِلَهِ آبَائِكَ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ﴾[7] أَوْ عَلَى الِاخْتِصَاصِ، أَيْ نُرِيدُ بِإِلَهِ آبَائِكَ إِلَهًا وَاحِدًا.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[7] سورة الْعَلَق، الآيتان 15–16.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1]: حَالٌ مِنْ فَاعِلِ نَعْبُدُ، أَوْ مِنْ مَفْعُولِهِ؛ لِرُجُوعِ الْهَاءِ إِلَيْهِ فِي لَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةً مَعْطُوفَةً عَلَى نَعْبُدُ، وَأَنْ تَكُونَ جُمْلَةً اعْتِرَاضِيَّةً مُؤَكِّدَةً، أَيْ وَمِنْ حَالِنَا أَنَّا لَهُ مُسْلِمُونَ مُخْلِصُونَ التَّوْحِيدَ، أَوْ مُذْعِنُونَ.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ
وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]

﴿تِلْكَ﴾[3]: إِشَارَةٌ إِلَى الْأُمَّةِ الْمَذْكُورَةِ الَّتِي هِيَ إِبْرَاهِيمُ وَيَعْقُوبُ وَبَنُوهُمَا الْمُوَحِّدُونَ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ أَحَدًا لَا يَنْفَعُهُ كَسْبُ غَيْرِهِ مُتَقَدِّمًا كَانَ أَوْ مُتَأَخِّرًا، فَكَمَا أَنَّ أُولَئِكَ لَا يَنْفَعُهُمْ إِلَّا مَا اكْتَسَبُوا فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ لَا يَنْفَعُكُمْ إِلَّا مَا اكْتَسَبْتُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمُ افْتَخَرُوا بِأَوَائِلِهِمْ، وَنَحْوُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "يَا بَنِي هَاشِمٍ لَا يَأْتِينِّي النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ وَتَأْتُونِي بِأَنْسَابِكُمْ".

﴿وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4]: وَلَا تُؤَاخَذُونَ بِسَيِّئَاتِهِمْ كَمَا لَا تَنْفَعُكُمْ حَسَنَاتُهُمْ.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[5]

﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾[6]: بَلْ تَكُونُ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، أَيْ أَهْلَ مِلَّتِهِ كَقَوْلِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: "إِنِّي مِنْ دِينٍ"، يُرِيدُ مِنْ أَهْلِ دِينٍ، وَقِيلَ: بَلْ نَتَّبِعُ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ.

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
3 سورة الْبَقَرَةِ ، الآية .
4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَقُرِئَ: (مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ) بِالرَّفْعِ، أَيْ: مِلَّتُهُ مِلَّتُنَا، أَوْ أَمْرُنَا مِلَّتُهُ، أَوْ نَحْنُ مِلَّتُهُ بِمَعْنَى أَهْلِ مِلَّتِهِ.

وَ﴿حَنِيفًا﴾[1]: حَالٌ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، كَقَوْلِكَ: رَأَيْتُ وَجْهَ هِنْدٍ قَائِمَةً، وَالْحَنِيفُ: الْمَائِلُ عَنْ كُلِّ دِينٍ بَاطِلٍ إِلَى دِينِ الْحَقِّ، وَالْحَنَفُ: الْمَيْلُ فِي الْقَدَمَيْنِ، وَتَحَنَّفَ إِذَا مَالَ، وَأَنْشَدَ:

وَلَكِنَّا خُلِقْنَا إِذْ خُلِقْنَا حَنِيفًا دِينُنَا عَنْ كُلِّ دِينِ

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]: تَعْرِيضٌ بِأَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ يَدَّعِي اتِّبَاعَ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ عَلَى الشِّرْكِ.

﴿قُولُوا﴾[3] خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خِطَابًا لِلْكَافِرِينَ، أَيْ: قُولُوا لِتَكُونُوا عَلَى الْحَقِّ، وَإِلَّا فَأَنْتُمْ عَلَى الْبَاطِلِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾[4] يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى: بَلِ اتَّبِعُوا أَنْتُمْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، أَوْ كُونُوا أَهْلَ مِلَّتِهِ.

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[5]

وَالسِّبْطُ: الْحَافِدُ، وَكَانَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سِبْطَيْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ﴿وَالْأَسْبَاطُ﴾[6]: حَفَدَةُ يَعْقُوبَ ذَرَارِيُّ أَبْنَائِهِ الِاثْنَيْ عَشَرَ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾[1]: لَا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ، كَمَا فَعَلَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.

وَ﴿أَحَدٍ﴾[2] فِي مَعْنَى الْجَمَاعَةِ؛ وَلِذَلِكَ صَحَّ دُخُولُ ﴿بَيْنَ﴾[3] عَلَيْهِ.

﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾[4]: مِنْ بَابِ التَّبْكِيتِ، لِأَنَّ دِينَ الْحَقِّ وَاحِدٌ لَا مِثْلَ لَهُ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[5].

فَلَا يُوجَدُ إِذًا دِينٌ آخَرُ يُمَاثِلُ دِينَ الْإِسْلَامِ فِي كَوْنِهِ حَقًّا، حَتَّى إِنْ آمَنُوا بِذَلِكَ الدِّينِ الْمُمَاثِلِ لَهُ كَانُوا مُهْتَدِينَ، فَقِيلَ: فَإِنْ آمَنُوا بِكَلِمَةِ الشَّكِّ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ، أَيْ: فَإِنْ حَصَّلُوا دِينًا آخَرَ مِثْلَ دِينِكُمْ مُسَاوِيًا لَهُ فِي الصِّحَّةِ وَالسَّدَادِ فَقَدِ اهْتَدَوْا، وَفِيهِ أَنَّ دِينَهُمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ وَكُلَّ دِينٍ سِوَاهُ مُغَايِرٌ لَهُ غَيْرُ مُمَاثِلٍ، لِأَنَّهُ حَقٌّ وَهُدًى وَمَا سِوَاهُ بَاطِلٌ وَضَلَالٌ.

وَنَحْوُ هَذَا قَوْلُكَ لِلرَّجُلِ الَّذِي تُشِيرُ عَلَيْهِ: هَذَا هُوَ الرَّأْيُ الصَّوَابُ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ رَأْيٌ أَصْوَبُ مِنْهُ فَاعْمَلْ بِهِ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنْ لَا أَصْوَبَ مِنْ رَأْيِكَ، وَلَكِنَّكَ تُرِيدُ تَبْكِيتَ صَاحِبِكَ، وَتَوْقِيفَهُ عَلَى أَنَّ مَا رَأَيْتَ لَا رَأْيَ وَرَاءَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ لَا تَكُونَ الْبَاءُ صِلَةً وَتَكُونَ بَاءَ الِاسْتِعَانَةِ، كَقَوْلِكَ: كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ، وَعَمِلْتُ بِالْقَدُومِ أَيْ: فَإِنْ دَخَلُوا فِي الْإِيمَانِ بِشَهَادَةٍ مِثْلِ شَهَادَتِكُمُ الَّتِي آمَنْتُمْ بِهَا.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ: (بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ) وَقَرَأَ أُبَيٌّ: (بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ).

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾[6]: عَمَّا تَقُولُونَ لَهُمْ وَلَمْ يُنْصِفُوا فَمَا هُمْ إِلَّا ﴿فِي شِقَاقٍ﴾[7]، أَيْ فِي مُنَاوَأَةٍ وَمُعَانَدَةٍ لَا غَيْرُ، وَلَيْسُوا مِنْ طَلَبِ الْحَقِّ فِي شَيْءٍ. أَوْ: وَإِنْ تَوَلَّوْا عَنِ الشَّهَادَةِ وَالدُّخُولِ فِي الْإِيمَانِ بِهَا.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة آلِ عِمْرَانَ، الآية 85.

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾[1]: ضَمَانٌ مِنَ اللَّهِ لِإِظْهَارِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَيْهِمْ، وَقَدْ أَنْجَزَ وَعْدَهُ بِقَتْلِ قُرَيْظَةَ وَسَبْيِهِمْ وَإِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ؛ وَمَعْنَى السِّينِ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، وَإِنْ تَأَخَّرَ إِلَى حِينٍ.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2]: وَعِيدٌ لَهُمْ، أَيْ يَسْمَعُ مَا يَنْطِقُونَ بِهِ، وَيَعْلَمُ مَا يُضْمِرُونَ مِنَ الْحَسَدِ وَالْغِلِّ، وَهُوَ مُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ، أَوْ وَعْدٌ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِمَعْنَى: يَسْمَعُ مَا تَدْعُو بِهِ وَيَعْلَمُ نِيَّتَكَ وَمَا تُرِيدُهُ مِنْ إِظْهَارِ دِينِ الْحَقِّ، وَهُوَ مُسْتَجِيبٌ لَكَ وَمُوصِلُكَ إِلَى مُرَادِكَ.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[3]

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾[4]: مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ مُنْتَصِبٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾[5]، كَمَا انْتَصَبَ (وَعْد اللَّهِ): عَمَّا تَقَدَّمَهُ، وَهِيَ (فِعْلَةٌ) مِنْ صَبَغَ، كَالْجِلْسَةِ مِنْ جَلَسَ، وَهِيَ الْحَالَةُ الَّتِي يَقَعُ عَلَيْهَا الصَّبْغُ وَالْمَعْنَى: تَطْهِيرُ اللَّهِ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ يُطَهِّرُ النُّفُوسَ، وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا يَغْمِسُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي مَاءٍ أَصْفَرَ يُسَمُّونَهُ الْمَعْمُودِيَّةَ، وَيَقُولُونَ: هُوَ تَطْهِيرٌ لَهُمْ.

وَإِذَا فَعَلَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِوَلَدِهِ ذَلِكَ قَالَ: الْآنَ صَارَ نَصْرَانِيًّا حَقًّا فَأُمِرَ الْمُسْلِمُونَ بِأَنْ يَقُولُوا لَهُمْ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾[6]؛ وَصَبَغَنَا اللَّهُ بِالْإِيمَانِ صِبْغَةً لَا مِثْلَ صِبْغَتِنَا، وَطَهَّرَنَا بِهِ تَطْهِيرًا لَا مِثْلَ تَطْهِيرِنَا، أَوْ يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ، صَبَغَنَا اللَّهُ بِالْإِيمَانِ صِبْغَتَهُ وَلَمْ نُصْبَغْ صِبْغَتَكُمْ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَإِنَّمَا جِيءَ بِلَفْظِ الصِّبْغَةِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُشَاكَلَةِ، كَمَا تَقُولُ لِمَنْ يَغْرِسُ الْأَشْجَارَ: اغْرِسْ كَمَا يَغْرِسُ فُلَانٍ، تُرِيدُ رَجُلًا يَصْطَنِعُ الْكَرَمَ.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾[1]: يَعْنِي أَنَّهُ يَصْبُغُ عِبَادَهُ بِالْإِيمَانِ، وَيُطَهِّرُهُمْ بِهِ مِنْ أَوْضَارِ الْكُفْرِ فَلَا صِبْغَةَ أَحْسَنُ مِنْ صِبْغَتِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[2]: عَطْفٌ عَلَى ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾[3].

وَهَذَا الْعَطْفُ يَرُدُّ قَوْلَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾[4] بَدَلٌ مِنْ ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾[5] أَوْ نَصْبٌ عَلَى الْإِغْرَاءِ بِمَعْنَى: عَلَيْكُمْ صِبْغَةَ اللَّهِ، لِمَا فِيهِ مِنْ فَكِّ النَّظْمِ وَإِخْرَاجِ الْكَلَامِ عَنِ الْتِئَامِهِ وَاتِّسَاقِهِ، وَانْتِصَابُهَا عَلَى أَنَّهَا مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ سِيبَوَيْهِ، وَالْقَوْلُ مَا قَالَتْ حَذَامِ.

﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[6]

قَرَأَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ (أَتُحَاجُّونَا): بِإِدْغَامِ النُّونِ.

وَالْمَعْنَى: أَتُجَادِلُونَنَا فِي شَأْنِ اللَّهِ وَاصْطِفَائِهِ النَّبِيَّ مِنَ الْعَرَبِ دُونَكُمْ: وَتَقُولُونَ: لَوْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ لَأَنْزَلَ عَلَيْنَا، وَتَرَوْنَكُمْ أَحَقَّ بِالنُّبُوَّةِ مِنَّا.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾[1]: نَشْتَرِكُ جَمِيعًا فِي أَنَّنَا عِبَادُهُ، وَهُوَ رَبُّنَا، وَهُوَ يُصِيبُ بِرَحْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، هُمْ فَوْضَى فِي ذَلِكَ لَا يَخْتَصُّ بِهِ عَجَمِيٌّ دُونَ عَرَبِيٍّ إِذَا كَانَ أَهْلًا لِلْكَرَامَةِ .

﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾[2]، يَعْنِي: أَنَّ الْعَمَلَ هُوَ أَسَاسُ الْأَمْرِ وَبِهِ الْعِبْرَةُ، وَكَمَا أَنَّ لَكُمْ أَعْمَالًا يَعْتَبِرُهَا اللَّهُ فِي إِعْطَاءِ الْكَرَامَةِ وَمَنْعِهَا فَنَحْنُ كَذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾[3]، فَجَاءَ بِمَا هُوَ سَبَبُ الْكَرَامَةِ، أَيْ وَنَحْنُ لَهُ مُوَحِّدُونَ نُخْلِصُهُ بِالْإِيمَانِ فَلَا تَسْتَبْعِدُوا أَنْ يُؤَهِّلَ أَهْلَ إِخْلَاصِهِ لِكَرَامَتِهِ بِالنُّبُوَّةِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ أَحَقُّ بِأَنْ تَكُونَ النُّبُوَّةُ فِينَا، لِأَنَّا أَهْلُ كِتَابٍ وَالْعَرَبَ عَبْدَةُ أَوْثَانٍ.

﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾[4]: يُحْتَمَلُ فِيمَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ أَنْ تَكُونَ أَمْ مُعَادِلَةً لِلْهَمْزَةِ فِي ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾[5]: بِمَعْنَى أَيُّ الْأَمْرَيْنِ تَأْتُونَ، الْمُحَاجَّةُ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ أَمِ ادِّعَاءُ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ؟

وَالْمُرَادُ بِالِاسْتِفْهَامِ عَنْهُمَا إِنْكَارُهُمَا مَعًا، وَأَنْ تَكُونَ مُنْقَطِعَةً بِمَعْنَى: بَلْ أَتَقُولُونَ، وَالْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ أَيْضًا، وَفِيمَنْ قَرَأَ بِالْيَاءِ لَا تَكُونُ إِلَّا مُنْقَطِعَةً.

﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾[6]، يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ شَهِدَ لَهُمْ بِمِلَّةِ الْإِسْلَامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾[7].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾[8]، أَيْ: كَتَمَ شَهَادَةَ اللَّهِ الَّتِي عِنْدَهُ أَنَّهُ شَهِدَ بِهَا وَهِيَ شَهَادَتُهُ لِإِبْرَاهِيمَ بِالْحَنِيفِيَّةِ.

وَيَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ:

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة آلِ عِمْرَانَ، الآية 67.

[8] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

– أَحَدُهُمَا: أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَا أَحَدَ أَظْلَمُ مِنْهُمْ، لِأَنَّهُمْ كَتَمُوا هَذِهِ الشَّهَادَةَ وَهُمْ عَالِمُونَ بِهَا.

– وَالثَّانِي: أَنَّا لَوْ كَتَمْنَا هَذِهِ الشَّهَادَةَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَظْلَمَ مِنَّا فَلَا نَكْتُمُهَا، وَفِيهِ تَعْرِيضٌ بِكِتْمَانِهِمْ شَهَادَةَ اللَّهِ لِمُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِالنُّبُوَّةِ فِي كُتُبِهِمْ وَسَائِرَ شَهَادَاتِهِ.

(وَمِنْ) فِي قَوْلِهِ: ﴿شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾[1]، مِثْلُهَا فِي قَوْلِكَ: هَذِهِ شَهَادَةٌ مِنِّي لِفُلَانٍ إِذَا شَهِدْتَ لَهُ، وَمِثْلُهُ: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[2].

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مِنَ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3]

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾[4]: الْخِفَافُ الْأَحْلَامِ، وَهُمُ الْيَهُودُ، لِكَرَاهَتِهِمُ التَّوَجُّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ وَأَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ النَّسْخَ، وَقِيلَ: الْمُنَافِقُونَ، لِحِرْصِهِمْ عَلَى الطَّعْنِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، وَقِيلَ: الْمُشْرِكُونَ، قَالُوا: رَغِبَ عَنْ قِبْلَةِ آبَائِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا، وَاللَّهِ لَيَرْجِعَنَّ إِلَى دِينِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَائِدَةٍ فِي الْإِخْبَارِ بِقَوْلِهِمْ قَبْلَ وُقُوعِهِ؟

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة التَّوْبَةِ، الآية 1.

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

قُلْتُ: فَائِدَتُهُ أَنَّ مُفَاجَأَةَ الْمَكْرُوهِ أَشَدُّ، وَالْعِلْمَ بِهِ قَبْلَ وُقُوعِهِ أَبْعَدُ مِنَ الِاضْطِرَابِ إِذَا وَقَعَ؛ لِمَا يَتَقَدَّمُهُ مِنْ تَوْطِينِ النَّفْسِ، وَأَنَّ الْجَوَابَ الْعَتِيدَ قَبْلَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ أَقْطَعُ لِلْخَصْمِ وَأَرَدُّ لِشَغَبِهِ، وَقَبْلَ الرَّمْيِ يُرَاشُ السَّهْمُ.

﴿مَا وَلاهُمْ﴾[1]: مَا صَرَفَهُمْ ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ﴾[2]، وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ.

﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾[3]، أَيْ بِلَادُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَرْضُ كُلُّهَا.

﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[4]: مِنْ أَهْلِهَا ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[5]: وَهُوَ مَا تُوجِبُهُ الْحِكْمَةُ وَالْمَصْلَحَةُ، مِنْ تَوْجِيهِهِمْ تَارَةً إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأُخْرَى إِلَى الْكَعْبَةِ.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ﴾[6]، وَمِثْلَ ذَلِكَ الْجَعْلِ الْعَجِيبِ جَعَلْنَاكُمْ: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾[7] خِيَارًا، وَهِيَ صِفَةٌ بِالِاسْمِ الَّذِي هُوَ وَسَطُ الشَّيْءِ، وَلِذَلِكَ اسْتَوَى فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ وَالْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ؛ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– "وَأَنْطُوا الثَّبَجَةَ" يُرِيدُ الْوَسِيطَةَ بَيْنَ السَّمِينَةِ وَالْعَجْفَاءِ وَصْفًا بِالثَّبَجِ، وَهُوَ: وَسَطُ الظَّهْرِ، إِلَّا أَنَّهُ أُلْحِقَ تَاءَ التَّأْنِيثِ؛ مُرَاعَاةً لِحَقِّ الْوَصْفِ، وَقِيلَ: لِلْخِيَارِ وَسَطٌ؛ لِأَنَّ الْأَطْرَافَ يَتَسَارَعُ إِلَيْهَا الْخَلَلُ، وَالْأَعْوَارُ وَالْأَوْسَاطُ مَحْمِيَّةٌ مُحَوَّطَةٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ الطَّائِيِّ:

كَانَتْ هِيَ الْوَسَطَ الْمَحْمِيَّ فَاكْتَنَفَتْ بِهَا الْحَوَادِثُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرَفًا

وَقَدِ اكْتَرَيْتُ بِمَكَّةَ جَمَلَ أَعْرَابِيٍّ لِلْحَجِّ فَقَالَ: أَعْطِنِي مِنْ سِطَاتِهِنْهِ، أَرَادَ مِنْ خِيَارِ الدَّنَانِيرِ، أَوْ عُدُولًا، لِأَنَّ الْوَسَطَ عَدْلٌ بَيْنَ الْأَطْرَافِ لَيْسَ إِلَى بَعْضِهَا أَقْرَبَ مِنْ بَعْضٍ.

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[8]، رُوِيَ: "أَنَّ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجْحَدُونَ تَبْلِيغَ الْأَنْبِيَاءِ، فَيُطَالِبُ اللَّهُ الْأَنْبِيَاءَ بِالْبَيِّنَةِ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيُؤْتَى بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
8 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيَشْهَدُونَ، فَتَقُولُ الْأُمَمُ: مِنْ أَيْنَ عَرَفْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: عَلِمْنَا ذَلِكَ بِإِخْبَارِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ النَّاطِقِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الصَّادِقِ، فَيُؤْتَى بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيُسْأَلُ عَنْ حَالِ أُمَّتِهِ، فَيُزَكِّيهِمْ وَيَشْهَدُ بِعَدَالَتِهِمْ". وَذَلِكَ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[1].

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا قِيلَ لَكُمْ شَهِيدًا وَشَهَادَتُهُ لَهُمْ لَا عَلَيْهِمْ؟

قُلْتُ: لَمَّا كَانَ الشَّهِيدُ كَالرَّقِيبِ وَالْمُهَيْمِنِ عَلَى الْمَشْهُودِ لَهُ جِيءَ بِكَلِمَةِ الِاسْتِعْلَاءِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[2]، ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3]، وَقِيلَ: لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فِي الدُّنْيَا فِيمَا لَا يَصِحُّ إِلَّا بِشَهَادَةِ الْعُدُولِ الْأَخْيَارِ.

﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[4]: يُزَكِّيكُمْ وَيَعْلَمُ بِعَدَالَتِكُمْ .

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ أُخِّرَتْ صِلَةُ الشَّهَادَةِ أَوَّلًا وَقُدِّمَتْ آخِرًا.

قُلْتُ: لِأَنَّ الْغَرَضَ فِي الْأَوَّلِ إِثْبَاتُ شَهَادَتِهِمْ عَلَى الْأُمَمِ، وَفِي الْآخِرِ اخْتِصَاصُهُمْ بِكَوْنِ الرَّسُولِ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ ﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾[5]، لَيْسَتْ بِصِفَةٍ لِلْقِبْلَةِ إِنَّمَا هِيَ ثَانِي مَفْعُولَيْ جَعَلَ، يُرِيدُ: وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الْجِهَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا وَهِيَ الْكَعْبَةُ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يُصَلِّي بِمَكَّةَ إِلَى الْكَعْبَةِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالصَّلَاةِ إِلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ تَأَلُّفًا لِلْيَهُودِ، ثُمَّ حُوِّلَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَيَقُولُ: وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَسْتَقْبِلَهَا الْجِهَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا أَوَّلًا بِمَكَّةَ، يَعْنِي: وَمَا رَدَدْنَاكَ إِلَيْهَا إِلَّا امْتِحَانًا لِلنَّاسِ وَابْتِلَاءً، ﴿لِنَعْلَمَ﴾[6]: الثَّابِتَ عَلَى الْإِسْلَامِ الصَّادِقَ فِيهِ مِمَّنْ هُوَ عَلَى حَرْفٍ يَنْكُصُ ﴿عَلَى عَقِبَيْهِ﴾[7] لِقَلَقِهِ فَيَرْتَدُّ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[8].

---

[1] سورة النِّسَاءِ، الآية 41.

[2] سورة الْبُرُوجِ، الآية 9.

[3] سورة الْمَائِدَةِ، الآية 117.

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَيَانًا لِلْحِكْمَةِ فِي جَعْلِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قِبْلَتَهُ، يَعْنِي أَنَّ أَصْلَ أَمْرِكَ أَنْ تَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ، وَأَنَّ اسْتِقْبَالَكَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ كَانَ أَمْرًا عَارِضًا لِغَرَضٍ.

وَإِنَّمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الْجِهَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا قَبْلَ وَقْتِكَ هَذَا –وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ– لِنَمْتَحِنَ النَّاسَ وَنَنْظُرَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِنْهُمْ وَمَنْ لَا يَتَّبِعُهُ وَيَنْفِرُ عَنْهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "كَانَتْ قِبْلَتُهُ بِمَكَّةَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَجْعَلُ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ".

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قَالَ: ﴿لِنَعْلَمَ﴾[1]: وَلَمْ يَزَلْ عَالِمًا بِذَلِكَ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: لِنَعْلَمَهُ عِلْمًا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْجَزَاءُ، وَهُوَ أَنْ يَعْلَمَهُ مَوْجُودًا حَاصِلًا، وَنَحْوُهُ: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[2]، وَقِيلَ: لِيَعْلَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ.

وَإِنَّمَا أُسْنِدَ عِلْمُهُمْ إِلَى ذَاتِهِ، لِأَنَّهُمْ خَوَاصُّهُ وَأَهْلُ الزُّلْفَى عِنْدَهُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لِنُمَيِّزَ التَّابِعَ مِنَ النَّاكِصِ، كَمَا قَالَ: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[3]، فَوُضِعَ الْعِلْمُ مَوْضِعَ التَّمْيِيزِ، لِأَنَّ الْعِلْمَ بِهِ يَقَعُ التَّمْيِيزُ بِهِ.

﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾[4]، هِيَ إِنِ الْمُخَفَّفَةُ الَّتِي تَلْزَمُهَا اللَّامُ الْفَارِقَةُ، وَالضَّمِيرُ فِي: ﴿كَانَتْ﴾[5]: لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾[6] مِنَ الرِّدَّةِ، أَوِ التَّحْوِيلَةِ، أَوِ الْجَعْلَةِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْقِبْلَةِ، ﴿لَكَبِيرَةً﴾[7]: لَثَقِيلَةً شَاقَّةً، ﴿إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾[8]: إِلَّا عَلَى الثَّابِتِينَ الصَّادِقِينَ فِي اتِّبَاعِ الرَّسُولِ الَّذِينَ لَطَفَ اللَّهُ بِهِمْ وَكَانُوا أَهْلًا لِلُطْفِهِ.

---

[8] سورة الْمُدَّثِّر، الآية 31.

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 142.

[3] سورة الْأَنْفَال، الآية 37.

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[8] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[1]، أَيْ: ثَبَاتَكُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، وَأَنَّكُمْ لَمْ تَزِلُّوا وَلَمْ تَرْتَابُوا، بَلْ شَكَرَ صَنِيعَكُمْ وَأَعَدَّ لَكُمُ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَتْرُكَ تَحْوِيلَكُمْ لِعِلْمِهِ أَنَّ تَرْكَهُ مَفْسَدَةٌ وَإِضَاعَةٌ لِإِيمَانِكُمْ، وَقِيلَ: مَنْ كَانَ صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ التَّحْوِيلِ فَصَلَاتُهُ غَيْرُ ضَائِعَةٍ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :–لَمَّا وَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْكَعْبَةِ قَالُوا: كَيْفَ بِمَنْ مَاتَ قَبْلَ التَّحْوِيلِ مِنْ إِخْوَانِنَا، فَنَزَلَتْ: ﴿لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2]: لَا يُضِيعُ أُجُورَهُمْ، وَلَا يَتْرُكُ مَا يُصْلِحُهُمْ.

وَيُحْكَى عَنِ الْحَجَّاجِ أَنَّهُ قَالَ لِلْحَسَنِ: مَا رَأْيُكَ فِي أَبِي تُرَابٍ، فَقَرَأَ قَوْلَهُ: ﴿إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾[3]، ثُمَّ قَالَ: وَعَلِيٌّ مِنْهُمْ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَخَتَنُهُ عَلَى ابْنَتِهِ، وَأَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَأَحَبُّهُمْ .

وَقُرِئَ: (إِلَّا لِيُعْلَمَ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، وَمَعْنَى الْعِلْمِ: الْمَعْرِفَةُ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ﴿مِنْ﴾[4] مُتَضَمِّنَةً لِمَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ مُعَلَّقًا عَنْهَا الْعِلْمُ، كَقَوْلِكَ: عَلِمْتُ أَزَيْدٌ فِي الدَّارِ أَمْ عَمْرٌو، وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ (عَلَى عَقْبَيْهِ) بِسُكُونِ الْقَافِ، وَقَرَأَ الْيَزِيدِيُّ (لَكَبِيرَةٌ) بِالرَّفْعِ، وَوَجْهُهَا أَنْ تَكُونَ "كَانَ" مَزِيدَةً، كَمَا فِي قَوْلِهِ:

وَجِيرَانٍ لَنَا – كَانُوا – كِرَامِ

وَالْأَصْلُ: وَإِنْ هِيَ لَكَبِيرَةٌ، كَقَوْلِكَ: إِنْ زَيْدٌ لَمُنْطَلِقٌ ثَمَّ، وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةٌ وَقُرِئَ: (لِيُضَيِّعَ) بِالتَّشْدِيدِ.

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]

﴿قَدْ نَرَى﴾[2]: رُبَّمَا نَرَى، وَمَعْنَاهُ: كَثْرَةُ الرُّؤْيَةِ كَقَوْلِهِ:

قَدْ أَتْرُكُ الْقِرْنَ مُصْفَرًّا أَنَامِلُـــهُ

﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾[3]: تَرَدُّدَ وَجْهِكَ وَتَصَرُّفَ نَظَرِكَ فِي جِهَةِ السَّمَاءِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَتَوَقَّعُ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُحَوِّلَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ، لِأَنَّهَا قِبْلَةُ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَدْعَى لِلْعَرَبِ إِلَى الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّهَا مَفْخَرَتُهُمْ وَمَزَارُهُمْ وَمَطَافُهُمْ، وَلِمُخَالَفَةِ الْيَهُودِ فَكَانَ يُرَاعِي نُزُولَ جِبْرِيلَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– وَالْوَحْيِ بِالتَّحْوِيلِ.

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾[4]: فَلَنُعْطِيَنَّكَ وَلَنُمَكِّنَنَّكَ مِن اسْتِقْبَالِهَا، مِنْ قَوْلِكَ: وَلَّيْتُهُ كَذَا إِذَا جَعَلْتَهُ وَالِيًا لَهُ، أَوْ فَلَنَجْعَلَنَّكَ تَلِي سَمْتَهَا دُونَ سَمْتِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

﴿تَرْضَاهَا﴾[5]: تُحِبُّهَا وَتَمِيلُ إِلَيْهَا لِأَغْرَاضِكَ الصَّحِيحَةِ الَّتِي أَضْمَرْتَهَا وَوَافَقَتْ مَشِيئَةَ اللَّهِ وَحِكْمَتَهُ.

﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[6] نَحْوَهُ، قَالَ:

وَأَظْعَنُ بِالْقَوْمِ شَطْرَ الْمَلْوِ كِ .....

وَقَرَأَ أُبَيٌّ: (تِلْقَاءَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –الْمَدِينَةَ، فَصَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ وُجِّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ؛ وَقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ فِي رَجَبٍ بَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ قَبْلَ قِتَالِ بَدْرٍ بِشَهْرَيْنِ، وَرَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي مَسْجِدِ بَنِي

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

سَلِمَةَ، وَقَدْ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَكْعَتَيْنِ مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ، فَتَحَوَّلَ فِي الصَّلَاةِ وَاسْتَقْبَلَ الْمِيزَابَ، وَحَوَّلَ الرِّجَالُ مَكَانَ النِّسَاءِ، وَالنِّسَاءُ مَكَانَ الرِّجَالِ، فَسُمِّيَ الْمَسْجِدُ مَسْجِدَ الْقِبْلَتَيْنِ.

وَ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ﴾[1]: نُصِبَ عَلَى الظَّرْفِ، أَيِ اجْعَلْ تَوْلِيَةَ الْوَجْهِ تِلْقَاءَ الْمَسْجِدِ، أَيْ فِي جِهَتِهِ وَسَمْتِهِ، لِأَنَّ اسْتِقْبَالَ عَيْنِ الْقِبْلَةِ فِيهِ حَرَجٌ عَظِيمٌ عَلَى الْبَعِيدِ، وَذِكْرُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ دُونَ الْكَعْبَةِ دَلِيلٌ فِي أَنَّ الْوَاجِبَ مُرَاعَاةُ الْجِهَةِ دُونَ الْعَيْنِ.

﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[2]: أَنَّ التَّحْوِيلَ إِلَى الْكَعْبَةِ هُوَ الْحَقُّ، لِأَنَّهُ كَانَ فِي بِشَارَةِ أَنْبِيَائِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُ يُصَلِّي إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ، "يَعْمَلُونَ" قُرِئَ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ.

﴿مَا تَبِعُوا﴾[3]: جَوَابُ الْقَسَمِ الْمَحْذُوفِ سَدَّ مَسَدَّ جَوَابِ الشَّرْطِ.

﴿بِكُلِّ آيَةٍ﴾[4]: بِكُلِّ بُرْهَانٍ قَاطِعٍ أَنَّ التَّوَجُّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ هُوَ الْحَقُّ.

﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾[5]، لِأَنَّ تَرْكَهُمُ اتِّبَاعَكَ لَيْسَ عَنْ شُبْهَةٍ تُزِيلُهَا بِإِيرَادِ الْحُجَّةِ، إِنَّمَا هُوَ عَنْ مُكَابَرَةٍ وَعِنَادٍ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِمَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ نَعْتِكَ أَنَّكَ عَلَى الْحَقِّ.

﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾[6]: حَسْمٌ لِأَطْمَاعِهِمْ إِذْ كَانُوا مَاجُوا فِي ذَلِكَ، وَقَالُوا: لَوْ ثَبَتَ عَلَى قِبْلَتِنَا لَكُنَّا نَرْجُو أَنْ يَكُونَ صَاحِبَنَا الَّذِي نَنْتَظِرُهُ وَطَمِعُوا فِي رُجُوعِهِ إِلَى قِبْلَتِهِمْ.

وَقُرِئَ: (بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ): عَلَى الْإِضَافَةِ.

﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾[7]: يَعْنِي أَنَّهُمْ مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى مُخَالَفَتِكَ مُخْتَلِفُونَ فِي شَأْنِ الْقِبْلَةِ لَا يُرْجَى اتِّفَاقُهُمْ، كَمَا لَا تُرْجَى مُوَافَقَتُهُمْ لَكَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ تَسْتَقْبِلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَالنَّصَارَى مَطْلَعَ الشَّمْسِ، أَخْبَرَ –عَزَّ وَجَلَّ– عَنْ تَصَلُّبِ كُلِّ حِزْبٍ فِيمَا هُوَ فِيهِ، وَثَبَاتِهِ عَلَيْهِ، فَالْمُحِقُّ مِنْهُمْ لَا يَزِلُّ عَنْ مَذْهَبِهِ لِتَمَسُّكِهِ بِالْبُرْهَانِ، وَالْمُبْطِلُ لَا يُقْلِعُ عَنْ بَاطِلِهِ، لِشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ فِي عِنَادِهِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾[1]: بَعْدَ الْإِفْصَاحِ عَنْ حَقِيقَةِ حَالِهِ الْمَعْلُومَةِ عِنْدَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾[2]: كَلَامٌ وَارِدٌ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ، بِمَعْنَى: وَلَئِنِ اتَّبَعْتُمْ مَثَلًا بَعْدَ وُضُوحِ الْبُرْهَانِ وَالْإِحَاطَةِ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ.

﴿إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[3]: الْمُرْتَكِبِينَ الظُّلْمَ الْفَاحِشَ، وَفِي ذَلِكَ لُطْفٌ لِلسَّامِعِينَ وَزِيَادَةُ تَحْذِيرٍ، وَاسْتِفْظَاعٌ لِحَالِ مَنْ يَتْرُكُ الدَّلِيلَ بَعْدَ إِنَارَتِهِ وَيَتَّبِعُ الْهَوَى، وَتَهْيِيجٌ وَإِلْهَابٌ لِلثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قَالَ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾[4]، وَلَهُمْ قِبْلَتَانِ لِلْيَهُودِ قِبْلَةٌ وَلِلنَّصَارَى قِبْلَةٌ؟

قُلْتُ: كِلْتَا الْقِبْلَتَيْنِ بَاطِلَةٌ مُخَالِفَةٌ لِقِبْلَةِ الْحَقِّ، فَكَانَتَا بِحُكْمِ الِاتِّحَادِ فِي الْبُطْلَانِ قِبْلَةً وَاحِدَةً.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[5]

﴿يَعْرِفُونَهُ﴾[6]: يَعْرِفُونَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعْرِفَةً جَلِيَّةً يُمَيِّزُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ بِالْوَصْفِ الْمُعَيِّنِ الْمُشَخِّصِ، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[7]: لَا يَشْتَبِهُ عَلَيْهِمْ أَبْنَاؤُهُمْ وَأَبْنَاءُ غَيْرِهِمْ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَعَنْ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي بِابْنِي، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنِّي لَسْتُ أَشُكُّ فِي مُحَمَّدٍ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَمَّا وَلَدِي فَلَعَلَّ وَالِدَتَهُ خَانَتْ، فَقَبَّلَ عُمَرُ رَأْسَهُ، وَجَازَ الْإِضْمَارُ –وَإِنْ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ ذِكْرٌ–، لِأَنَّ الْكَلَامَ يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَلَا يَلْتَبِسُ عَلَى السَّامِعِ.

وَمِثْلُ هَذَا الْإِضْمَارِ فِيهِ تَفْخِيمٌ وَإِشْعَارٌ بِأَنَّهُ لِشُهْرَتِهِ وَكَوْنِهِ عِلْمًا مَعْلُومًا بِغَيْرِ إِعْلَامٍ، وَقِيلَ: الضَّمِيرُ لِلْعِلْمِ أَوِ الْقُرْآنِ أَوْ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ.

وَقَوْلِهِ: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[1]: يَشْهَدُ لِلْأَوَّلِ وَيَنْصُرُهُ الْحَدِيثُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ اخْتُصَّ الْأَبْنَاءُ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الذُّكُورَ أَشْهَرُ وَأَعْرَفُ، وَهُمْ لِصُحْبَةِ الْآبَاءِ أَلْزَمُ، وَبِقُلُوبِهِمْ أَلْصَقُ.

وَقَالَ: ﴿فَرِيقًا مِنْهُمْ﴾[2]: اسْتِثْنَاءٌ لَمْ آمَنْ مِنْهُمْ، أَوْ لِجُهَّالِهِمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى– فِيهِمْ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾[3].

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾[4]: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ خَبَرَ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ هُوَ الْحَقُّ، أَوْ مُبْتَدَأً خَبَرُهُ: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾[5].

وَفِيهِ وَجْهَانِ:

– أَنْ تَكُونَ اللَّامُ لِلْعَهْدِ وَالْإِشَارَةِ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَوْ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾[6]، أَيْ: هَذَا الَّذِي يَكْتُمُونَهُ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ.

– وَأَنْ تَكُونَ لِلْجِنْسِ عَلَى مَعْنَى: الْحَقُّ مِنَ اللَّهِ لَا مَنْ غَيْرِهِ، يَعْنِي أَنَّ الْحَقَّ مَا ثَبَتَ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ كَالَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، وَمَا لَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ كَالَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْكِتَابِ، فَهُوَ الْبَاطِلُ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية 78.

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا جَعَلْتَ الْحَقَّ خَبَرَ مُبْتَدَأٍ فَمَا مَحَلُّ (مِنْ رَبِّكَ)؟

قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا بَعْدَ خَبَرٍ، وَأَنْ يَكُونَ حَالًا، وَقَرَأَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: (الْحَقَّ مِنْ رَبِّكَ) عَلَى الْإِبْدَالِ مِنَ الْأَوَّلِ، أَيْ يَكْتُمُونَ الْحَقَّ، الْحَقَّ مِنْ رَبِّكَ.

﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[1]: الشَّاكِّينَ فِي كِتْمَانِهِمُ الْحَقَّ مَعَ عِلْمِهِمْ، أَوْ فِي أَنَّهُ مِنْ رَبِّكَ.

﴿وَلِكُلٍّ﴾[2]: مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، ﴿وِجْهَةٌ﴾[3]: قِبْلَةٌ، وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: (وَلِكُلِّ قِبْلَةٌ) ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[4] وَجْهَهُ، فَحُذِفَ أَحَدُ الْمَفْعُولَيْنِ، وَقِيلَ: هُوَ لِلَّهِ -تَعَالَى-، أَيِ اللَّهُ مُوَلِّيهَا إِيَّاهُ، وَقُرِئَ: (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٍ) عَلَى الْإِضَافَةِ، وَالْمَعْنَى وَكُلُّ وِجْهَةٍ اللَّهُ مُوَلِّيهَا، فَزِيدَتِ اللَّامُ، لِتَقَدُّمِ الْمَفْعُولِ كَقَوْلِكَ: لَزَيْدٌ ضَرَبْتُ، وَلَزَيْدٌ أَبُوهُ ضَارِبُهُ.

وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: (هُوَ مَوْلَاهَا)، أَيْ هُوَ مَوْلَى تِلْكَ الْجِهَةِ وَقَدْ وَلِيَهَا، وَالْمَعْنَى: لِكُلِّ أُمَّةٍ قِبْلَةٌ تَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا، مِنْكُمْ وَمِنْ غَيْرِكُمْ.

"فَاسْتَبِقُوا": أَنْتُمُ "الْخَيْرَاتِ": وَاسْتَبِقُوا إِلَيْهَا غَيْرُكُمْ مِنْ أَمْرِ الْقِبْلَةِ وَغَيْرِهِ.

وَمَعْنًى آخَرُ: وَهُوَ أَنْ يُرَادَ: وَلِكُلٍّ مِنْكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وِجْهَةٌ، أَيْ: جِهَةٌ يُصَلِّي إِلَيْهَا جَنُوبِيَّةٌ، أَوْ شَمَالِيَّةٌ، أَوْ شَرْقِيَّةٌ، أَوْ غَرْبِيَّةٌ، فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ.

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾[5]: لِلْجَزَاءِ مِنْ مُوَافِقٍ وَمُخَالِفٍ لَا تُعْجِزُونَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: فَاسْتَبِقُوا الْفَاضِلَاتِ مِنَ الْجِهَاتِ، وَهِيَ الْجِهَاتُ الْمُسَامِتَةُ لِلْكَعْبَةِ، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ، أَيْنَمَا تَكُونُوا مِنَ الْجِهَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا، يَجْمَعُكُمْ وَيَجْعَلُ صَلَوَاتِكُمْ كَأَنَّهَا إِلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَأَنَّكُمْ تُصَلُّونَ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾[1]

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾[2]، أَيْ: وَمِنْ أَيِّ بَلَدٍ خَرَجْتَ لِلسَّفَرِ.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[3]: إِذَا صَلَّيْتَ.

﴿وَإِنَّهُ﴾[4]: وَإِنَّ هَذَا الْمَأْمُورَ بِهِ، وَقُرِئَ: (تَعْمَلُونَ) بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ، وَهَذَا التَّكْرِيرُ لِتَأْكِيدِ أَمْرِ الْقِبْلَةِ وَتَشْدِيدِهِ، لِأَنَّ النَّسْخَ مِنْ مَظَانِّ الْفِتْنَةِ وَالشُّبْهَةِ وَتَسْوِيلِ الشَّيْطَانِ وَالْحَاجَةِ إِلَى التَّفْصِلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَدَاءِ، فَكُرِّرَ عَلَيْهِمْ لِيَثْبُتُوا وَيَعْزِمُوا وَيَجِدُّوا، وَلِأَنَّهُ نِيطَ بِكُلِّ وَاحِدٍ مَا لَمْ يُنَطْ بِالْآخَرِ، فَاخْتَلَفَتْ فَوَائِدُهَا.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[5]: اسْتِثْنَاءٌ مِنَ النَّاسِ، وَمَعْنَاهُ: لِئَلَّا يَكُونَ حُجَّةٌ لِأَحَدٍ مِنَ الْيَهُودِ إِلَّا لِلْمُعَانِدِينَ مِنْهُمُ الْقَائِلِينَ: مَا تَرَكَ قِبْلَتَنَا إِلَى الْكَعْبَةِ إِلَّا مَيْلًا إِلَى دِينِ قَوْمِهِ وَحُبًّا لِبَلَدِهِ، وَلَوْ كَانَ عَلَى الْحَقِّ لَلَزِمَ قِبْلَةَ الْأَنْبِيَاءِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ حُجَّةٍ كَانَتْ تَكُونُ لِلْمُنْصِفِينَ مِنْهُمْ لَوْ لَمْ يُحَوَّلْ حَتَّى احْتَرَزَ مِنْ تِلْكَ الْحُجَّةِ وَلَمْ يُبَالِ بِحُجَّةِ الْمُعَانِدِينَ؟

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

قُلْتُ: كَانُوا يَقُولُونَ: مَا لَهُ لَا يُحَوِّلُ إِلَى قِبْلَةِ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ، كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي نَعْتِهِ فِي التَّوْرَاةِ؟!

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ أُطْلِقَ اسْمُ الْحُجَّةِ عَلَى قَوْلِ الْمُعَانِدِينَ؟

قُلْتُ: لِأَنَّهُمْ يَسُوقُونَهُ سِيَاقَ الْحُجَّةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لِئَلَّا يَكُونَ لِلْعَرَبِ عَلَيْكُمْ حَجَّةٌ وَاعْتِرَاضٌ فِي تَرْكِكُمُ التَّوَجُّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ الَّتِي هِيَ قِبْلَةُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَبِي الْعَرَبِ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ يَقُولُونَ: بَدَا لَهُ فَرَجَعَ إِلَى قِبْلَةِ آبَائِهِ، وَيُوشِكُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى دِينِهِمْ.

وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– (أَلَا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) عَلَى أَنَّ ﴿أَلَا﴾[1] لِلتَّنْبِيهِ وَوَقَفَ عَلَى (حُجَّةٌ).

ثُمَّ اسْتَأْنَفَ مُنَبِّهًا ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ﴾[2]: فَلَا تَخَافُوا مَطَاعِنَهُمْ فِي قِبْلَتِكُمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَضُرُّونَكُمْ.

﴿وَاخْشَوْنِي﴾[3]: فَلَا تُخَالِفُوا أَمْرِي وَمَا رَأَيْتُهُ مَصْلَحَةً لَكُمْ، وَمُتَعَلَّقُ اللَّامِ مَحْذُوفٌ، مَعْنَاهُ: وَلِإِتْمَامِي النِّعْمَةَ عَلَيْكُمْ وَإِرَادَتِي اهْتِدَاءَكُمْ أَمَرْتُكُمْ بِذَلِكَ، أَوْ يُعْطَفُ عَلَى عِلَّةٍ مُقَدَّرَةٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَاخْشَوْنِي لِأُوَفِّقَكُمْ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ، وَقِيلَ: هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى: ﴿لِئَلا يَكُونَ﴾[4].

وَفِي الْحَدِيثِ: "تَمَامُ النِّعْمَةِ دُخُولُ الْجَنَّةِ".

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: "تَمَامُ النِّعْمَةِ الْمَوْتُ عَلَى الْإِسْلَامِ".

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾[5]: إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمَا قَبْلَهُ، أَيْ: وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ فِي الْآخِرَةِ بِالثَّوَابِ كَمَا أَتْمَمْتُهَا عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا بِإِرْسَالِ الرَّسُولِ، أَوْ بِمَا بَعْدَهُ، أَيْ: كَمَا ذَكَّرْتُكُمْ بِإِرْسَالِ الرَّسُولِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ ، الآية .

﴿فَاذْكُرُونِي﴾[1] بِالطَّاعَةِ ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾[2] بِالثَّوَابِ.

﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾[3]: مَا أَنْعَمْتُ بِهِ عَلَيْكُمْ.

﴿وَلا تَكْفُرُونِ﴾[4]: وَلَا تَجْحَدُوا نَعْمَائِي.

﴿أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾[5]: هُمْ أَمْوَاتٌ بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ.

﴿وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾[6]: كَيْفَ حَالُهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: أَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ، تُعْرَضُ أَرْزَاقُهُمْ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ، فَيَصِلُ إِلَيْهِمُ الرُّوحُ وَالْفَرَحُ، كَمَا تُعْرَضُ النَّارُ عَلَى أَرْوَاحِ آلِ فِرْعَوْنَ غُدْوَةً وَعَشِيًّا، فَيَصِلُ إِلَيْهِمُ الْوَجَعُ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: يُرْزَقُونَ ثَمَرَ الْجَنَّةِ وَيَجِدُونَ رِيحَهَا وَلَيْسُوا فِيهَا، وَقَالُوا: يَجُوزُ أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ مِنْ أَجْزَاءِ الشَّهِيدِ جُمْلَةً فَيُحْيِيهَا وَيُوَصِّلُ إِلَيْهَا النَّعِيمَ، وَإِنْ كَانَتْ فِي حَجْمِ الذَّرَّةِ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي شُهَدَاءِ بَدْرٍ وَكَانُوا أَرْبَعَةَ عَشَرَ.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ
وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[7]

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾[1]: وَلَنُصِيبَنَّكُمْ بِذَلِكَ إِصَابَةً تُشْبِهُ فِعْلَ الْمُخْتَبِرِ لِأَحْوَالِكُمْ، هَلْ تَصْبِرُونَ وَتَثْبُتُونَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَتُسَلِّمُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ أَمْ لَا؟ ﴿بِشَيْءٍ﴾[2]: بِقَلِيلٍ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْبَلَايَا وَطَرَفٍ مِنْهُ.

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[3]: الْمُسْتَرْجِعِينَ عِنْدَ الْبَلَاءِ، لِأَنَّ الِاسْتِرْجَاعَ: تَسْلِيمٌ وَإِذْعَانٌ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنِ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ جَبَرَ اللَّهُ مُصِيبَتَهُ، وَأَحْسَنَ عُقْبَاهُ، وَجَعَلَ لَهُ خَلَفًا صَالِحًا يَرْضَاهُ".

وَرُوِيَ: أَنَّهُ طُفِئَ سِرَاجُ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ"، فَقِيلَ: أَمُصِيبَةٌ هِيَ؟ قَالَ: "نَعَمْ، كُلُّ شَيْءٍ يُؤْذِي الْمُؤْمِنَ فَهُوَ لَهُ مُصِيبَةٌ".

وَإِنَّمَا قُلِّلَ فِي قَوْلِهِ: (بِشَيْءٍ): لِيُؤْذِنَ أَنَّ كُلَّ بَلَاءٍ أَصَابَ الْإِنْسَانَ، وَإِنْ جَلَّ، فَفَوْقَهُ مَا يَقِلُّ إِلَيْهِ، وَلِيُخَفِّفَ عَلَيْهِمْ وَيُرِيَهُمْ أَنَّ رَحْمَتَهُ مَعَهُمْ فِي كُلِّ حَالٍ لَا تُزَايِلُهُمْ، وَإِنَّمَا وَعَدَهُمْ ذَلِكَ قَبْلَ كَوْنِهِ، لِيُوَطِّنُوا عَلَيْهِ نُفُوسَهُمْ.

﴿نَقْصٍ﴾[4]: عَطْفٌ عَلَى ﴿شَيْءٍ﴾[5]، أَوْ عَلَى الْخَوْفِ، بِمَعْنَى: وَشَيْءٍ مِنْ نَقْصِ الْأَمْوَالِ.

وَالْخِطَابُ فِي: ﴿بَشِّرِ﴾[6]: لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَوْ لِكُلِّ مَنْ يَتَأَتَّى مِنْهُ الْبِشَارَةُ.

وَعَنِ الشَّافِعِيِّ –رَحِمَهُ اللَّهُ– فِي الْخَوْفِ: خَوْفُ اللَّهِ، وَالْجُوعِ: صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَالنَّقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ: الزَّكَوَاتُ وَالصَّدَقَاتُ، وَمِنَ الْأَنْفُسِ: الْأَمْرَاضُ، وَمِنَ الثَّمَرَاتِ: مَوْتُ الْأَوْلَادِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى– لِلْمَلَائِكَةِ: أَقَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَقَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ قَلْبِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ،

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

فَيَقُولُ اللَّهُ –تَعَالَى–: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ –تَعَالَى–: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ".

وَالصَّلَاةُ: الْحُنُوُّ وَالتَّعَطُّفُ، فَوُضِعَتْ مَوْضِعَ الرَّأْفَةِ، وَجُمِعَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرَّحْمَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى–: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾[1]، ﴿رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2]، وَالْمَعْنَى: عَلَيْهِمْ رَأْفَةٌ بَعْدَ رَأْفَةٍ، وَرَحْمَةٌ أَيَّ رَحْمَةٍ.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[3]: لِطَرِيقِ الصَّوَابِ، حَيْثُ اسْتَرْجَعُوا وَسَلَّمُوا لِأَمْرِ اللَّهِ.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[4]

وَالصَّفَا وَالْمَرْوَةُ: عَلَمَانِ لِلْجَبَلَيْنِ، كَالصَّمَّانِ وَالْمُقَطَّمِ وَالشَّعَائِرُ: جَمْعُ شَعِيرَةٍ، وَهِيَ الْعَلَامَةُ، أَيْ: مِنْ أَعْلَامِ مَنَاسِكِهِ وَمُتَعَبَّدَاتِهِ، وَالْحَجُّ: الْقَصْدُ، وَالِاعْتِمَارُ: الزِّيَارَةُ، فَغَلَبَا عَلَى قَصْدِ الْبَيْتِ وَزِيَارَتِهِ لِلنُّسُكَيْنِ الْمَعْرُوفَيْنِ، وَهُمَا فِي الْمَعَانِي كَالنَّجْمِ وَالْبَيْتِ فِي الْأَعْيَانِ، وَأَصْلُ ﴿يَطَّوَّفُ﴾[5]: يَتَطَوَّفُ، فَأُدْغِمَ، وَقُرِئَ: (أَنْ يَطُوفَ): مِنْ طَافَ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قِيلَ: إِنَّهُمَا مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، ثُمَّ قِيلَ: لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا؟

قُلْتُ: كَانَ عَلَى الصَّفَا إِسَافٌ، وَعَلَى الْمَرْوَةِ نَائِلَةٌ، وَهُمَا صَنَمَانِ، يُرْوَى أَنَّهُمَا كَانَا رَجُلًا وَامْرَأَةً زَنَيَا فِي الْكَعْبَةِ، فَمُسِخَا حَجَرَيْنِ فَوُضِعَا عَلَيْهِمَا لِيُعْتَبَرَ بِهِمَا، فَلَمَّا طَالَتِ الْمُدَّةُ عُبِدَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا سَعَوْا مَسَحُوهُمَا، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَكُسِرَتِ الْأَوْثَانُ كَرِهَ الْمُسْلِمُونَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا، لِأَجْلِ فِعْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ فِي ذَلِكَ، فَرُفِعَ عَنْهُمُ الْجُنَاحُ.

---

[1] سورة الْحَدِيدِ، الآية 27.

[2] سورة التَّوْبَةِ، الآية 117.

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَاخْتُلِفَ فِي السَّعْيِ، فَمِنْ قَائِلٍ: هُوَ تَطَوُّعٌ بِدَلِيلِ رَفْعِ الْجُنَاحِ وَمَا فِيهِ مِنَ التَّخْيِيرِ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾[1]، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾[2]، كَقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾[3].

وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنْ أَنَسٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ الزُّبَيْرِ، وَتَنْصُرُهُ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا).

وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ –رَحِمَهُ اللَّهُ– أَنَّهُ وَاجِبٌ وَلَيْسَ بِرُكْنٍ، وَعَلَى تَارِكِهِ دَمٌ، وَعِنْدَ الْأَوَّلِينَ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَعِنْدَ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ: هُوَ رُكْنٌ، لِقَوْلِهِ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: "اسْعَوْا فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ".

وَقُرِئَ: (وَمَنْ يَطَّوَّعْ) بِمَعْنَى: وَمَنْ يَتَطَوَّعْ، فَأُدْغِمَ، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: (وَمَنْ يَتَطَوَّعْ بِخَيْرٍ).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾[4]

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾[5]: مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ ﴿مَا أَنْزَلْنَا﴾[6] فِي التَّوْرَاةِ ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾[7]: مِنَ الْآيَاتِ الشَّاهِدَةِ عَلَى أَمْرِ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، ﴿وَالْهُدَى﴾[8]: وَالْهِدَايَةُ بِوَصْفِهِ إِلَى اتِّبَاعِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ﴾[9]: وَلَخَّصْنَاهُ، ﴿لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾[10]:

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية 230.
[2] سورة الْبَقَرَة، الآية 184.
[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[8] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[9] سورة الْبَقَرَة، الآية .

فِي التَّوْرَاةِ، لَمْ نَدَعْ فِيهِ مَوْضِعَ إِشْكَالٍ وَلَا اشْتِبَاهٍ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَعَمَدُوا إِلَى ذَلِكَ الْمُبَيَّنِ الْمُلَخَّصِ، فَكَتَمُوهُ وَلَبَّسُوا عَلَى النَّاسِ.

﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾[1] الَّذِينَ يَتَأَتَّى مِنْهُمُ اللَّعْنُ عَلَيْهِمْ، وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ مِنَ الثَّقَلَيْنِ.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[2]

﴿وَأَصْلَحُوا﴾[3]: مَا أَفْسَدُوا مِنْ أَحْوَالِهِمْ، وَتَدَارَكُوا مَا فَرَطَ مِنْهُمْ.

﴿وَبَيَّنُوا﴾[4]: مَا بَيَّنَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِمْ فَكَتَمُوهُ، أَوْ بَيَّنُوا لِلنَّاسِ مَا أَحْدَثُوهُ مِنْ تَوْبَتِهِمْ، لِيَمْحُوا سِمَةَ الْكُفْرِ عَنْهُمْ، وَيُعَرِّفُوا بِضِدِّ مَا كَانُوا يُعَرِّفُونَ بِهِ، وَيَقْتَدِي بِهِمْ غَيْرُهُمْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[5]

---

10 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1]: يَعْنِي الَّذِينَ مَاتُوا مِنْ هَؤُلَاءِ الْكَاتِمِينَ وَلَمْ يَتُوبُوا، ذَكَرَ لَعْنَتَهُمْ أَحْيَاءً ثُمَّ لَعْنَتَهُمْ أَمْوَاتًا.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: (وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ) بِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ اسْمِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ فَاعِلٌ فِي التَّقْدِيرِ، كَقَوْلِكَ: عَجِبْتُ مِنْ ضَرْبِ زَيْدٍ وَعَمْرٌو، تُرِيدُ مِنْ أَنْ ضَرَبَ زَيْدٌ وَعَمْرٌو، كَأَنَّهُ قِيلَ: أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[2]: وَفِي النَّاسِ الْمُسْلِمُ وَالْكَافِرُ.

قُلْتُ: أَرَادَ بِالنَّاسِ مَنْ يُعْتَدُّ بِلَعْنِهِ وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَقِيلَ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾[3]: فِي اللَّعْنَةِ، وَقِيلَ: فِي النَّارِ إِلَّا أَنَّهَا أُضْمِرَتْ؛ تَفْخِيمًا لِشَأْنِهَا وَتَهْوِيلًا.

﴿وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[4]: مِنَ الْإِنْظَارِ أَيْ لَا يُمْهَلُونَ وَلَا يُؤَجَّلُونَ، أَوْ لَا يُنْتَظَرُونَ لِيَعْتَذِرُوا، أَوْ لَا يُنْظَرَ إِلَيْهِمْ نَظَرَ رَحْمَةٍ.

﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[5]

﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[6]: فَرْدٌ فِي الْإِلَهِيَّةِ لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهَا وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُسَمَّى غَيْرُهُ إِلَهًا، وَ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾[7]: تَقْرِيرٌ لِلْوَحْدَانِيَّةِ بِنَفْيِ غَيْرِهِ وَإِثْبَاتِهِ.

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[1]: الْمُولِي لِجَمِيعِ النِّعَمِ أُصُولِهَا وَفُرُوعِهَا، وَلَا شَيْءَ سِوَاهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، فَإِنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ إِمَّا نِعْمَةٌ وَإِمَّا مُنْعَمٌ عَلَيْهِ.

وَقِيلَ: كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلَثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا، فَلَمَّا سَمِعُوا بِهَذِهِ الْآيَةِ تَعَجَّبُوا وَقَالُوا: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأْتِ بِآيَةٍ نَعْرِفُ بِهَا صِدْقَكَ، فَنَزَلَتْ.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنَ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[3]: وَاعْتِقَابُهُمَا، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَعْقُبُ الْآخَرَ، كَقَوْلِهِ: ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾[4].

﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾[5]: بِالَّذِي يَنْفَعُهُمْ مِمَّا يُحْمَلُ فِيهَا أَوْ يَنْفَعُ النَّاسَ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾[6]: عَطْفٌ عَلَى أَنْزَلَ أَمْ أَحْيَا؟

قُلْتُ: الظَّاهِرُ أَنَّهُ عَطْفٌ عَلَى أَنْزَلَ دَاخِلٌ تَحْتَ حُكْمِ الصِّلَةِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ﴾[7]: عَطْفٌ عَلَى أَنْزَلَ، فَاتَّصَلَ بِهِ وَصَارَا جَمِيعًا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: وَمَا أَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَاءٍ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، وَيَجُوزُ عَطْفُهُ عَلَى أَحْيَا عَلَى مَعْنَى: فَأَحْيَا بِالْمَطَرِ الْأَرْضَ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، لِأَنَّهُمْ يَنْمُونَ بِالْخِصْبِ وَيَعِيشُونَ بِالْحَيَا.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْفُرْقَانِ، الآية 62.

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾[1]: فِي مَهَابِّهَا: قَبُولًا وَدَبُورًا، وَجَنُوبًا، وَشَمَالًا، وَفِي أَحْوَالِهَا: حَارَّةً، وَبَارِدَةً، وَعَاصِفَةً، وَلَيِّنَةً، وَعُقْمًا، وَلَوَاقِحَ، وَقِيلَ: تَارَةً بِالرَّحْمَةِ، وَتَارَةً بِالْعَذَابِ.

﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾[2]: سُخِّرَ لِلرِّيَاحِ تُقَلِّبُهُ فِي الْجَوِّ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ يُمْطِرُ حَيْثُ شَاءَ، ﴿لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3]: يَنْظُرُونَ بِعُيُونِ عُقُولِهِمْ وَيَعْتَبِرُونَ، لِأَنَّهَا دَلَائِلُ عَلَى عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَبَاهِرِ الْحِكْمَةِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: "وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فَمَجَّ بِهَا"، أَيْ: لَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا وَلَمْ يَعْتَبِرْ بِهَا، وَقُرِئَ: (الْفُلْكِ) بِضَمَّتَيْنِ (وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ) عَلَى الْإِفْرَادِ.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[4]

﴿أَنْدَادًا﴾[5]: أَمْثَالًا مِنَ الْأَصْنَامِ، وَقِيلَ: مِنَ الرُّؤَسَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّبِعُونَهُمْ وَيُطِيعُونَهُمْ وَيَنْزِلُونَ عَلَى أَوَامِرِهِمْ وَنَوَاهِيهِمْ، وَاسْتُدِلَّ بِقَوْلِهِ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾[6].

وَمَعْنَى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾[7]: يُعَظِّمُونَهُمْ وَيَخْضَعُونَ لَهُمْ تَعْظِيمَ الْمَحْبُوبِ، ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾[8]: كَتَعْظِيمِ اللَّهِ وَالْخُضُوعِ لَهُ، أَيْ: كَمَا يُحِبُّ اللَّهُ -تَعَالَى-، عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مِنَ الْمَبْنِيِّ

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَة، الآية 166.
[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[8] سورة الْبَقَرَة، الآية .

لِلْمَفْعُولِ، وَإِنَّمَا اسْتُغْنِيَ عَنْ ذِكْرِ مَنْ يُحِبُّهُ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُلْبَسٍ، وَقِيلَ: كَحُبِّهِمُ اللَّهَ، أَيْ: يُسَوُّونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي مَحَبَّتِهِمْ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُقِرُّونَ بِاللَّهِ وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[1].

﴿أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[2]: لِأَنَّهُمْ لَا يَعْدِلُونَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، بِخِلَافِ الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّهُمْ يَعْدِلُونَ عَنْ أَنْدَادِهِمْ إِلَى اللَّهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ فَيَفْزَعُونَ إِلَيْهِ، وَيَخْضَعُونَ لَهُ، وَيَجْعَلُونَهُمْ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَيَقُولُونَ: (هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) وَيَعْبُدُونَ الصَّنَمَ زَمَانًا ثُمَّ يَرْفُضُونَهُ إِلَى غَيْرِهِ، أَوْ يَأْكُلُونَهُ كَمَا أَكَلَتْ بَاهِلَةُ إِلَهَهَا مِنْ حَيْسٍ عَامَ الْمَجَاعَةِ.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[3]: إِشَارَةٌ إِلَى مُتَّخِذِي الْأَنْدَادِ، أَيْ: لَوْ يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ارْتَكَبُوا الظُّلْمَ الْعَظِيمَ بِشِرْكِهِمْ أَنَّ الْقُدْرَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْعِقَابِ وَالثَّوَابِ دُونَ أَنْدَادِهِمْ –وَيَعْلَمُونَ شِدَّةَ عِقَابِهِ لِلظَّالِمِينَ إِذَا عَايَنُوا الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ–، لَكَانَ مِنْهُمْ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْوَصْفِ مِنَ النَّدَمِ وَالْحَسْرَةِ وَوُقُوعِ الْعِلْمِ بِظُلْمِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، فَحُذِفَ الْجَوَابُ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا﴾[4]، وَقَوْلِهِمْ: لَوْ رَأَيْتَ فَلَانًا وَالسِّيَاطُ تَأْخُذُهُ .

وَقُرِئَ: (وَلَوْ تَرَى) بِالتَّاءِ عَلَى خِطَابِ الرَّسُولِ أَوْ كُلِّ مُخَاطَبٍ، أَيْ: وَلَوْ تَرَى ذَلِكَ لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا، وَقُرِئَ: (إِذْ يُرَوْنَ)، عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، وَإِذْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾[5].

﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾[6] بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾[7]، أَيْ: تَبَرَّأَ الْمَتْبُوعُونَ –وَهُمُ الرُّؤَسَاءُ– مِنَ الْأَتْبَاعِ، وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ الْأَوَّلَ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ، وَالثَّانِيَ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، أَيْ تَبْرَأَ الْأَتْبَاعُ مِنَ الرُّؤَسَاءِ.

1

2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

4 سورة الْأَنْعَامِ، الآية 27.

5 سورة الْأَعْرَافِ، الآية 44.

6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾[1]: وَالْوَاوُ لِلْحَالِ، أَيْ: تَبَرُّؤًا فِي حَالِ رُؤْيَتِهِمُ الْعَذَابَ.

﴿وَتَقَطَّعَتْ﴾[2]: عَطْفٌ عَلَى تَبَرَّأَ.

وَ﴿الْأَسْبَابُ﴾[3]: الْوُصَلُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ، مِنَ الِاتِّفَاقِ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ، وَمِنَ الْأَنْسَابِ، وَالْمَحَابِّ، وَالْأَتْبَاعِ، وَالِاسْتِتْبَاعِ، كَقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾[4].

﴿لَوْ﴾[5]: فِي مَعْنَى التَّمَنِّي، وَلِذَلِكَ أُجِيبَ بِالْفَاءِ الَّذِي يُجَابُ بِهِ التَّمَنِّي، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَيْتَ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ.

﴿كَذَلِكَ﴾[6]: مِثْلَ ذَلِكَ الْإِرَاءِ الْفَظِيعِ.

﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾[7]، أَيْ نَدَامَاتٍ، وَ(حَسَرَاتٍ) ثَالِثُ مَفَاعِيلَ أَرَى، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ أَعْمَالَهُمْ تَنْقَلِبُ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَرَوْنَ إِلَّا حَسَرَاتٍ مَكَانَ أَعْمَالِهِمْ.

﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ﴾[8]: هُمْ بِمَنْزِلَتِهِ فِي قَوْلِهِ:

هُمْ يَفْرِشُونَ اللِّبْدَ كُلَّ طِمِـــــرَّةٍ

فِي دَلَالَتِهِ عَلَى قُوَّةِ أَمْرِهِمْ فِيمَا أُسْنِدَ إِلَيْهِمْ لَا عَلَى الِاخْتِصَاصِ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالا طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[9]

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْأَنْعَامِ، الآية 94.

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[8] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[9] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿حَلَالًا﴾[1]: مَفْعُولُ كُلُوا، أَوْ حَالٌ مِمَّا فِي الْأَرْضِ ﴿طَيِّبًا﴾[2]: طَاهِرًا مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ.

﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[3]: فَتَدْخُلُوا فِي حَرَامٍ، أَوْ شُبْهَةٍ، أَوْ تَحْرِيمِ حَلَالٍ، أَوْ تَحْلِيلِ حَرَامٍ، وَ"مِنْ": لِلتَّبْعِيضِ، لِأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ لَيْسَ بِمَأْكُولٍ، وَقُرِئَ: (خُطُوَاتِ) بِضَمَّتَيْنِ، وَ(خُطْوَاتِ) بِضَمَّةٍ وَسُكُونٍ، وَ(خُطُؤَاتِ) بِضَمَّتَيْنِ وَهَمْزَةٍ، جُعِلَتِ الضَّمَّةُ عَلَى الطَّاءِ كَأَنَّهَا عَلَى الْوَاوِ، وَ(خَطَوَاتِ) بِفَتْحَتَيْنِ، وَ(خَطْوَاتِ) بِفَتْحَةٍ وَسُكُونٍ، وَ(الْخُطْوَةُ): الْمَرَّةُ مِنَ الْخَطْوِ، وَالْخَطْوَةُ: مَا بَيْنَ قَدَمَيِ الْخَاطِي، وَهُمَا كَالْغُرْفَةِ وَالْغَرْفَةِ، وَالْقُبْضَةِ وَالْقَبْضَةِ، يُقَالُ: اتَّبَعَ خُطُوَاتِهِ وَوَطِئَ عَلَى عَقِبِهِ، إِذَا اقْتَدَى بِهِ وَاسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ.

﴿مُبِينٌ﴾[4]: ظَاهِرُ الْعَدَاوَةِ لَا خَفَاءَ بِهِ.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ﴾[5]: بَيَانٌ لِوُجُوبِ الِانْتِهَاءِ عَنِ اتِّبَاعِهِ وَظُهُورِ عَدَاوَتِهِ، أَيْ: لَا يَأْمُرُكُمْ بِخَيْرٍ قَطُّ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ ﴿بِالسُّوءِ﴾[6]: بِالْقَبِيحِ، ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾[7]: وَمَا يَتَجَاوَزُ الْحَدَّ فِي الْقُبْحِ مِنَ الْعَظَائِمِ، وَقِيلَ: السُّوءُ مَا لَا حَدَّ فِيهِ، وَالْفَحْشَاءُ: مَا يَجِبُ الْحَدُّ فِيهِ.

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[8]، وَهُوَ قَوْلُكُمْ: هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ، بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَيَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ مَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ –تَعَالَى– مِمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ كَانَ الشَّيْطَانُ آمِرًا مَعَ قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[9].

قُلْتُ: شُبِّهَ تَزْيِينُهُ وَبَعْثُهُ عَلَى الشَّرِّ بِأَمْرِ الْآمِرِ، كَمَا تَقُولُ: أَمَرَتْنِي نَفْسِي بِكَذَا، وَتَحْتَهُ رَمْزٌ إِلَى أَنَّكُمْ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَأْمُورِيْنِ، لِطَاعَتِكُمْ لَهُ وَقَبُولِكُمْ وَسَاوِسِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾[10].

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[8] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[9] سورة الْحِجْرِ، الآية 42.

[10] سورة النِّسَاءِ، الآية 119.

وَقَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[1]: لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ يُطِيعُهَا فَيُعْطِيهَا مَا اشْتَهَتْ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾[2]

﴿لَهُمْ﴾[3]: الضَّمِيرُ لِلنَّاسِ، وَعُدِلَ بِالْخِطَابِ عَنْهُمْ عَلَى طَرِيقَةِ الِالْتِفَاتِ لِلنِّدَاءِ عَلَى ضُلَّالِهِمْ، لِأَنَّهُ لَا ضَالَّ أَضَلُّ مِنَ الْمُقَلِّدِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ لِلْعُقَلَاءِ: انْظُرُوا إِلَى هَؤُلَاءِ الْحَمْقَى مَاذَا يَقُولُونَ، قِيلَ: هُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَقِيلَ: هُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالُوا: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾[4]؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا خَيْرًا مِنَّا وَأَعْلَمَ، وَ﴿أَلْفَيْنَا﴾[5]، بِمَعْنَى وَجَدْنَا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾[6].

﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾[7]: الْوَاوُ لِلْحَالِ، وَالْهَمْزَةُ بِمَعْنَى الرَّدِّ وَالتَّعْجِيبِ، مَعْنَاهُ: أَيَتَّبِعُونَهُمْ وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا مِنَ الدِّينِ وَلَا يَهْتَدُونَ لِلصَّوَابِ.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[8]

---

1 سورة يُوسُفَ، الآية 53.
2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
6 سورة لُقْمَانَ، الآية 21.
7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
8 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

لَا بُدَّ مِنْ مُضَافٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: وَمَثَلُ دَاعِي الَّذِينَ كَفَرُوا، ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾[1]: أَوْ: وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَبَهَائِمِ الَّذِي يَنْعِقُ، وَالْمَعْنَى: وَمَثَلُ دَاعِيهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ –فِي أَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَّا جَرْسَ النَّغْمَةِ وَدَوِيَّ الصَّوْتِ، مِنْ غَيْرِ إِلْقَاءِ أَذْهَانٍ وَلَا اسْتِبْصَارٍ– كَمَثَلِ النَّاعِقِ بِالْبَهَائِمِ، الَّتِي لَا تَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ النَّاعِقِ وَنِدَاءَهُ الَّذِي هُوَ تَصْوِيتٌ بِهَا وَزَجْرٌ لَهَا، وَلَا تَفْقَهُ شَيْئًا آخَرَ وَلَا تَعِي، كَمَا يَفْهَمُ الْعُقَلَاءُ وَيَعُونَ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِمَا لَا يَسْمَعُ: الْأَصَمُّ الْأَصْلَخُ، الَّذِي لَا يَسْمَعُ مِنْ كَلَامِ الرَّافِعِ صَوْتَهُ بِكَلَامِهِ إِلَّا النِّدَاءَ وَالتَّصْوِيتَ لَا غَيْرُ، مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ لِلْحُرُوفِ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَمَثَلُهُمْ فِي اتِّبَاعِهِمْ آبَاءَهُمْ وَتَقْلِيدِهِمْ كَمَثَلِ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَسْمَعُ إِلَّا ظَاهِرَ الصَّوْتِ وَلَا تَفْهَمُ مَا تَحْتَهُ، فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ يَتَّبِعُونَهُمْ عَلَى ظَاهِرِ حَالِهِمْ وَلَا يَفْقَهُونَ أَهُمْ عَلَى حَقٍّ أَمْ بَاطِلٍ؟

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: وَمَثَلُهُمْ فِي دُعَائِهِمُ الْأَصْنَامَ كَمَثَلِ النَّاعِقِ بِمَا لَا يَسْمَعُ، إِلَّا أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾[2]: لَا يُسَاعِدُ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا، وَالنَّعِيقُ: التَّصْوِيتُ، يُقَالُ: نَعَقَ الْمُؤَذِّنُ، وَنَعَقَ الرَّاعِي بِالضَّأْنِ.

قَالَ الْأَخْطَلُ:

فَانْعِقْ بِضَأْنِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالَا

وَأَمَّا "نَعَقَ الْغُرَابُ"، فَبِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ.

﴿صُمٌّ﴾[3] هُمْ صُمٌّ، وَهُوَ رَفْعٌ عَلَى الذَّمِّ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[4]

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[1]: مِنْ مُسْتَلَذَّاتِهِ، لِأَنَّ كُلَّ مَا رَزَقَهُ اللَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا حَلَالًا.

﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾[2]: الَّذِي رَزَقَكُمُوهَا.

﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[3]: إِنْ صَحَّ أَنَّكُمْ تَخُصُّونَهُ بِالْعِبَادَةِ، وَتُقِرُّونَ أَنَّهُ مُولِي النِّعَمِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "يَقُولُ اللَّهُ –تَعَالَى–: إِنِّي وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ، أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي، وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِي".

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4]

قُرِئَ: (حَرَّمَ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ، وَ(حُرِّمَ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، وَ(حَرُمَ) بِوَزْنِ كَرُمَ.

﴿أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾[5]، أَيْ: رَفَعَ بِهِ الصَّوْتَ لِلصَّنَمِ، وَذَلِكَ قَوْلُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ: بِاسْمِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى.

﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾[6]: عَلَى مُضْطَرٍّ آخَرَ بِالِاسْتِيثَارِ عَلَيْهِ.

﴿وَلا عَادٍ﴾[7]: سَدَّ الْجَوْعَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فِي الْمَيْتَاتِ مَا يَحِلُّ وَهُوَ السَّمَكُ وَالْجَرَادُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ".

قُلْتُ: قُصِدَ مَا يَتَفَاهَمُهُ النَّاسُ وَيَتَعَارَفُونَهُ فِي الْعَادَةِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَائِلَ إِذَا قَالَ: أَكَلَ فُلَانٌ مَيْتَةً، لَمْ يَسْبِقِ الْوَهْمُ إِلَى السَّمَكِ وَالْجَرَادِ، كَمَا لَوْ قَالَ: أَكَلَ دَمًا، لَمْ يَسْبِقْ إِلَى الْكَبِدِ وَالطِّحَالِ، وَلِاعْتِبَارِ الْعَادَةِ وَالتَّعَارُفِ قَالُوا: مَنْ حَلَفَ لَا يَأْكُلُ لَحْمًا فَأَكَلَ سَمَكًا لَمْ يَحْنَثْ، وَإِنْ أَكَلَ لَحْمًا فِي الْحَقِيقَةِ.

قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾[1]، وَشَبَّهُوهُ بِمَنْ حَلَفَ لَا يَرْكَبُ دَابَّةً فَرَكِبَ كَافِرًا لَمْ يَحْنَثْ، وَإِنَّ سَمَّاهُ اللَّهُ –تَعَالَى– دَابَّةً فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2].

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا لَهُ ذَكَرَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ دُونَ شَحْمِهِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الشَّحْمَ دَاخِلٌ فِي ذِكْرِ اللَّحْمِ، لِكَوْنِهِ تَابِعًا لَهُ وَصِفَةً فِيهِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ: لَحْمٌ سَمِينٌ، يُرِيدُونَ أَنَّهُ شَحِيمٌ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[3]

﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾[4]: مَلْءَ بُطُونِهِمْ، يُقَالُ: أَكَلَ فُلَانٌ فِي بَطْنِهِ، وَأَكَلَ فِي بَعْضِ بَطْنِهِ.

﴿إِلاّ النَّارَ﴾[5]، لِأَنَّهُ إِذَا أَكَلَ مَا يَتَلَبَّسُ بِالنَّارِ لِكَوْنِهَا عُقُوبَةً عَلَيْهِ فَكَأَنَّهُ أَكَلَ النَّارَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: أَكَلَ فُلَانٌ الدَّمَ إِذَا أَكَلَ الدِّيَةَ الَّتِي هِيَ بَدَلٌ مِنْهُ، قَالَ:

أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرُعْكِ بِضَرَّةٍ

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية 14.

[2] سورة الْأَنْفَالِ، الآية 55.

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَقَالَ:

يَأْكُلْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِكَافَـــــــا

أَرَادَ ثَمَنَ الْإِكَافِ، فَسَمَّاهُ إِكَافًا لِتَلَبُّسِهِ بِكَوْنِهِ ثَمَنًا لَهُ.

﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾[1]: تَعْرِيضٌ بِحِرْمَانِهِمْ حَالَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي تَكْرِمَةِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ بِكَلَامِهِ وَتَزْكِيَتِهِمْ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَقِيلَ: نَفْيُ الْكَلَامِ عِبَارَةٌ عَنْ غَضَبِهِ عَلَيْهِمْ كَمَنْ غَضِبَ عَلَى صَاحِبِهِ فَصَرَمَهُ وَقَطَعَ كَلَامَهُ، وَقِيلَ: لَا يُكَلِّمُهُمْ بِمَا يُحِبُّونَ، وَلَكِنْ بِنَحْوِ قَوْلِهِ: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾[2].

﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[3] تَعَجُّبٌ مِنْ حَالِهِمْ فِي الْتِبَاسِهِمْ بِمُوجِبَاتِ النَّارِ مِنْ غَيْرِ مُبَالَاةٍ مِنْهُمْ، كَمَا تَقُولُ لِمَنْ يَتَعَرَّضُ لِمَا يُوجِبُ غَضَبَ السُّلْطَانِ: مَا أَصْبَرَكَ عَلَى الْقَيْدِ وَالسَّجْنِ؟!

تُرِيدُ أَنَّهُ لَا يَتَعَرَّضُ لِذَلِكَ إِلَّا مَنْ هُوَ شَدِيدُ الصَّبْرِ عَلَى الْعَذَابِ، وَقِيلَ: فَمَا أَصْبَرَهُمْ، فَأَيُّ شَيْءٍ صَبَّرَهُمْ، يُقَالُ: أَصْبَرَهُ عَلَى كَذَا وَصَبَّرَهُ بِمَعْنًى، وَهَذَا أَصْلُ مَعْنَى فِعْلِ التَّعَجُّبِ.

وَالَّذِي رُوِيَ عَنِ الْكِسَائِيِّ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي قَاضِي الْيَمَنِ بِمَكَّةَ: اخْتَصَمَ إِلَيَّ رَجُلَانِ مِنَ الْعَرَبِ فَحَلَفَ أَحَدُهُمَا عَلَى حَقِّ صَاحِبِهِ فَقَالَ لَهُ: مَا أَصْبَرَكَ عَلَى اللَّهِ، فَمَعْنَاهُ: مَا أَصْبَرَكَ عَلَى عَذَابِ اللَّهِ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ﴾[4]، أَيْ: ذَلِكَ الْعَذَابُ بِسَبَبِ أَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ مَا نَزَّلَ مِنَ الْكُتُبِ بِالْحَقِّ.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا﴾[5]: فِي كُتُبِ اللَّهِ، فَقَالُوا: فِي بَعْضِهَا حَقٌّ وَفِي بَعْضِهَا بَاطِلٌ، وَهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْمُؤْمِنُونَ، الآية 108.

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾[1]: لَفِي خِلَافٍ، ﴿بَعِيدٍ﴾[2]: عَنِ الْحَقِّ، وَالْكِتَابُ لِلْجِنْسِ، أَوْ كُفْرُهُمْ ذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْقُرْآنَ بِالْحَقِّ كَمَا يَعْلَمُونَ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ –فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سِحْرٌ، وَبَعْضُهُمْ: شِعْرٌ، وَبَعْضُهُمْ: أَسَاطِيرُ– لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ، يَعْنِي: أَنَّ أُولَئِكَ لَوْ لَمْ يَخْتَلِفُوا وَلَمْ يُشَاقُّوا لَمَا جَسَرَ هَؤُلَاءِ أَنْ يَكْفُرُوا.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[3]

"الْبِرُّ": اسْمٌ لِلْخَيْرِ وَلِكُلِّ فِعْلٍ مَرْضِيٍّ.

﴿أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[4]: الْخِطَابُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ، لِأَنَّ الْيَهُودَ تُصَلِّي قِبَلَ الْمَغْرِبِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالنَّصَارَى قِبَلَ الْمَشْرِقِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَكْثَرُوا الْخَوْضَ فِي أَمْرِ الْقِبْلَةِ حِينَ حُوِّلَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى الْكَعْبَةِ، وَزَعَمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنَّ الْبِرَّ التَّوَجُّهُ إِلَى قِبْلَتِهِ، فَرُدَّ عَلَيْهِمْ، وَقِيلَ: لَيْسَ الْبَرَّ فِيمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْسُوخٌ خَارِجٌ مِنَ الْبِرِّ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَا نُبَيِّنُهُ، وَقِيلَ: كَثُرَ خَوْضُ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلُ الْكِتَابِ فِي أَمْرِ الْقِبْلَةِ، فَقِيلَ: لَيْسَ الْبِرَّ الْعَظِيمَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تُذْهَلُوا بِشَأْنِهِ عَنْ سَائِرِ صُنُوفِ الْبِرِّ أَمْرُ الْقِبْلَةِ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ الَّذِي يَجِبُ الِاهْتِمَامُ بِهِ وَصَرْفُ الْهِمَّةِ بِرُّ مَنْ آمَنَ وَقَامَ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ .

وَقُرِئَ: (وَلَيْسَ الْبِرَّ) –بِالنَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ– وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: (بِأَنْ تُوَلُّوا)، عَلَى إِدْخَالِ الْبَاءِ عَلَى الْخَبَرِ لِلتَّأْكِيدِ كَقَوْلِكَ: لَيْسَ الْمُنْطَلِقَ بِزَيْدٍ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾[1]: عَلَى تَأْوِيلِ حَذْفِ الْمُضَافِ، أَيْ بِرَّ مَنْ آمَنَ، أَوْ يتَأَوَّلُ الْبَرُّ بِمَعْنَى ذِي الْبِرِّ، أَوْ كَمَا قَالَتْ:

فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَـــــارُ

وَعَنِ الْمُبَرِّدِ: لَوْ كُنْتُ مِمَّنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَقَرَأْتُ: (وَلَكِنَّ الْبَرَّ)، بِفَتْحِ الْبَاءِ، وَقُرِئَ: (وَلَكِنَّ الْبَارَّ)، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَنَافِعٌ: (وَلَكِنِ الْبِرُّ) بِالتَّخْفِيفِ.

﴿وَالْكِتَابِ﴾[2]: جِنْسُ كُتُبِ اللَّهِ، أَوِ الْقُرْآنُ.

﴿عَلَى حُبِّهِ﴾[3]: مَعَ حُبِّ الْمَالِ وَالشُّحِّ بِهِ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "أَنْ تُؤْتِيَهُ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَأْمُلُ الْعَيْشَ وَتَخْشَى الْفَقْرَ، وَلَا تُمْهِلَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا"، وَقِيلَ: عَلَى حُبِّ اللَّهِ، وَقِيلَ: عَلَى حُبِّ الْإِيتَاءِ، يُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُ وَهُوَ طَيِّبُ النَّفْسِ بِإِعْطَائِهِ، وَقَدَّمَ ذَوِي الْقُرْبَى، لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ، قَالَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "صَدَقَتُكَ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي رَحِمِكَ اثْنَتَانِ لِأَنَّهَا صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ"، وَقَالَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ".

وَأَطْلَقَ ﴿ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾[4]، وَالْمُرَادُ: الْفُقَرَاءُ مِنْهُمْ لِعَدَمِ الْإِلْبَاسِ، وَالْمِسْكِينُ الدَّائِمُ السُّكُونِ إِلَى النَّاسِ، لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ لَهُ، كَالْمِسْكِيرِ: لِلدَّائِمِ السُّكْرِ، ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾[5]: الْمُسَافِرُ الْمُنْقَطِعُ، وَجُعِلَ ابْنًا لِلسَّبِيلِ لِمُلَازَمَتِهِ لَهُ، كَمَا يُقَالُ لِلِصِّ الْقَاطِعِ: ابْنُ الطَّرِيقِ، وَقِيلَ: هُوَ الضَّيْفُ، لِأَنَّ السَّبِيلَ يُرْعَفُ بِهِ.

﴿وَالسَّائِلِينَ﴾[6]: الْمُسْتَطْعِمِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "لِلسَّائِلِ حَقٌّ وَإِنْ جَاءَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ".

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾[1]: وَفِي مُعَاوَنَةِ الْمُكَاتَبِينَ حَتَّى يَفُكُّوا رِقَابَهُمْ، وَقِيلَ: فِي ابْتِيَاعِ الرِّقَابِ وَإِعْتَاقِهَا، وَقِيلَ: فِي فَكِّ الْأُسَارَى.

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ ذَكَرَ إِيتَاءَ الْمَالِ فِي هَذِهِ الْوُجُوهِ ثُمَّ قَفَّاهُ بِإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، فَهَلْ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ فِي الْمَالِ حَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ؟

قُلْتُ: يَحْتَمِلُ ذَلِكَ.

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ: أَنَّ فِي الْمَالِ حَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَيَانَ مَصَارِفِ الزَّكَاةِ، أَوْ يَكُونَ حَثًّا عَلَى نَوَافِلِ الصَّدَقَاتِ وَالْمَبَارِّ.

وَفِي الْحَدِيثِ: "نَسَخَتِ الزَّكَاةُ كُلَّ صَدَقَةٍ"، يَعْنِي: وَجُوبَهَا.

وَرُوِيَ: "لَيْسَ فِي الْمَالِ حَقٌّ سِوَى الزَّكَاةِ".

﴿وَالْمُوفُونَ﴾[2]: عَطْفٌ عَلَى (مَنْ آمَنَ)، وَ(أَخْرَجَ).

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾[3]: مَنْصُوبًا عَلَى الِاخْتِصَاصِ وَالْمَدْحِ، وَإِظْهَارًا لِفَضْلِ الصَّبْرِ فِي الشَّدَائِدِ وَمَوَاطِنِ الْقِتَالِ عَلَى سَائِرِ الْأَعْمَالِ، وَقُرِئَ: (وَالصَّابِرُونَ)، وَقُرِئَ: (وَالْمُوفِينَ) (وَالصَّابِرِينَ).

وَ﴿الْبَأْسَاءِ﴾[4]: الْفَقْرُ وَالشِّدَّةُ.

﴿وَالضَّرَّاءِ﴾[5]: الْمَرَضُ وَالزَّمَانَةُ.

﴿صَدَقُوا﴾[6]: كَانُوا صَادِقِينَ جَادِّينَ فِي الدِّينِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ

---

1 سورة الْبَقَرَة، الآية .

2 سورة الْبَقَرَة، الآية .

3 سورة الْبَقَرَة، الآية .

4 سورة الْبَقَرَة، الآية .

5 سورة الْبَقَرَة، الآية .

6 سورة الْبَقَرَة، الآية .

ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]

عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَعَطَاءٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ –رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ–: أَنَّ الْحُرَّ لَا يُقْتَلُ بِالْعَبْدِ، وَالذَّكَرَ لَا يُقْتَلُ بِالْأُنْثَى أَخَذًا بِهَذِهِ الْآيَةِ وَيَقُولُونَ: هِيَ مُفَسِّرَةٌ لِمَا أُبْهِمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[2]؛ وَلِأَنَّ تِلْكَ وَارِدَةٌ لِحِكَايَةِ مَا كُتِبَ فِي التَّوْرَاةِ عَلَى أَهْلِهَا، وَهَذِهِ خُوطِبَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ مَا فِيهَا.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، وَالشَّعْبِيِّ، وَالنَّخَعِيِّ، وَقَتَادَةَ، وَالثَّوْرِيِّ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ: أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[3]: وَالْقِصَاصُ ثَابِتٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَيَسْتَدِلُّونَ بِقَوْلِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ"، وَبِأَنَّ التَّفَاضُلَ غَيْرُ مُعْتَبَرٍ فِي الْأَنْفُسِ، بِدَلِيلِ أَنَّ جَمَاعَةً لَوْ قَتَلُوا وَاحِدًا قُتِلُوا بِهِ.

وَرُوِيَ: "أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ حَيَّيْنِ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ دِمَاءً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِأَحَدِهِمَا طَوْلٌ عَلَى الْآخَرِ، فَأَقْسَمُوا لَنَقْتُلَنَّ الْحُرَّ مِنْكُمْ بِالْعَبْدِ مِنَّا، وَالذَّكَرَ بِالْأُنْثَى، وَالِاثْنَيْنِ بِالْوَاحِدِ، فَتَحَاكَمُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حِينَ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَنَزَلَتْ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَبَاؤُوا".

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾[4]، مَعْنَاهُ: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ جِهَةِ أَخِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْعَفْوِ، عَلَى أَنَّهُ كَقَوْلِكَ: سِيرَ بِزَيْدٍ بَعْضُ السَّيْرِ، وَطَائِفَةٌ مِنَ السَّيْرِ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ (شَيْءٌ) فِي مَعْنَى الْمَفْعُولِ بِهِ، لِأَنَّ "عَفَا": لَا يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ بِهِ إِلَّا بِوَاسِطَةٍ، وَأَخُوهُ: هُوَ وَلِيُّ الْمَقْتُولِ، وَقِيلَ لَهُ أَخُوهُ؛ لِأَنَّهُ لَابَسَهُ مِنْ قِبَلِ أَنَّهُ وَلِيُّ الدَّمِ وَمُطَالِبُهُ بِهِ، كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ: قُلْ لِصَاحِبِكَ كَذَا، لِمَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ أَدْنَى مُلَابَسَةٍ، أَوْ ذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْأُخُوَّةِ؛ لِيَعْطِفَ أَحَدَهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ بِذِكْرِ مَا هُوَ ثَابِتٌ بَيْنَهُمَا مِنَ الْجِنْسِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْمَائِدَة، الآية 45.

[3] سورة الْمَائِدَة، الآية 45.

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ (عُفِيَ) يَتَعَدَّى بِعَنْ لَا بِاللَّامِ، فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾[1]؟

قُلْتُ: يَتَعَدَّى بِعَنْ إِلَى الْجَانِي وَإِلَى الذَّنْبِ، فَيُقَالُ: عَفَوْتُ عَنْ فُلَانٍ وَعَنْ ذَنْبِهِ. قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾[2]، وَقَالَ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾[3]؛ فَإِذَا تَعَدَّى إِلَى الذَّنْبِ وَالْجَانِي مَعًا، قِيلَ: عَفَوْتُ لِفُلَانٍ عَمَّا جَنَى، كَمَا تَقُولُ: غَفَرْتُ لَهُ ذَنْبَهُ وَتَجَاوَزْتُ لَهُ عَنْهُ، وَعَلَى هَذَا مَا فِي الْآيَةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ عِنْدَ جِنَايَتِهِ، فَاسْتُغْنِيَ عَنْ ذِكْرِ الْجِنَايَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا فَسَّرْتَ (عُفِيَ) بِ(تُرِكَ) حَتَّى يَكُونَ (شَيْءٌ) فِي مَعْنَى الْمَفْعُولِ بِهِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ عَفَا الشَّيْءَ بِمَعْنَى تَرَكَهُ لَيْسَ يَثْبُتُ، وَلَكِنْ أَعْفَاهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "وَأَعْفُوا اللِّحَى".

فَإِنْ قُلْتَ: فَقَدْ ثَبَتَ قَوْلُهُمْ: عَفَا أَثَرَهُ إِذَا مَحَاهُ وَأَزَالَهُ، فَهَلَّا جَعَلْتَ مَعْنَاهُ: فَمَنْ مُحِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ؟

قُلْتُ: عِبَارَةٌ قَلِقَةٌ فِي مَكَانِهَا، وَالْعَفْوُ فِي بَابِ الْجِنَايَاتِ عِبَارَةٌ مُتَدَاوَلَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَاسْتِعْمَالِ النَّاسِ، فَلَا يُعْدَلُ عَنْهَا إِلَى أُخْرَى قَلِقَةٍ نَابِيَةٍ عَنْ مَكَانِهَا، وَتَرَى كَثِيرًا مِمَّنْ يَتَعَاطَى هَذَا الْعِلْمَ يَجْتَرِئُ –إِذَا أُعْضِلَ عَلَيْهِ تَخْرِيجُ وَجْهٍ لِلْمُشْكِلِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ– عَلَى اخْتِرَاعِ لُغَةٍ وَادِّعَاءِ عَلَى الْعَرَبِ مَا لَا تَعْرِفُهُ، وَهَذِهِ جُرْأَةٌ يُسْتَعَاذُ بِاللَّهِ مِنْهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قِيلَ: شَيْءٌ مِنَ الْعَفْوِ؟

قُلْتُ: لِلْإِشْعَارِ بِأَنَّهُ إِذَا عُفِيَ لَهُ طَرَفٌ مِنَ الْعَفْوِ وَبَعْضٌ مِنْهُ بِأَنْ يُعْفَى عَنْ بَعْضِ الدَّمِ، أَوْ عَفَا عَنْهُ بَعْضُ الْوَرَثَةِ تَمَّ الْعَفْوُ وَسَقَطَ الْقِصَاصُ، وَلَمْ تَجِبْ إِلَّا الدِّيَةُ.

﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾[4]: فَلْيَكُنِ اتِّبَاعٌ، أَوْ فَالْأَمْرُ اتِّبَاعٌ، وَهَذِهِ تَوْصِيَةٌ لِلْمَعْفُوِّ عَنْهُ وَالْعَافِي جَمِيعًا، يَعْنِي: فَلْيَتَّبِعِ الْوَلِيُّ الْقَاتِلَ بِالْمَعْرُوفِ بِأَنْ لَا يُعَنِّفَ بِهِ وَلَا يُطَالِبَهُ إِلَّا مُطَالَبَةً جَمِيلَةً، وَلْيُؤَدِّ إِلَيْهِ الْقَاتِلُ بَدَلَ الدَّمِ أَدَاءً بِإِحْسَانٍ، بِأَنْ لَا يَمْطُلَهُ وَلَا يَبْخَسَهُ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة التَّوْبَة، الآية 43.

[3] سورة الْمَائِدَة، الآية 101.

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿ذَلِكَ﴾[1]: الْحُكْمُ الْمَذْكُورُ مِنَ الْعَفْوِ وَالدِّيَةِ ﴿تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾[2]، لِأَنَّ أَهْلَ التَّوْرَاةِ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِصَاصُ الْبَتَّةَ وَحُرِّمَ الْعَفْوُ وَأَخْذُ الدِّيَةَ، وَعَلَى أَهْلِ الْإِنْجِيلِ الْعَفْوُ وَحُرِّمَ الْقِصَاصُ وَالدِّيَةُ، وَخُيِّرَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ بَيْنَ الثَّلَاثِ: الْقِصَاصُ، وَالدِّيَةُ، وَالْعَفْوُ؛ تَوْسِعَةً عَلَيْهِمْ وَتَيْسِيرًا.

﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾[3]: التَّخْفِيفِ، فَتَجَاوَزَ مَا شُرِعَ لَهُ مِنْ قَتْلِ غَيْرِ الْقَاتِلِ، أَوِ الْقَتْلِ بَعْدَ أَخْذِ الدِّيَةِ، فَقَدْ كَانَ الْوَلِيُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُؤَمِّنُ الْقَاتِلَ بِقَبُولِهِ الدِّيَةَ، ثُمَّ يَظْفَرُ بِهِ فَيَقْتُلُهُ.

﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4]: نَوْعٌ مِنَ الْعَذَابِ شَدِيدِ الْأَلَمِ فِي الْآخِرَةِ.

وَعَنْ قَتَادَةَ : الْعَذَابُ الْأَلِيمُ أَنْ يُقْتَلَ لَا مَحَالَةَ وَلَا يُقْبَلَ مِنْهُ دِيَةٌ، لِقَوْلِهِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ–: "لَا أُعَافِي أَحَدًا قَتَلَ بَعْدَ أَخْذِهِ الدِّيَةَ".

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[5]: كَلَامٌ فَصِيحٌ لِمَا فِيهِ مِنَ الْغَرَابَةِ، وَهُوَ أَنَّ الْقِصَاصَ قَتْلٌ وَتَفْوِيتٌ لِلْحَيَاةِ، وَقَدْ جُعِلَ مَكَانًا وَظَرْفًا لِلْحَيَاةِ، وَمِنْ إِصَابَةِ مَحَزِّ الْبَلَاغَةِ بِتَعْرِيفِ الْقِصَاصِ وَتَنْكِيرِ الْحَيَاةِ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: وَلَكُمْ فِي هَذَا الْجِنْسِ مِنَ الْحُكْمِ الَّذِي هُوَ الْقِصَاصُ حَيَاةٌ عَظِيمَةٌ.

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتُلُونَ بِالْوَاحِدِ الْجَمَاعَةَ، وَكَمْ قَتَلَ مُهَلْهِلٌ بِأَخِيهِ كُلَيْبٍ حَتَّى كَادَ يُفْنِي بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ، وَكَانَ يُقْتَلُ بِالْمَقْتُولِ غَيْرُ قَاتِلِهِ فَتَثُورُ الْفِتْنَةُ وَيَقَعُ بَيْنَهُمُ التَّنَاحُرُ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ بِشَرْعِ الْقِصَاصِ كَانَتْ فِيهِ حَيَاةٌ، أَيَّ حَيَاةٍ، أَوْ نَوْعٌ مِنَ الْحَيَاةِ، وَهِيَ الْحَيَاةُ الْحَاصِلَةُ بِالِارْتِدَاعِ عَنِ الْقَتْلِ، لِوُقُوعِ الْعِلْمِ بِالِاقْتِصَاصِ مِنَ الْقَاتِلِ، لِأَنَّهُ إِذَا هَمَّ بِالْقَتْلِ فَعَلِمَ أَنَّهُ يُقْتَصُّ مِنْهُ فَارْتَدَعَ سَلِمَ صَاحِبُهُ مِنَ الْقَتْلِ، وَسَلِمَ هُوَ مِنَ الْقَوَدِ، فَكَانَ الْقِصَاصُ سَبَبَ حَيَاةِ نَفْسَيْنِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَقَرَأَ أَبُو الْجَوْزَاءِ: (وَلَكُمْ فِي الْقَصَصِ حَيَاةٌ)، أَيْ فِيمَا قُصَّ عَلَيْكُمْ مِنْ حُكْمِ الْقَتْلِ، الْقِصَاصُ – وَقِيلَ الْقَصَصُ –: الْقُرْآنُ، أَيْ: (وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ)، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾[1]، ﴿وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[2].

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3]، أَيْ أَرَيْتُكُمْ مَا فِي الْقِصَاصِ مِن اسْتِبْقَاءِ الْأَرْوَاحِ وَحِفْظِ النُّفُوسِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4]: تَعْمَلُونَ عَمَلَ أَهْلِ التَّقْوَى فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْقِصَاصِ وَالْحُكْمِ بِهِ، وَهُوَ خِطَابٌ لَهُ فَضْلُ اخْتِصَاصٍ بِالْأَئِمَّةِ.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَفَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[5]

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾[6]: إِذَا دَنَا مِنْهُ وَظَهَرَتْ أَمَارَاتُهُ، ﴿خَيْرًا﴾[7]: مَالًا كَثِيرًا.

عَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–: أَنَّ رَجُلًا أَرَادَ الْوَصِيَّةَ وَلَهُ عِيَالٌ وَأَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ، فَقَالَتْ: مَا أَرَى فِيهِ فَضْلًا، وَأَرَادَ آخَرُ أَنْ يُوصِيَ فَسَأَلَتْهُ: كَمْ مَالُكَ؟ فَقَالَ: ثَلَاثَةُ آلَافٍ، قَالَتْ: كَمْ عِيَالُكَ؟ قَالَ: أَرْبَعَةٌ، قَالَتْ: إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾[8] وَإِنَّ هَذَا الشَّيْءَ يَسِيرٌ فَاتْرُكْهُ لِعِيَالِكَ.

---

1 سورة الشُّورَى، الآية 52.

2 سورة الْأَنْفَالِ، الآية 42.

3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

8 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: أَنَّ مَوْلًى لَهُ أَرَادَ أَنْ يُوصِيَ وَلَهُ سَبْعُمِائَةٍ فَمَنَعَهُ، وَقَالَ: قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾[1]، وَالْخَيْرُ هُوَ الْمَالُ، وَلَيْسَ لَكَ مَالٌ، وَالْوَصِيَّةُ فَاعِلُ كُتِبَ، وَذُكِّرَ فِعْلُهَا لِلْفَاصِلِ، وَلِأَنَّهَا بِمَعْنَى أَنْ يُوصِيَ، وَلِذَلِكَ ذُكِرَ الرَّاجِعُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾[2]، وَالْوَصِيَّةُ لِلْوَارِثِ كَانَتْ فِي بَدْءِ الْإِسْلَامِ فَنُسِخَتْ بِآيَةِ الْمَوَارِيثِ، وَبِقَوْلِهِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ أَلَا لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ"، وَبِتَلَقِّي الْأُمَّةِ إِيَّاهُ بِالْقَبُولِ حَتَّى لَحِقَ بِالْمُتَوَاتِرِ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْآحَادِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَتَلَقَّوْنَ بِالْقَبُولِ إِلَّا الثَّبَتَ الَّذِي صَحَّتْ رِوَايَتُهُ، وَقِيلَ: لَمْ تُنْسَخْ، وَالْوَارِثُ يُجْمَعُ لَهُ بَيْنَ الْوَصِيَّةِ وَالْمِيرَاثِ بِحُكْمِ الْآيَتَيْنِ.

وَقِيلَ: مَا هِيَ بِمُخَالِفَةٍ لِآيَةِ الْمَوَارِيثِ، وَمَعْنَاهَا: كُتِبَ عَلَيْكُمْ مَا أَوْصَى بِهِ اللَّهُ مِنْ تَوْرِيثِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ مِنْ قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾[3]، أَوْ كُتِبَ عَلَى الْمُحْتَضَرِ أَنْ يُوصِيَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِتَوْفِيرِ مَا أَوْصَى بِهِ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ لَا يُنْقَصَ مِنْ أَنْصِبَائِهِمْ.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾[4]: بِالْعَدْلِ، وَهُوَ أَنْ لَا يُوصِيَ لِلْغَنِيِّ وَيَدَعَ الْفَقِيرَ وَلَا يَتَجَاوَزَ الثُّلُثَ ﴿حَقًّا﴾[5]: مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ، أَيْ حُقَّ ذَلِكَ حَقًّا.

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾[6]: فَمَنْ غَيَّرَ الْإِيصَاءَ عَنْ وَجْهِهِ إِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ وَالشُّهُودِ.

﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾[7]: وَتَحَقَّقَهُ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة النِّسَاء، الآية 11.

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾[1]: فَمَا إِثْمُ الْإِيصَاءِ الْمُغَيَّرِ أَوِ التَّبْدِيلِ إِلَّا عَلَى مُبَدِّلِيهِ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُوصِي وَالْمُوصَى لَهُ، لِأَنَّهُمَا بَرِيَّانِ مِنَ الْحَيْفِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]: وَعِيدٌ لِلْمُبَدِّلِ.

﴿فَمَنْ خَافَ﴾[3]: فَمَنْ تَوَقَّعَ وَعَلِمَ، وَهَذَا فِي كَلَامِهِمْ شَائِعٌ يَقُولُونَ: أَخَافُ أَنْ تُرْسَلَ السَّمَاءُ، يُرِيدُونَ التَّوَقُّعَ وَالظَّنَّ الْغَالِبَ الْجَارِيَ مَجْرَى الْعِلْمِ.

﴿جَنَفًا﴾[4]: مَيْلًا عَنِ الْحَقِّ بِالْخَطَأِ فِي الْوَصِيَّةِ.

﴿أَوْ إِثْمًا﴾[5]: أَوْ تَعَمُّدًا لِلْحَيْفِ.

﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾[6]: بَيْنَ الْمُوصَى لَهُمْ –وَهُمُ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ– بِإِجْرَائِهِمْ عَلَى طَرِيقِ الشَّرْعِ.

﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[7]: حِينَئِذٍ، لِأَنَّ تَبْدِيلَهُ تَبْدِيلُ بَاطِلٍ إِلَى حَقٍّ، ذَكَرَ مَنْ يُبَدِّلُ بِالْبَاطِلِ ثُمَّ مَنْ يُبَدِّلُ بِالْحَقِّ؛ لِيُعْلِمَ أَنَّ كُلَّ تَبْدِيلٍ لَا يُؤَثَّمُ.

***** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[8]

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[8] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[1]: عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى عَهْدِكُمْ .

قَالَ عَلِيٌّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: أَوَّلُهُمْ آدَمُ، يَعْنِي: أَنَّ الصَّوْمَ عِبَادَةٌ قَدِيمَةٌ أَصْلِيَّةٌ، مَا أَخْلَى اللَّهُ أُمَّةً مِنِ افْتِرَاضِهَا عَلَيْهِمْ، لَمْ يَفْرِضْهَا عَلَيْكُمْ وَحْدَكُمْ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]: بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، وَتَعْظِيمِهَا لِأَصَالَتِهَا وَقِدَمِهَا، أَوْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الْمَعَاصِيَ، لِأَنَّ الصَّائِمَ أَظْلَفُ لِنَفْسِهِ وَأَرْدَعُ لَهَا مِنْ مُوَاقَعَةِ السُّوءِ، قَالَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ" أَوْ لَعَلَّكُمْ تَنْتَظِمُونَ فِي زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ، لِأَنَّ الصَّوْمَ شِعَارُهُمْ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: إِنَّهُ كَصَوْمِهِمْ فِي عَدَدِ الْأَيَّامِ وَهُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ، كُتِبَ عَلَى أَهْلِ الْإِنْجِيلِ فَأَصَابَهُمْ مَوْتَانٍ، فَزَادُوا عَشْرًا قَبْلَهُ وَعَشْرًا بَعْدَهُ، فَجَعَلُوهُ خَمْسِينَ يَوْمًا، وَقِيلَ: كَانَ وُقُوعُهُ فِي الْبَرْدِ الشَّدِيدِ وَالْحَرِّ الشَّدِيدِ، فَشُقَّ عَلَيْهِمْ فِي أَسْفَارِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ فَجَعَلُوهُ بَيْنَ الشِّتَاءِ وَالرَّبِيعِ ، وَزَادُوا عِشْرِينَ يَوْمًا كَفَّارَةً لِتَحْوِيلِهِ عَنْ وَقْتِهِ، وَقِيلَ: الْأَيَّامُ الْمَعْدُودَاتُ: عَاشُورَاءُ، وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، كُتِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– صِيَامُهَا حِينَ هَاجَرَ، ثُمَّ نُسِخَتْ بِشَهْرِ رَمَضَانَ، وَقِيلَ: كُتِبَ عَلَيْكُمْ كَمَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقُوا الْمُفْطِرَ بَعْدَ أَنْ يُصَلُّوا الْعِشَاءَ وَبَعْدَ أَنْ يَنَامُوا، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾[3] الْآيَةَ، وَمَعْنَى "مَعْدُودَاتٍ" مُوَقَّتَاتٍ بِعَدَدٍ مَعْلُومٍ، أَوْ قَلَائِلَ، كَقَوْلِهِ: ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[4]، وَأَصْلُهُ أَنَّ الْمَالَ الْقَلِيلَ يُقَدَّرُ بِالْعَدَدِ وَيُتَحَكَّرُ فِيهِ، وَالْكَثِيرَ يُهَالُ هَيْلًا وَيُحْثَى حَثْيًا، وَانْتِصَابُ "أَيَّامًا" بِالصِّيَامِ، كَقَوْلِكَ: نَوَيْتُ الْخُرُوجَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾[5]: أَوْ رَاكِبٌ سَفْرٌ، "فَعِدَّةٌ": فَعَلَيْهِ عِدَّةٌ، وَقُرِئَ بِالنَّصْبِ بِمَعْنَى: فَلْيَصُمْ عِدَّةً، وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ الرُّخْصَةِ، وَقِيلَ: مَكْتُوبٌ عَلَيْهِمَا أَنْ يُفْطِرَا وَيَصُومَا عِدَّةً ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[6].

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية 187.

[4] سورة وسُفَ، الآية 20.

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَاخْتُلِفَ فِي الْمَرَضِ الْمُبِيحِ لِلْإِفْطَارِ، فَمِنْ قَائِلٍ: كُلُّ مَرَضٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– لَمْ يَخُصَّ مَرَضًا دُونَ مَرَضٍ كَمَا لَمْ يَخُصَّ سَفَرًا دُونَ سَفَرٍ، فَكَمَا أَنَّ لِكُلِّ مُسَافِرٍ أَنْ يُفْطِرَ، فَكَذَلِكَ كُلُّ مَرِيضٍ .

وَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ دُخِلَ عَلَيْهِ فِي رَمَضَانَ وَهُوَ يَأْكُلُ فَاعْتَلَّ بِوَجَعِ أُصْبُعِهِ .

وَسُئِلَ مَالِكٌ عَنِ الرَّجُلِ يُصِيبُهُ الرَّمَدُ الشَّدِيدُ أَوِ الصُّدَاعُ الْمُضِرُّ وَلَيْسَ بِهِ مَرَضٌ يُضْجِعُهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ فِي سَعَةٍ مِنَ الْإِفْطَارِ، وَقَائِلٌ: هُوَ الْمَرَضُ الَّذِي يَعْسُرُ مَعَهُ الصَّوْمُ وَيَزِيدُ فِيهِ، لِقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾[1].

وَعَنِ الشَّافِعِيِّ: لَا يُفْطِرُ حَتَّى يُجْهِدَهُ الْجُهْدَ غَيْرَ الْمُحْتَمَلِ، وَاخْتُلِفَ –أَيْضًا– فِي الْقَضَاءِ، فَعَامَّةُ الْعُلَمَاءِ عَلَى التَّخْيِيرِ، وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرَخِّصْ لَكُمْ فِي فِطْرِهِ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَلَيْكُمْ فِي قَضَائِهِ، إِنْ شِئْتَ فَوَاتِرْ، وَإِنْ شِئْتَ فَفَرِّقْ ."

وَعَنْ عَلِيٍّ، وَابْنِ عُمَرَ، وَالشَّعْبِيِّ، وَغَيْرِهِمْ، أَنَّهُ يَقْضِي كَمَا فَاتَ مُتَتَابِعًا، وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: "فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ مُتَتَابِعَاتٍ".

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ قِيلَ: "فَعِدَّةٌ": عَلَى التَّنْكِيرِ، وَلَمْ يُقَلْ: فَعِدَّتُهَا، أَيْ فَعِدَّةُ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ؟

قُلْتُ: لَمَّا قِيلَ: فَعِدَّةٌ وَالْعِدَّةُ بِمَعْنَى الْمَعْدُودِ فَأُمِرَ بِأَنْ يَصُومَ أَيَّامًا مَعْدُودَةً مَكَانَهَا عُلِمَ أَنَّهُ لَا يُؤَثِّرُ عَدَدٌ عَلَى عَدَدِهَا، فَأَغْنَى ذَلِكَ عَنِ التَّعْرِيفِ بِالْإِضَافَةِ .

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾[2]: وَعَلَى الْمُطِيقِينَ لِلصِّيَامِ الَّذِينَ لَا عُذْرَ بِهِمْ إِنْ أَفْطَرُوا.

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[3]: نِصْفُ صَاعٍ مِنْ بُرٍّ أَوْ صَاعٌ مِنْ غَيْرِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ مُدٌّ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي بَدْءِ الْإِسْلَامِ: فُرِضَ عَلَيْهِمُ الصَّوْمُ وَلَمْ يَتَعَوَّدُوهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ، فَرُخِّصَ لَهُمْ فِي الْإِفْطَارِ وَالْفِدْيَةِ.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (يُطَوَّقُونَهُ) تَفْعِيلٌ مِنَ الطَّوْقِ إِمَّا بِمَعْنَى الطَّاقَةِ أَوِ الْقِلَادَةِ، أَيْ يُكَلَّفُونَهُ أَوْ يُقَلَّدُونَهُ وَيُقَالُ لَهُمْ صُومُوا، وَعَنْهُ "يَتَطَوَّقُونَهُ" بِمَعْنَى يَتَكَلَّفُونَهُ أَوْ يَتَقَلَّدُونَهُ،

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية 185.

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَ"يُطَوَّقُونَهُ" بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الطَّاءِ، وَ"يُطِيقُونَهُ" وَ"يَطِيقُونَهُ" بِمَعْنَى يَتَطَوَّقُونَهُ، وَأَصْلُهُمَا: يُطَيْوَقُونَهُ وَيُتَطَيْوَقُونَهُ، عَلَى أَنَّهُمَا مِنْ فَيْعَلَ وَتَفَعْيَلَ مِنَ الطَّوْقِ، فَأُدْغِمَتِ الْيَاءُ فِي الْوَاوِ بَعْدَ قَلْبِهَا يَاءً كَقَوْلِهِمْ: تُدِيرُ الْمَكَانَ وَمَا بِهَا دَيَّارٌ، وَفِيهِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: نَحْوُ مَعْنَى يُطِيقُونَهُ.

وَالثَّانِي: يُكَلَّفُونَهُ أَوْ يَتَكَلَّفُونَهُ عَلَى جُهْدٍ مِنْهُمْ وَعُسْرٍ، وَهُمُ الشُّيُوخُ وَالْعَجَائِزُ، وَحُكْمُ هَؤُلَاءِ الْإِفْطَارُ وَالْفِدْيَةُ، وَهُوَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ثَابِتٌ غَيْرُ مَنْسُوخٍ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَعْنَى يُطِيقُونَهُ، أَيْ: يَصُومُونَهُ جُهْدَهُمْ وَطَاقَتَهُمْ وَمَبْلَغَ وُسْعِهِمْ.

﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾[1]: فَزَادَ عَلَى مِقْدَارِ الْفِدْيَةِ.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾[2]: فَالتَّطَوُّعُ أَخْيَرُ لَهُ أَوِ الْخَيْرُ، وَقُرِئَ: (فَمَنْ يَطَّوَّعُ)، بِمَعْنَى يَتَطَوَّعُ.

﴿وَأَنْ تَصُومُوا﴾[3]: أَيُّهَا الْمُطِيقُونَ أَوِ الْمُطَوَّقُونَ، وَحَمَلْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَجَهَدْتُمْ طَاقَتَكُمْ، ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾[4]: مِنَ الْفِدْيَةِ وَتَطَوُّعِ الْخَيْرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَظِمَ فِي الْخِطَابِ الْمَرِيضُ وَالْمُسَافِرُ –أَيْضًا– وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: (وَالصِّيَامُ خَيْرٌ لَكُمْ).

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[5]

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

الرَّمَضَانُ: مَصْدَرُ رَمَضَ إِذَا احْتَرَقَ –مِنَ الرَّمْضَاءِ–، فَأُضِيفَ إِلَيْهِ الشَّهْرُ وَجُعِلَ عَلَمًا، وَمُنِعَ الصَّرْفَ لِلتَّعْرِيفِ وَالْأَلِفِ وَالنُّونِ كَمَا قِيلَ: "ابْنُ دَايَةَ" لِلْغُرَابِ بِإِضَافَةِ الِابْنِ إِلَى دَايَةِ الْبَعِيرِ؛ لِكَثْرَةِ وُقُوعِهِ عَلَيْهَا إِذَا دَبَرَتْ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ سُمِّيَ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾[1]؟

قُلْتُ: الصَّوْمُ فِيهِ عِبَادَةٌ قَدِيمَةٌ، فَكَأَنَّهُمْ سَمَّوْهُ بِذَلِكَ لِارْتِمَاضِهِمْ فِيهِ مِنْ حَرِّ الْجُوعِ وَمُقَاسَاةِ شِدَّتِهِ، كَمَا سَمَّوْهُ: نَاتِقًا، لِأَنَّهُ كَانَ يَنْتِقُهُمْ، أَيْ: يُزْعِجُهُمْ؛ إِضْجَارًا بِشِدَّتِهِ عَلَيْهِمْ، وَقِيلَ: لَمَّا نَقَلُوا أَسْمَاءَ الشُّهُورِ عَنِ اللُّغَةِ الْقَدِيمَةِ سَمَّوْهَا بِالْأَزْمِنَةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا، فَوَافَقَ هَذَا الشَّهْرُ أَيَّامَ رَمْضِ الْحَرِّ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِذَا كَانَتِ التَّسْمِيَةُ وَاقِعَةً مَعَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَمَا وَجْهُ مَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا"، "مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ.

قُلْتُ: هُوَ مِنْ بَابِ الْحَذْفِ، لِأَمْنِ الْإِلْبَاسِ، كَمَا قَالَ:

بِمَا أَعْيَا النَّطَاسِيَّ حَذِيمَا

أَرَادَ ابْنَ حَذِيمٍ.

وَارْتِفَاعُهُ عَلَى أَنَّهُ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[2]: أَوْ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الصِّيَامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[3] أَوْ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، وَقُرِئَ بِالنَّصْبِ عَلَى: صُومُوا شَهْرَ رَمَضَانَ، أَوْ عَلَى الْإِبْدَالِ مِنْ ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾[4] أَوْ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ ﴿وَأَنْ تَصُومُوا﴾[5].

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية 183.

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية 184.

وَمَعْنَى: ﴿أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[1]: ابْتُدِئَ فِيهِ إِنْزَالُهُ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَقِيلَ: أُنْزِلَ جُمْلَةً إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ نُجُومًا، وَقِيلَ: أُنْزِلَ فِي شَأْنِهِ الْقُرْآنُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[2]، كَمَا تَقُولُ: أُنْزِلَ فِي عُمَرَ كَذَا، وَفِي عَلِيٍّ كَذَا.

وَعَنِ النَّبِيِّ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامِ–: "نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَالْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مَضَيْنَ".

﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ [3]نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: أُنْزِلَ وَهُوَ هِدَايَةٌ لِلنَّاسِ إِلَى الْحَقِّ، وَهُوَ آيَاتٌ وَاضِحَاتٌ مَكْشُوفَاتٌ مِمَّا يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى﴾[4] بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾[5]؟

قُلْتُ: ذَكَرَ أَوَّلًا أَنَّهُ هُدًى، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ بَيِّنَاتٌ مِنْ جُمْلَةِ مَا هَدَى بِهِ اللَّهُ، وَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ مِنْ وَحْيِهِ وَكُتُبِهِ السَّمَاوِيَّةِ الْهَادِيَةِ الْفَارِقَةِ بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ.

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[6]: فَمَنْ كَانَ شَاهِدًا، أَيْ حَاضِرًا مُقِيمًا غَيْرَ مُسَافِرٍ فِي الشَّهْرِ، فَلْيَصُمْ فِيهِ وَلَا يُفْطِرْ، وَالشَّهْرُ: مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِ وَكَذَلِكَ الْهَاءُ فِي: ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾[7]، وَلَا يَكُونُ مَفْعُولًا بِهِ كَقَوْلِكَ: شَهِدْتُ الْجُمُعَةَ؛ لِأَنَّ الْمُقِيمَ وَالْمُسَافِرَ كِلَاهُمَا شَاهِدَانِ لِلشَّهْرِ.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾[8]: أَنْ يُيَسِّرَ عَلَيْكُمْ وَلَا يُعَسِّرَ، وَقَدْ نَفَى عَنْكُمُ الْحَرَجَ فِي الدِّينِ، وَأَمَرَكُمْ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ الَّتِي لَا إِصْرَ فِيهَا، وَجُمْلَةُ ذَلِكَ مَا رَخَّصَ لَكُمْ فِيهِ مِنْ إِبَاحَةِ الْفِطْرِ فِي السَّفَرِ وَالْمَرَضِ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ فَرَضَ الْفِطْرَ عَلَى الْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ، حَتَّى زَعَمَ أَنَّ مَنْ صَامَ مِنْهُمَا فَعَلَيْهِ الْإِعَادَةُ .

---

1 سورة الْبَقَرَة، الآية .
2 سورة الْبَقَرَة، الآية .
3 سورة الْبَقَرَة، الآية .
4 سورة الْبَقَرَة، الآية .
5 سورة الْبَقَرَة، الآية .
6 سورة الْبَقَرَة، الآية .
7 سورة الْبَقَرَة، الآية .
8 سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَقُرِئَ: (الْيُسُرَ، وَالْعُسُرَ) بِضَمَّتَيْنِ، الْفِعْلُ الْمُعَلَّلُ مَحْذُوفٌ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ بِمَا سَبَقَ تَقْدِيرُهُ .

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]: شَرَعَ ذَلِكَ، يَعْنِي: جُمْلَةَ مَا ذَكَرَ مِنْ أَمْرِ الشَّاهِدِ بِصَوْمِ الشَّهْرِ وَأَمْرِ الْمُرَخَّصِ لَهُ بِمُرَاعَاةِ عِدَّةِ مَا أَفْطَرَ فِيهِ، وَمِنَ التَّرْخِيصِ فِي إِبَاحَةِ الْفِطْرِ، فَقَوْلُهُ: ﴿لِتُكْلِمُوا﴾[2] عِلَّةُ الْأَمْرِ بِمُرَاعَاةِ الْعِدَّةِ ﴿وَلِتُكَبِّرُوا﴾[3] عِلَّةُ مَا عُلِمَ مِنْ كَيْفِيَّةِ الْقَضَاءِ وَالْخُرُوجِ عَنْ عُهْدَةِ الْفِطْرِ.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4]: عِلَّةُ التَّرْخِيصِ وَالتَّيْسِيرِ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ اللَّفِّ لَطِيفُ الْمَسْلَكِ لَا يَكَادُ يَهْتَدِي إِلَى تَبَيُّنِهِ إِلَّا النَّقَّابُ الْمُحَدِّثُ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ، وَإِنَّمَا عُدِّيَ فِعْلُ التَّكْبِيرِ بِحَرْفِ الِاسْتِعْلَاءِ لِكَوْنِهِ مُضَمَّنًا مَعْنَى الْحَمْدِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ حَامِدِينَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ، وَمَعْنَى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[5] وَإِرَادَةَ أَنْ تَشْكُرُوا، وَقُرِئَ: (وَلِتُكَمِّلُوا) بِالتَّشْدِيدِ .

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ (وَلِتُكْمِلُوا) مَعْطُوفًا عَلَى عِلَّةٍ مُقَدَّرَةٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ لِتَعْلَمُوا مَا تَعْمَلُونَ، وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ، أَوْ عَلَى الْيُسْرِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ، وَيُرِيدُ بِكُمْ لِتُكْمِلُوا، كَقَوْلِهِ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾[6]؟

قُلْتُ: لَا يَبْعُدُ ذَلِكَ، وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْمُرَادُ بِالتَّكْبِيرِ؟

قُلْتُ: تَعْظِيمُ اللَّهِ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: هُوَ تَكْبِيرُ يَوْمِ الْفِطْرِ، وَقِيلَ: هُوَ التَّكْبِيرُ عِنْدَ الْإِهْلَالِ .

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[7]

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الصَّفِّ، الآية 8.

[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[1] تَمْثِيلٌ لِحَالِهِ فِي سُهُولَةِ إِجَابَتِهِ لِمَنْ دَعَاهُ وَسُرْعَةِ إِنْجَاحِهِ حَاجَةَ مَنْ سَأَلَهُ بِحَالِ مَنْ قَرُبَ مَكَانُهُ، فَإِذَا دَعَى أَسْرَعْتُ تَلْبِيَتَهُ، وَنَحْوُهُ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[2]]ق: 16] وَقَوْلُهُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "هُوَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَعْنَاقِ رَوَاحِلِكُمْ".

وَرُوِيَ أَنْ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أَقَرِيبٌ رَبُّنَا فَنُنَاجِيهِ، أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيهِ؟ فَنَزَلَتْ".

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾[3]: إِذَا دَعَوْتُهُمْ لِلْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، كَمَا أَنِّي أُجِيبُهُمْ إِذَا دَعَوْنِي لِحَوَائِجِهِمْ، وَقُرِئَ (يَرْشَدُونَ وَيَرْشِدُونَ) بِفَتْحِ الشِّينِ وَكَسْرِهَا.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[4]

كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَمْسَى حَلَّ لَهُ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالْجِمَاعُ إِلَى أَنْ يُصَلِّيَ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ أَوْ يَرْقُدَ، فَإِذَا صَلَّاهَا أَوْ رَقَدَ، وَلَمْ يُفْطِرْ، حَرُمَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَالنِّسَاءُ إِلَى الْقَابِلَةِ.

ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وَاقَعَ أَهْلَهُ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَلَمَّا اغْتَسَلَ أَخَذَ يَبْكِي وَيَلُومُ نَفْسَهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكَ مِنْ نَفْسِي هَذِهِ الْخَاطِئَةَ وَأَخْبَرَهُ بِمَا فَعَلَ، فَقَالَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة ق، الآية 16.

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَالسَّلَامُ–: "مَا كُنْتَ جَدِيرًا بِذَلِكَ يَا عُمَرُ"، فَقَامَ رِجَالٌ، فَاعْتَرَفُوا بِمَا كَانُوا صَنَعُوا بَعْدَ الْعِشَاءِ، فَنَزَلَتْ.

وَقُرِئَ: (أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثَ) أَيْ أَحَلَّ اللَّهُ، وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: (الرُّفُوثُ)، وَهُوَ الْإِفْصَاحُ بِمَا يَجِبُ أَنْ يُكَنَّى عَنْهُ، كَلَفْظِ النَّيْكِ، وَقَدْ أَرْفَثَ الرَّجُلُ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ أَنْشَدَ وَهُوَ مُحْرِمٌ :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسَا إِنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا

فَقِيلَ لَهُ: أَرَفَثْتَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا الرَّفَثُ مَا كَانَ عِنْدَ النِّسَاءِ، وَقَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ﴾[1]، فَكَنَّى بِهِ عَنِ الْجِمَاعِ، لِأَنَّهُ لَا يَكَادُ يَخْلُو مِنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ كَنَّى عَنْهُ هَهُنَا بِلَفْظِ الرَّفَثِ الدَّالِّ عَلَى مَعْنَى الْقُبْحِ بِخِلَافِ قَوْلِهِ: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾[2]، ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾[3]: ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾[4]، ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[5]، ﴿دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾[6]، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾[7]، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾[8]، ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾[9]، ﴿ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ﴾[10]؟

قُلْتُ: اسْتِهْجَانًا لِمَا وُجِدَ مِنْهُمْ قَبْلَ الْإِبَاحَةِ، كَمَا سَمَّاهُ اخْتِيَانًا لِأَنْفُسِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ عُدِّيَ الرَّفَثُ بِإِلَى؟

قُلْتُ: لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى الْإِفْضَاءِ، لَمَّا كَانَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ يَعْتَنِقَانِ، وَيَشْتَمِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ فِي عِنَاقِهِ، شُبِّهَ بِاللِّبَاسِ الْمُشْتَمِلِ عَلَيْهِ.

قَالَ الْجَعْدِيُّ:

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية 197.

[2] سورة النِّسَاء، الآية 21.

[3] سورة]الْأَعْرَاف، الآية 189.

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة النِّسَاء، الآية 43.

[6] سورة النِّسَاء، الآية 23.

[7] سورة الْبَقَرَة، الآية 223.

[8] سورة الْبَقَرَة، الآية 237.

[9] سورة النِّسَاء، الآية 24.

[10] سورة الْبَقَرَة، الآية 222.

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى عِطْفَهَا تَثَنَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسَا

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَوْقِعُ قَوْلِهِ: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾[1]؟

قُلْتُ: هُوَ اسْتِئْنَافٌ كَالْبَيَانِ لِسَبَبِ الْإِحْلَالِ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ مِثْلُ هَذِهِ الْمُخَالَطَةِ وَالْمُلَابَسَةِ قَلَّ صَبْرُكُمْ عَنْهُنَّ، وَصَعُبَ عَلَيْكُمُ اجْتِنَابُهُنَّ، فَلِذَلِكَ رُخِّصَ لَكُمْ فِي مُبَاشَرَتِهِنَّ: ﴿تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾[2] تَظْلِمُونَهَا، وَتَنْقُصُونَهَا حَظَّهَا مِنَ الْخَيْرِ، وَالِاخْتِيَانُ مِنَ الْخِيَانَةِ، كَالِاكْتِسَابِ مِنَ الْكَسْبِ فِيهِ زِيَادَةٌ وَشِدَّةٌ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[3] حِينَ تُبْتُمْ مِمَّا ارْتَكَبْتُمْ مِنَ الْمَحْظُورِ، ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[4]: وَاطْلُبُوا مَا قَسَمَ اللَّهُ لَكُمْ وَأَثْبَتَ فِي اللَّوْحِ مِنَ الْوَلَدِ بِالْمُبَاشِرَةِ، أَيْ: لَا تُبَاشِرُوا لِقَضَاءِ الشَّهْوَةِ وَحْدَهَا، وَلَكِنْ لِابْتِغَاءِ مَا وَضَعَ اللَّهُ لَهُ النِّكَاحَ مِنَ التَّنَاسُلِ، وَقِيلَ: هُوَ نَهْيٌ عَنِ الْعَزْلِ، لِأَنَّهُ فِي الْحَرَائِرِ، وَقِيلَ: وَابْتَغُوا الْمَحَلَّ الَّذِي كَتَبَهُ اللَّهُ لَكُمْ وَحَلَّلَهُ دُونَ مَا لَمْ يَكْتُبْ لَكُمْ مِنَ الْمَحَلِّ الْمُحَرَّمِ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْإِبَاحَةِ بَعْدَ الْحَظْرِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (وَاتَّبِعُوا)، وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: (وَأَتُوا)، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَاطْلُبُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَمَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الثَّوَابِ إِنْ أَصَبْتُمُوهَا وَقُمْتُمُوهَا، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ بِدَعِ التَّفَاسِيرِ.

﴿الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾[5] هُوَ أَوَّلُ مَنْ يَبْدُو مِنَ الْفَجْرِ الْمُعْتَرِضِ فِي الْأُفُقِ كَالْخَيْطِ الْمَمْدُودِ، وَ ﴿الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾[6]: مَا يَمْتَدُّ مَعَهُ مِنْ غَبَشِ اللَّيْلِ، شُبِّهَا بِخَيْطَيْنِ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ.

قَالَ أَبُو دواد:

فَلَمَّا أَضَاءَتْ لَنَا سَدْفَةٌ وَلَاحَ مِنَ الصُّبْحِ خَيْطٌ أَنَارَا

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَقَوْلُهُ: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾[1]: بَيَانٌ لِلْخَيْطِ الْأَبْيَضِ، وَاكْتُفِيَ بِهِ عَنْ بَيَانِ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ، لِأَنَّ بَيَانَ أَحَدِهِمَا بَيَانٌ لِلثَّانِي، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ﴿مِنَ﴾[2] لِلتَّبْعِيضِ، لِأَنَّهُ بَعْضُ الْفَجْرِ وَأَوَّلُهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَهَذَا مِنْ بَابِ الِاسْتِعَارَةِ أَمْ مِنْ بَابِ التَّشْبِيهِ؟

قُلْتُ: قَوْلُهُ: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾[3]: أَخْرَجَهُ مِنْ بَابِ الِاسْتِعَارَةِ، كَمَا أَنَّ قَوْلَكَ: رَأَيْتُ أَسَدًا مَجَازًا، فَإِذَا زِدْتَ: (مِنْ فُلَانٍ): رَجَعَ تَشْبِيهًا.

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ زِيدَ: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾[4] حَتَّى كَانَ تَشْبِيهًا؟ وَهَلَّا اقْتُصِرَ بِهِ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ الَّتِي هِيَ أَبْلَغُ مِنَ التَّشْبِيهِ وَأَدْخَلُ فِي الْفَصَاحَةِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ مِنْ شَرْطِ الْمُسْتَعَارِ أَنْ يَدُلَّ عَلَيْهِ الْحَالُ أَوِ الْكَلَامُ، وَلَوْ لَمْ يُذْكَرْ: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾[5]: لَمْ يُعْلَمْ أَنَّ الْخَيْطَيْنِ مُسْتَعَارَانِ فَزِيدَ ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾[6] فَكَانَ تَشْبِيهًا بَلِيغًا، وَخَرَجَ مِنْ أَنْ يَكُونَ اسْتِعَارَةً.

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ الْتَبَسَ عَلَى عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ مَعَ هَذَا الْبَيَانِ حَتَّى قَالَ: عَمَدْتُ إِلَى عِقَالَيْنِ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ، فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِي، فَكُنْتُ أَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَنْظُرُ إِلَيْهِمَا فَلَا يَتَبَيَّنُ لِي الْأَبْيَضُ مِنَ الْأَسْوَدِ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَخْبَرْتُهُ، فَضَحِكَ وَقَالَ: "إِنْ كَانَ وِسَادُكَ لَعَرِيضًا "وَرُوِيَ: "إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْقَفَا، إِنَّمَا ذَاكَ بَيَاضُ النَّهَارِ وَسَوَادُ اللَّيْلِ"؟

قُلْتُ: غَفَلَ عَنِ الْبَيَانِ، وَلِذَلِكَ عَرَّضَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَفَاهُ، لِأَنَّهُ مِمَّا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى بَلَاهَةِ الرَّجُلِ، وَقِلَّةِ فِطْنَتِهِ.

وَأَنْشَدَتْنِي بَعْضُ الْبَدَوِيَّاتِ لِبَدَوِيٍّ:

عَرِيضُ الْقَفَا مِيزَانُهُ فِي شِمَالِـــــــــهِ قَدِ انْحَصَّ مِنْ حَسْبِ الْقَرَارِيطِ شَارِبُهْ

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا تَقُولُ فِيمَا رُوِيَ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ: أَنَّهَا نَزَلَتْ وَلَمْ يَنْزِلْ ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾[1]، فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلِهِ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ وَالْخَيْطَ الْأَسْوَدَ، فَلَا يَزَالُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ حَتَّى يَتَبَيَّنَا لَهُ، فَنَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾[2]، فَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ؟ وَكَيْفَ جَازَ تَأْخِيرُ الْبَيَانِ، وَهُوَ يُشْبِهُ الْعَبَثَ، حَيْثُ لَا يُفْهَمُ مِنْهُ الْمُرَادُ، إِذْ لَيْسَ بِاسْتِعَارَةٍ لِفَقْدِ الدَّلَالَةَ، وَلَا بِتَشْبِيهِ قَبْلَ ذِكْرِ الْفَجْرِ، فَلَا يُفْهَمُ مِنْهُ إِذَنْ إِلَّا الْحَقِيقَةُ وَهِيَ غَيْرُ مُرَادَةٍ؟

قُلْتُ: أَمَّا مَنْ لَمْ يُجَوِّزْ تَأْخِيرَ الْبَيَانِ –وَهُمْ أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي عَلِيٍّ وَأَبِي هَاشِمٍ –فَلَمْ يَصِحَّ عِنْدَهُمْ هَذَا الْحَدِيثُ.

وَأَمَّا مَنْ يُجَوِّزُهُ، فَيَقُولُ: لَيْسَ بِعَبَثٍ، لِأَنَّ الْمُخَاطَبَ يَسْتَفِيدُ مِنْهُ وُجُوبَ الْخِطَابِ، وَيَعْزِمُ عَلَى فِعْلِهِ إِذَا اسْتَوْضَحَ الْمُرَادَ مِنْهُ.

﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[3] قَالُوا: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ النِّيَّةِ بِالنَّهَارِ فِي صَوْمِ رَمَضَانَ، وَعَلَى جَوَازِ تَأْخِيرِ الْغُسْلِ إِلَى الْفَجْرِ، وَعَلَى نَفْيِ صَوْمِ الْوِصَالِ.

﴿عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾[4]: مُعْتَكِفُونَ فِيهَا، وَالِاعْتِكَافُ: أَنْ يَحْبِسَ نَفْسَهُ فِي الْمَسْجِدِ يَتَعَبَّدُ فِيهِ، وَالْمُرَادُ بِالْمُبَاشِرَةِ الْجِمَاعُ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ، فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾[5]، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَلَا تُلَامِسُوهُنَّ بِشَهْوَةٍ، وَالْجِمَاعُ يُفْسِدُ الِاعْتِكَافَ وَكَذَلِكَ إِذَا لَمَسَ أَوْ قَبَّلَ فَأَنْزَلَ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا اعْتَكَفَ خَرَجَ فَبَاشَرَ امْرَأَتَهُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَنَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالُوا: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الِاعْتِكَافَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ، وَأَنَّهُ لَا يَخْتَصُّ بِهِ مَسْجِدٌ دُونَ مَسْجِدٍ، وَقِيلَ: لَا يَجُوزُ إِلَّا فِي مَسْجِدِ نَبِيٍّ وَهُوَ أَحَدُ الْمَسَاجِدِ

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

الثَّلَاثَةِ، وَقِيلَ: فِي مَسْجِدٍ جَامِعٍ، وَالْعَامَّةُ عَلَى أَنَّهُ فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ، وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ: (فِي الْمَسْجِدِ) ﴿تِلْكَ﴾[1]: الْأَحْكَامُ الَّتِي ذُكِرَتْ: ﴿حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا﴾[2]: فَلَا تَغْشَوهَا .

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قِيلَ: ﴿فَلا تَقْرَبُوهَا﴾[3] مَعَ قَوْلِهِ: ﴿فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾[4]؟

قُلْتُ: مَنْ كَانَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَالْعَمَلِ بِشَرَائِعِهِ فَهُوَ مُتَصَرِّفٌ فِي حَيِّزِ الْحَقِّ، فَنُهِيَ أَنْ يَتَعَدَّاهُ؛ لِأَنَّ مَنْ تَعَدَّاهُ وَقَعَ فِي حَيِّزِ الْبَاطِلِ، ثُمَّ بُولِغَ فِي ذَلِكَ فَنُهِيَ أَنْ يَقْرَبَ الْحَدَّ الَّذِي هُوَ الْحَاجِزُ بَيْنَ حَيِّزَيِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ لِئَلَّا يُدَانِيَ الْبَاطِلَ، وَأَنْ يَكُونَ فِي الْوَاسِطَةِ مُتَبَاعِدًا عَنِ الطَّرَفِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَتَخَطَّاهُ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، وَحِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ فَمَنْ رَتَعَ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ"، فَالرَّتْعُ حَوْلَ الْحِمَى وَقُرْبَانُ حَيِّزِهِ وَاحِدٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِحُدُودِ اللَّهِ مَحَارِمَهُ، وَمَنَاهِيَهُ خُصُوصًا، لِقَوْلِهِ: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾[5]، وَهِيَ حُدُودٌ لَا تُقْرَبُ.

﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[6]

وَلَا يَأْكُلْ بَعْضُكُمْ مَالَ بَعْضٍ ﴿بِالْبَاطِلِ﴾[7]: بِالْوَجْهِ الَّذِي لَمْ يُبِحْهُ اللَّهُ وَلَمْ يَشْرَعْهُ، ﴿وَ﴾[8] لَا ﴿تُدْلُوا بِهَا﴾[9]: وَلَا تُلْقُوا أَمْرَهَا وَالْحُكُومَةَ فِيهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴿لِتَأْكُلُوا﴾[10]:

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية 229.
[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[8] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[9] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[10] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

بِالتَّحَاكُمِ ﴿فَرِيقًا﴾[1]: طَائِفَةً ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ﴾[2]: بِشَهَادَةِ الزُّورِ، أَوْ بِالْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ، أَوْ بِالصُّلْحِ، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الْمَقْضِيَّ لَهُ ظَالِمٌ.

وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ لِلْخَصْمَيْنِ: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَأَنْتُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ، فَلَا يَأْخُذَنَّ مِنْهُ شَيْئًا، فَإِنَّمَا أَقْضِي لَهُ قِطْعَةً مِنْ نَارٍ" فَبَكَيَا وَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: حَقِّي لِصَاحِبِي، فَقَالَ: "اذْهَبَا فَتَوَخَّيَا، ثُمَّ اسْتَهِمَا ثُمَّ لِيُحَلِّلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ".

وَقِيلَ: ﴿وَتُدْلُوا بِهَا﴾[3]: وَتُلْقُوا بَعْضَهَا إِلَى حُكَّامِ السُّوءِ عَلَى وَجْهِ الرِّشْوَةِ، وَتُدْلُوا: مَجْزُومٌ دَاخِلٌ فِي حُكْمِ النَّهْيِ، أَوْ مَنْصُوبٌ بِإِضْمَارِ (أَنْ) كَقَوْلِهِ: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾[4].

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5]: أَنَّكُمْ عَلَى الْبَاطِلِ، وَارْتِكَابُ الْمَعْصِيَةِ مَعَ الْعِلْمِ بِقُبْحِهَا أَقْبَحُ، وَصَاحِبُهُ أَحَقُّ بِالتَّوْبِيخِ.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[6]

وَرُوِيَ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ وَثَعْلَبَةَ بْنَ غَنْمٍ الْأَنْصَارِيَّ قَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَالُ الْهِلَالِ يَبْدُو دَقِيقًا مِثْلَ الْخَيْطِ ثُمَّ يَزِيدُ حَتَّى يَمْتَلِئَ وَيَسْتَوِيَ، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَنْقُصُ حَتَّى يَعُودَ كَمَا بَدَأَ لَا يَكُونُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ؟

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية 42.

5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

فَنَزَلَتْ ﴿مَوَاقِيتُ﴾[1]: مَعَالِمُ يُوَقِّتُ بِهَا النَّاسُ مَزَارِعَهُمْ، وَمَتَاجِرَهُمْ وَمَحَالَّ دُيُونِهِمْ، وَصَوْمَهُمْ، وَفِطْرَهُمْ، وَعِدَدَ نِسَائِهِمْ، وَأَيَّامَ حَيْضِهِنَّ، وَمُدَدَ حَمْلِهِنَّ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَمَعَالِمُ لِلْحَجِّ يُعْرَفُ بِهَا وَقْتُهُ.

كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِذَا أَحْرَمُوا لَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَائِطًا، وَلَا دَارًا وَلَا فُسْطَاطًا مِنْ بَابٍ، فَإِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ نَقَبَ نَقْبًا فِي ظَهْرِ بَيْتِهِ مِنْهُ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ، أَوْ يَتَّخِذُ سُلَّمًا يَصْعَدُ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْوَبَرِ خَرَجَ مِنْ خَلْفِ الْخِبَاءِ، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾[2]: بِتَحَرُّجِكُمْ مِنْ دُخُولِ الْبَابِ ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾[3]: بِرُّ ﴿مَنِ اتَّقَى﴾[4]: مَا حَرَّمَ اللَّهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ اتِّصَالِهِ بِمَا قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُمْ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ عَنِ الْأَهِلَّةِ وَعَنِ الْحِكْمَةِ فِي نُقْصَانِهَا وَتَمَامِهَا: مَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– لَا يَكُونُ إِلَّا حِكْمَةً بَالِغَةً وَمَصْلَحَةً لِعِبَادِهِ، فَدَعُوا السُّؤَالَ عَنْهُ، وَانْظُرُوا فِي وَاحِدَةٍ تَفْعَلُونَهَا أَنْتُمْ مِمَّا لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ فِي شَيْءٍ وَأَنْتُمْ تَحْسَبُونَهَا بِرًّا، وَيَجُوزُ أَنْ يَجْرِيَ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِطْرَادِ لِمَا ذُكِرَ أَنَّهَا مَوَاقِيتُ لِلْحَجِّ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَفْعَالِهِمْ فِي الْحَجِّ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا تَمْثِيلًا لِتَعْكِيسِهِمْ فِي سُؤَالِهِمْ، وَأَنَّ مَثَلَهُمْ فِيهِ كَمَثَلِ مَنْ يَتْرُكُ بَابَ الْبَيْتِ وَيَدْخُلُهُ مِنْ ظَهْرِهِ.

وَالْمَعْنَى: لَيْسَ الْبِرُّ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونُوا عَلَيْهِ بِأَنْ تَعْكِسُوا فِي مَسَائِلِكُمْ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ بِرُّ مَنِ اتَّقَى ذَلِكَ وَتَجَنَّبَهُ، وَلَمْ يَجْسُرْ عَلَى مِثْلِهِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[5]، أَيْ: وَبَاشِرُوا الْأُمُورَ مِنْ وُجُوهِهَا الَّتِي يَجِبُ أَنْ تُبَاشَرَ عَلَيْهَا وَلَا تَعْكِسُوا، وَالْمُرَادُ: وُجُوبُ تَوْطِينِ النُّفُوسِ، وَرَبْطِ الْقُلُوبِ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ أَفْعَالِ اللَّهِ حِكْمَةٌ وَصَوَابٌ، مِنْ غَيْرِ اخْتِلَاجِ شُبْهَةٍ وَلَا اعْتِرَاضِ شَكٍّ فِي ذَلِكَ حَتَّى لَا يُسْأَلَ عَنْهُ؛ لِمَا فِي السُّؤَالِ مِنَ الِاتِّهَامِ بِمُقَارَفَةِ الشَّكِّ، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[6].

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْأَنْبِيَاء، الآية 21.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1]

الْمُقَاتَلَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: هُوَ الْجِهَادُ، لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَإِعْزَازِ الدِّينِ، ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[2]: الَّذِينَ يُنَاجِزُونَكُمُ الْقِتَالَ دُونَ الْمُحَاجِزِينَ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَنْسُوخًا بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾[3].

وَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: هِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ بِالْمَدِينَةِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يُقَاتِلُ مَنْ قَاتَلَ وَيَكُفُّ عَمَّنْ كَفَّ، أَوِ الَّذِينَ يُنَاصِبُونَكُمُ الْقِتَالَ دُونَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْمُنَاصَبَةِ مِنَ الشُّيُوخِ وَالصِّبْيَانِ وَالرُّهْبَانِ وَالنِّسَاءِ، أَوِ الْكَفَرَةَ كُلَّهُمْ، لِأَنَّهُمْ جَمِيعًا مُضَادُّونَ لِلْمُسْلِمِينَ قَاصِدُونَ لِمُقَاتَلَتِهِمْ، فَهُمْ فِي حُكْمِ الْمُقَاتِلَةِ، قَاتَلُوا أَوْ لَمْ يُقَاتِلُوا.

وَقِيلَ: لَمَّا صَدَّ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَصَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يَرْجِعَ مِنْ قَابِلٍ فَيُخْلُوا لَهُ مَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَرَجَعَ لِعُمْرَةِ الْقَضَاءِ خَافَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ لَا يَفِيَ لَهُمْ قُرَيْشٌ وَيَصُدُّوهُمْ وَيُقَاتِلُوهُمْ فِي الْحَرَمِ وَفِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَكَرِهُوا ذَلِكَ، نَزَلَتْ، وَأُطْلِقَ لَهُمْ قِتَالُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَهُمْ مِنْهُمْ فِي الْحَرَمِ وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَرُفِعَ عَنْهُمُ الْجُنَاحُ فِي ذَلِكَ.

﴿وَلا تَعْتَدُوا﴾[4]: بِابْتِدَاءِ الْقِتَالِ، أَوْ بِقِتَالِ مَنْ نُهِيتُمْ عَنْ قِتَالِهِ مِنَ النِّسَاءِ وَالشُّيُوخِ وَالصِّبْيَانِ، وَالَّذِينَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ عَهْدٌ، أَوْ بِالْمُثْلَةِ أَوْ بِالْمُفَاجَأَةِ مِنْ غَيْرِ دَعْوَةٍ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة التَّوْبَةِ، الآية 36.

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [1]حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ فِي حِلٍّ أَوْ حَرَمٍ، وَالثَّقَفُ: وُجُودٌ عَلَى وَجْهِ الْأَخْذِ وَالْغَلَبَةِ، وَمِنْهُ: رَجُلٌ ثَقِفٌ سَرِيعُ الْآخِذِ لِأَقْرَانِهِ.

قَالَ:

فَإِمَّا تَثْقَفُونِي فَاقْتُلُونِي فَمَنْ أَثْقَفْ فَلَيْسَ إِلَى خُلُودِ

﴿مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾[2]، أَيْ: مِنْ مَكَّةَ وَقَدْ فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَنْ لَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ يَوْمَ الْفَتْحِ، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[3]، أَيِ: الْمِحْنَةُ وَالْبَلَاءُ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْإِنْسَانِ يَتَعَذَّبُ بِهِ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنَ الْقَتْلِ.

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: مَا أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَمَنَّى فِيهِ الْمَوْتَ، جُعِلَ الْإِخْرَاجُ مِنَ الْوَطَنِ مِنَ الْفِتَنِ وَالْمِحَنِ الَّتِي يَتَمَنَّى عِنْدَهَا الْمَوْتَ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْقَائِلِ:

لَقَتْلٌ بِحَدِّ السَّيْفِ أَهْوَنُ مَوْقِعًا عَلَى النَّفْسِ مَنْ قَتْلٍ بِحَدِّ فِرَاقِ

وَقِيلَ: "الْفِتْنَةُ": عَذَابُ الْآخِرَةِ ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾[4]، وَقِيلَ: الشِّرْكُ أَعْظَمُ مِنَ الْقَتْلِ فِي الْحَرَمِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَعْظِمُونَ الْقَتْلَ فِي الْحَرَمِ وَيَعِيبُونَ بِهِ الْمُسْلِمِينَ، فَقِيلَ: وَالشِّرْكُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِمَّا يَسْتَعْظِمُونَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: وَفِتْنَتُهُمْ إِيَّاكُمْ بِصَدِّكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَشَدُّ مِنْ قَتْلِكُمْ إِيَّاهُمْ فِي الْحَرَمِ، أَوْ مِنْ قَتْلِهِمْ إِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلُوكُمْ فَلَا تُبَالُوا بِقِتَالِهِمْ، وَقُرِئَ: (وَلَا تَقْتُلُوهُمْ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ): جُعِلَ وُقُوعُ الْقَتْلِ فِي بَعْضِهِمْ كَوُقُوعِهِ فِيهِمْ، يُقَالُ: قَتَلَتْنَا بَنُو فُلَانٍ، وَقَالَ: فَإِنْ تَقْتُلُونَا نَقْتُلْكُمْ .

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الذَّارِيَاتِ، الآية 13.

﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾[1]: عَنِ الشِّرْكِ وَالْقِتَالِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[2]، ﴿حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[3]، أَيْ: شِرْكٌ ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾[4]: خَالِصًا لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَصِيبٌ.

﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾[5]: عَنِ الشِّرْكِ، ﴿فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[6]: فَلَا تَعْدُوا عَلَى الْمُنْتَهِينَ، لِأَنَّ مُقَاتَلَةَ الْمُنْتَهِينَ عُدْوَانٌ وَظُلْمٌ، فَوُضِعَ قَوْلُهُ: ﴿إِلاّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[7] مَوْضِعَ عَلَى الْمُنْتَهِينَ، أَوْ فَلَا تَظْلِمُوا إِلَّا الظَّالِمِينَ غَيْرَ الْمُنْتَهِينَ، سُمِّيَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ظُلْمًا لِلْمُشَاكَلَةِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾[8]، أَوْ أُرِيدَ: أَنَّكُمْ إِنْ تَعَرَّضْتُمْ لَهُمْ بَعْدَ الِانْتِهَاءِ كُنْتُمْ ظَالِمِينَ، فَيُسَلَّطُ عَلَيْكُمْ مَنْ يَعْدُو عَلَيْكُمْ.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[9]

قَاتَلَهُمُ الْمُشْرِكُونَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَهُوَ ذُو الْقِعْدَةِ، فَقِيلَ لَهُمْ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ لِعُمْرَةِ الْقَضَاءِ وَكَرَاهَتِهِمُ الْقِتَالَ وَذَلِكَ فِي ذِي الْقِعْدَةِ: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامُ﴾[10]، أَيْ: هَذَا الشَّهْرُ بِذَلِكَ الشَّهْرِ وَهَتْكُهُ بِهَتْكِهِ، يَعْنِي: تَهْتِكُونَ حُرْمَتَهُ عَلَيْهِمْ كَمَا هَتَكُوا حُرْمَتَهُ عَلَيْكُمْ.

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
2 سورة الْأَنْفَالِ، الآية 38.
3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
8 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
9 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
10 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾[1]، أَيْ: وَكُلُّ حُرْمَةٍ يَجْرِي فِيهَا الْقِصَاصُ مِنْ هَتْكِ حُرْمَةٍ أَيَّ حُرْمَةٍ كَانَتِ، اقْتَصَّ مِنْهُ بِأَنْ تَهْتِكَ لَهُ حُرْمَةً، فَحِينَ هَتَكُوا حُرْمَةَ شَهْرِكُمْ فَافْعَلُوا بِهِمْ نَحْوَ ذَلِكَ وَلَا تُبَالُوا، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[2]: فِي حَالِ كَوْنِكُمْ مُنْتَصِرِينَ مِمَّنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ، فَلَا تَعْتَدُوا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ.

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[3]

الْبَاءُ فِي: ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾[4]: مَزِيدَةٌ مِثْلُهَا فِي أَعْطَى بِيَدِهِ لِلْمُنْقَادِ. وَالْمَعْنَى: وَلَا تَقْبِضُوا التَّهْلُكَةَ بِأَيْدِيكُمْ، أَيْ: لَا تَجْعَلُوهَا آخِذَةً بِأَيْدِيكُمْ مَالِكَةً لَكُمْ، وَقِيلَ: ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾[5] بِأَنْفُسِكُمْ.

وَقِيلَ تَقْدِيرُهُ: وَلَا تُلْقُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ، كَمَا يُقَالُ: أَهْلَكَ فُلَانٌ نَفْسَهُ بِيَدِهِ، إِذَا تَسَبَّبَ لِهَلَاكِهَا، وَالْمَعْنَى: النَّهْيُ عَنْ تَرْكِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ سَبَبُ الْهَلَاكِ أَوْ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي النَّفَقَةِ حَتَّى يُفْقِرَ نَفْسَهُ وَيُضِيعَ عِيَالَهُ، أَوْ عَنِ الِاسْتِقْتَالِ وَالْإِخْطَارِ بِالنَّفْسِ، أَوْ عَنْ تَرْكِ الْغَزْوِ الَّذِي هُوَ تَقْوِيَةٌ لِلْعَدُوِّ.

وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَمَلَ عَلَى صَفِّ الْعَدُوِّ فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ: أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ: نَحْنُ أَعْلَمُ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِينَا، صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَنَصَرْنَاهُ، وَشَهِدْنَا مَعَهُ الْمَشَاهِدَ، وَآثَرْنَاهُ عَلَى أَهَالِينَا وَأَمْوَالِنَا وَأَوْلَادِنَا، فَلَمَّا فَشَا الْإِسْلَامُ وَكَثُرَ أَهْلُهُ وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، رَجَعْنَا إِلَى أَهَالِينَا

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَأَوْلَادِنَا وَأَمْوَالِنَا نُصْلِحُهَا وَنُقِيمُ فِيهَا، فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الْإِقَامَةَ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَتَرْكَ الْجِهَادِ.

وَحَكَى أَبُو عَلِيٍّ فِي "الْحَلَبِيَّاتِ" عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، التَّهْلُكَةُ وَالْهَلَاكُ وَالْهَلَكُ وَاحِدٌ، قَالَ: فَدَلَّ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي عُبَيْدَةَ عَلَى أَنَّ التَّهْلُكَةَ مَصْدَرٌ، وَمِثْلُهُ مَا حَكَاهُ سِيبَوَيْهِ مِنْ قَوْلِهِمُ التَّضُرَّةُ وَالتَّسُرَّةُ وَنَحْوُهَا فِي الْأَعْيَانِ: التَّنْضُبَةُ وَالتَّنْفُلَةُ، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: أَصْلُهَا التَّهْلِكَةُ كَالتَّجْرِبَةِ وَالتَّبْصِرَةِ وَنَحْوِهِمَا، عَلَى أَنَّهَا مَصْدَرٌ مِنْ هَلَكَ فَأُبْدِلَتْ مِنَ الْكَسْرَةِ ضَمَّةٌ، كَمَا جَاءَ الْجِوَارُ فِي الْجُوَارِ.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[2]: ائْتُوا بِهِمَا تَامَّيْنِ كَامِلَيْنِ بِمَنَاسِكِهِمَا وَشَرَائِطِهِمَا لِوَجْهِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ تَوَانٍ وَلَا نُقْصَانٍ يَقَعُ مِنْكُمْ فِيهِمَا.

قَالَ:

تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا عَلَى خَرْقَاءَ وَاضِعَةِ اللِّثَامِ

جُعِلَ الْوُقُوفُ عَلَيْهَا، كَبَعْضِ مَنَاسِكِ الْحَجِّ الَّذِي لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ، وَقِيلَ: إِتْمَامُهُمَا أَنْ تَحْرِمَ بِهِمَا مِنْ دُوَيْرَةِ أَهْلِكَ.

رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ–، وَقِيلَ: أَنْ تُفْرِدَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سَفَرًا، كَمَا قَالَ مُحَمَّدٌ: حَجَّةٌ كُوفِيَّةٌ وَعُمْرَةٌ كُوفِيَّةٌ أَفْضَلُ، وَقِيلَ: أَنْ تَكُونَ

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

النَّفَقَةُ حَلَالًا، وَقِيلَ: أَنْ تُخَلِّصُوهُمَا لِلْعِبَادَةِ وَلَا تَشُوبُوهُمَا بِشَيْءٍ مِنَ التِّجَارَةِ وَالْأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ الْعُمْرَةِ؟

قُلْتُ: مَا هُوَ إِلَّا أَمْرٌ بِإِتْمَامِهِمَا، وَلَا دَلِيلَ فِي ذَلِكَ عَلَى كَوْنِهِمَا وَاجِبَيْنِ أَوْ تَطَوُّعَيْنِ، فَقَدْ يُؤْمَرُ بِإِتْمَامِ الْوَاجِبِ وَالتَّطَوُّعِ جَمِيعًا، إِلَّا أَنْ تَقُولَ: الْأَمْرُ بِإِتْمَامِهِمَا أَمْرٌ بِأَدَائِهِمَا، بِدَلِيلِ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: (وَأَقِيمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ) وَالْأَمْرُ لِلْوُجُوبِ فِي أَصْلِهِ، إِلَّا أَنْ يَدُلَّ دَلِيلٌ عَلَى خِلَافِ الْوُجُوبِ، كَمَا دَلَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاصْطَادُوا﴾[1]، ﴿فَانْتَشِرُوا﴾[2]، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَيُقَالُ لَكَ: فَقَدْ دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى نَفْيِ الْوُجُوبِ، وَهُوَ مَا رُوِيَ أَنَّهُ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْعُمْرَةُ وَاجِبَةٌ مِثْلُ الْحَجِّ؟ قَالَ: "لَا، وَلَكِنْ أَنْ تَعْتَمِرَ خَيْرٌ لَكَ "وَعَنْهُ: "الْحَجُّ جِهَادٌ، وَالْعُمْرَةُ تَطَوُّعٌ".

فَإِنْ قُلْتَ: فَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْعُمْرَةَ لَقَرِينَةُ الْحَجِّ .

وَعَنْ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: إِنِّي وَجَدْتُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ مَكْتُوبَيْنِ عَلَيَّ، أَهْلَلْتُ بِهِمَا جَمِيعًا فَقَالَ: (هُدِيتَ لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ) وَقَدْ نُظِمَتْ مَعَ الْحَجِّ فِي الْأَمْرِ بِالْإِتْمَامِ فَكَانَتْ وَاجِبَةً مِثْلَ الْحَجِّ؟

قُلْتُ: كَوْنُهَا قَرِينَةً لِلْحَجِّ أَنَّ الْقَارِنَ يَقْرِنُ بَيْنَهُمَا، وَأَنَّهُمَا يَقْتَرِنَانِ فِي الذِّكْرِ فَيُقَالُ: حَجَّ فُلَانٌ وَاعْتَمَرَ، وَالْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ، وَلِأَنَّهَا الْحَجُّ الْأَصْغَرُ، وَلَا دَلِيلَ فِي ذَلِكَ عَلَى كَوْنِهَا قَرِينَةً لَهُ فِي الْوُجُوبِ.

وَأَمَّا حَدِيثُ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– فَقَدْ فَسَّرَ الرَّجُلُ كَوْنَهُمَا مَكْتُوبَيْنِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: أَهْلَلْتُ بِهِمَا، وَإِذَا أَهَلَّ بِالْعُمْرَةِ وَجَبَتْ عَلَيْهِ كَمَا إِذَا كَبَّرَ بِالتَّطَوُّعِ مِنَ الصَّلَاةِ.

وَالدَّلِيلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَخْرَجَ الْعُمْرَةَ مِنْ صِفَةِ الْوُجُوبِ فَبَقِيَ الْحَجُّ وَحْدَهُ فِيهَا، فَهُمَا بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: "صُمْ شَهْرَ رَمَضَانَ وَسِتَّةً مِنْ شَوَّالٍ" فِي أَنَّكَ تَأْمُرُهُ بِفَرْضٍ وَتَطَوُّعٍ .

وَقَرَأَ عَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَالشَّعْبِيُّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ–: (وَالْعُمْرَةُ لِلَّهِ) بِالرَّفْعِ، كَأَنَّهُمْ قَصَدُوا بِذَلِكَ إِخْرَاجَهَا عَنْ حُكْمِ الْحَجِّ وَهُوَ الْوُجُوبُ.

---

[1] سورة الْمَائِدَةِ، الآية 2.

[2] سورة الْأَحْزَابِ، الآية 53.

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾[1]: يُقَالُ: أُحْصِرَ فُلَانٌ إِذَا مَنَعَهُ أَمْرٌ مِنْ خَوْفٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ عَجْزٍ، قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2].

وَقَالَ ابْنُ مَيَّادَةَ:

وَمَا هَجْرُ لَيْلَى أَنْ تَكُونَ تَبَاعَدَتْ عَلَيْكَ وَلَا أَنْ أَحْصَرَتْكَ شُغُولُ

وَحُصِرَ: إِذَا حَبَسَهُ عَدُوٌّ عَنِ الْمُضِيِّ، أَوْ سَجْنٌ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمِحْبَسِ: الْحَصِيرُ، وَلِلْمَلِكِ، الْحَصِيرُ، لِأَنَّهُ مَحْجُوبٌ، هَذَا هُوَ الْأَكْثَرُ فِي كَلَامِهِمْ، وَهُمَا بِمَعْنَى الْمَنْعِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُ صَدَّهُ وَأَصَدَّهُ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْفَرَّاءُ وَأَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ، وَعَلَيْهِ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ – رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى– كُلُّ مَنْعٍ عِنْدَهُ مِنْ عَدُوٍّ كَانَ أَوْ مَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مُعْتَبَرٌ فِي إِثْبَاتِ حُكْمِ الْإِحْصَارِ، وَعِنْدَ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ: مَنْعُ الْعَدُوِّ وَحْدَهُ، وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ كُسِرَ أَوْ عُرِجَ فَقَدْ حَلَّ وَعَلَيْهِ الْحَجُّ مِنْ قَابِلٍ".

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[3]: فَمَا تَيَسَّرَ مِنْهُ، يُقَالُ: يَسَرَ الْأَمْرُ وَاسْتَيْسَرَ، كَمَا يُقَالُ: صَعُبَ وَاسْتَصْعَبَ، وَالْهَدْيُ جَمْعُ هَدْيَةٍ، كَمَا يُقَالُ فِي جَدْيَةِ السَّرْجِ جَدْيٌ، وَقُرِئَ: (مِنَ الْهَدِيِّ): بِالتَّشْدِيدِ جَمْعَ هَدِيَّةٍ كَمَطِيَّةٍ وَمَطِيٍّ، يَعْنِي: فَإِنْ مُنِعْتُمْ مِنَ الْمُضِيِّ إِلَى الْبَيْتِ وَأَنْتُمْ مُحْرِمُونَ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ فَعَلَيْكُمْ إِذَا أَرَدْتُمُ التَّحَلُّلَ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ مِنْ بَعِيرٍ أَوْ بَقَرَةٍ أَوْ شَاةٍ .

فَإِنْ قُلْتَ: أَيْنَ وَمَتَى يُنْحَرُ هَدْيُ الْمُحْصَرِ؟

قُلْتُ: إِنْ كَانَ حَاجًّا فَبِالْحَرَمِ مَتَى شَاءَ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ يَبْعَثُ بِهِ، وَيَجْعَلُ لِلْمَبْعُوثِ عَلَى يَدِهِ يَوْمَ أَمَارٍ، وَعِنْدَهُمَا فِي أَيَّامِ النَّحْرِ، وَإِنْ كَانَ مُعْتَمِرًا فَبِالْحَرَمِ فِي كُلِّ وَقْتٍ عِنْدَهُمْ جَمِيعًا.

وَ"مَا اسْتَيْسَرَ": رُفِعَ بِالِابْتِدَاءِ، أَيْ: فَعَلَيْهِ مَا اسْتَيْسَرَ، أَوْ نُصِبَ عَلَى: فَاهْدُوا مَا اسْتَيْسَرَ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية 273.

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾[1]: الْخِطَابُ لِلْمُحْصَرِينَ، أَيْ: لَا تَحِلُّوا حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّ الْهَدْيَ الَّذِي بَعَثْتُمُوهُ إِلَى الْحَرَمِ بَلَغَ، ﴿مَحِلَّهُ﴾[2]: أَيْ مَكَانَهُ الَّذِي يَجِبُ نَحْرُهُ فِيهِ، وَمَحَلُّ الدَّيْنِ وَقْتُ وُجُوبِ قَضَائِهِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَحَرَ هَدْيَهُ حَيْثُ أُحْصِرَ؟

قُلْتُ: كَانَ مَحْصَرُهُ طَرَفَ الْحُدَيْبِيَةِ الَّذِي إِلَى أَسْفَلَ مَكَّةَ وَهُوَ مِنَ الْحَرَمِ.

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَحَرَ هَدْيَهُ فِي الْحَرَمِ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: الْحُدَيْبِيَةُ هِيَ طَرَفُ الْحَرَمِ عَلَى تِسْعَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ.

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾[3]: فَمَنْ كَانَ بِهِ مَرَضٌ يُحْوِجُهُ إِلَى الْحَلْقِ، ﴿أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾[4]: وَهُوَ الْقُمَّلُ أَوِ الْجِرَاحَةُ فَعَلَيْهِ إِذَا احْتَلَقَ فَدِيَةٌ ﴿مِنْ صِيَامٍ﴾[5]: ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾[6]: عَلَى سِتَّةِ مَسَاكِينَ، لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ مِنْ بُرٍّ، ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾[7]، وَهُوَ شَاةٌ.

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لَهُ: "لَعَلَّكَ أَذَاكَ هَوَامُّكَ"؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "احْلِقْ رَأْسَكَ وَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ، أَوِ انْسُكْ شَاةً".

وَكَانَ كَعْبٌ يَقُولُ: فِيَّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

وَرُوِيَ: أَنَّهُ مَرَّ بِهِ وَقَدْ قَرِحَ رَأْسُهُ فَقَالَ: "كَفَى بِهَذَا أَذًى" وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْلِقَ وَيُطْعِمَ أَوْ يَصُومَ، وَالنُّسُكُ: مَصْدَرٌ، وَقِيلَ: جَمْعُ نَسِيكَةٍ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ: (أَوْ نُسْكٌ) بِالتَّخْفِيفِ.

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾[8]: الْإِحْصَارَ، يَعْنِي: فَإِذَا لَمْ تُحْصَرُوا وَكُنْتُمْ فِي أَمْنٍ وَسَعَةٍ ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ﴾[9]، أَيِ اسْتَمْتَعَ، ﴿بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾[10]: وَاسْتِمْتَاعُهُ بِالْعُمْرَةِ إِلَى وَقْتِ الْحَجِّ: انْتِفَاعُهُ

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[8] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[9] سورة الْبَقَرَة، الآية .

بِالتَّقَرُّبِ بِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ الِانْتِفَاعِ بِتَقَرُّبِهِ بِالْحَجِّ، وَقِيلَ: إِذَا حَلَّ مِنْ عُمْرَتِهِ انْتَفَعَ بِاسْتِبَاحَةِ مَا كَانَ مُحَرَّمًا عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يُحْرِمَ بِالْحَجِّ، ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[1]: هُوَ هَدْيُ الْمُتْعَةِ، وَهُوَ نُسُكٌ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَيَأْكُلُ مِنْهُ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ يَجْرِي مَجْرَى الْجِنَايَاتِ وَلَا يَأْكُلُ مِنْهُ، وَيَذْبَحُهُ يَوْمَ النَّحْرِ عِنْدَنَا، وَعِنْدَهُ يَجُوزُ ذَبْحُهُ إِذَا أَحْرَمَ بِحَجَّتِهِ.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾[2]: الْهَدْيَ، "فَ": عَلَيْهِ (صِيَام ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجّ 9 : أَيْ فِي وَقْتِهِ وَهُوَ أَشْهُرُهُ مَا بَيْنَ الْإِحْرَامَيْنِ إِحْرَامِ الْعُمْرَةِ وَإِحْرَامِ الْحَجِّ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ –رَحِمَهُ اللَّهُ– وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَصُومَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ وَعَرَفَةَ وَيَوْمًا قَبْلَهُمَا، وَإِنْ مَضَى هَذَا الْوَقْتُ لَمْ يُجْزِئْهُ إِلَّا الدَّمُ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: لَا تُصَامُ إِلَّا بَعْدَ الْإِحْرَامِ بِالْحَجِّ تَمَسُّكًا بِظَاهِرِ قَوْلِهِ: ﴿فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾[3]: بِمَعْنَى إِذَا نَفَرْتُمْ وَفَرَغْتُمْ مِنْ أَفْعَالِ الْحَجِّ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: هُوَ الرُّجُوعُ إِلَى أَهَالِيهِمْ.

وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عَبْلَةَ: (وَسَبْعَةً): بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾[4]، وَكَأَنَّهُ قِيلَ: (فَصِيَامُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ)، كَقَوْلِهِ: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا﴾[5].

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا فَائِدَةُ الْفَذْلَكَةِ؟

قُلْتُ: الْوَاوُ قَدْ تَجِيءُ لِلْإِبَاحَةِ فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: جَالِسِ الْحَسَنَ وَابْنَ سِيرِينَ.

أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ جَالَسَهُمَا جَمِيعًا أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا كَانَ مُمْتَثِلًا فَفَذْلَكْتَ نَفْيًا لَتَوَهُّمِ الْإِبَاحَ؟!

وَأَيْضًا فَفَائِدَةُ الْفَذْلَكَةِ فِي كُلِّ حِسَابٍ أَنْ يُعْلَمَ الْعَدَدُ جُمْلَةً كَمَا عُلِمَ تَفْصِيلًا لِيُحَاطَ بِهِ، مِنْ جِهَتَيْنِ، فَيُتَأَكَّدُ الْعِلْمُ، وَفِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ: عِلْمَانِ خَيْرٌ مِنْ عِلْمٍ، وَكَذَلِكَ: "كَامِلَةٌ": تَأْكِيدٌ آخَرُ، وَفِيهِ زِيَادَةُ تَوْصِيَةٍ بِصِيَامِهَا وَأَنْ لَا يُتَهَاوَنَ بِهَا وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عَدَدِهَا، كَمَا تَقُولُ

---

10 سورة الْبَقَرَة، الآية .

1 سورة الْبَقَرَة، الآية .

2 سورة الْبَقَرَة، الآية .

3 سورة الْبَقَرَة، الآية .

4 سورة الْبَقَرَة، الآية .

5 سورة الْبَلَد، الآيتان 14–15.

لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ لَكَ اهْتِمَامٌ بِأَمْرٍ تَأْمُرُهُ بِهِ وَكَانَ مِنْكَ بِمَنْزِلِ: اللَّهَ اللَّهَ لَا تُقَصِّرْ، وَقِيلَ: كَامِلَةٌ فِي وُقُوعِهَا بَدَلًا مِنَ الْهَدْيِ، وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: (فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ).

﴿ذَلِكَ﴾[1]: إِشَارَةٌ إِلَى التَّمَتُّعِ، عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ: لَا مُتْعَةَ وَلَا قِرَانَ لِحَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عِنْدَهُمْ، وَمَنْ تَمَتَّعَ مِنْهُمْ أَوْ قَرَنَ كَانَ عَلَيْهِ دَمٌ، وَهُوَ دَمُ جِنَايَةٍ لَا يَأْكُلُ مِنْهُ.

وَأَمَّا الْقَارِنُ وَالْمُتَمَتِّعُ مِنْ أَهْلِ الْآفَاقِ فَدَمُهُمَا دَمُ نُسُكٍ يَأْكُلَانِ مِنْهُ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: إِشَارَةٌ إِلَى الْحُكْمِ الَّذِي هُوَ وُجُوبُ الْهَدْيِ أَوِ الصِّيَامِ وَلَمْ يُوجِبْ عَلَيْهِمْ شَيْئًا.

وَحَاضِرُو الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ: أَهْلُ الْمَوَاقِيتِ فَمَنْ دُونَهَا إِلَى مَكَّةَ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: أَهْلُ الْحَرَمِ، وَمَنْ كَانَ مِنَ الْحَرَمِ عَلَى مَسَافَةٍ لَا تُقْصَرُ فِيهَا الصَّلَاةُ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[2] فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَى حُدُودِهِ وَمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ فِي الْحَجِّ وَغَيْرِهِ.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3]: لِمَنْ خَالَفَ، لِيَكُونَ عِلْمُكُمْ بِشِدَّةِ عِقَابِهِ لُطْفًا لَكُمْ فِي التَّقْوَى.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[4]

أَيْ وَقْتُ الْحَجِّ ﴿أَشْهَرٌ﴾[5]: كَقَوْلِكَ: الْبَرْدُ شَهْرَانِ، وَالْأَشْهُرُ الْمَعْلُومَاتُ: شَوَّالٌ، وَذُو الْقِعْدَةِ، وَعَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ، عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: تِسْعُ ذِي الْحِجَّةِ، وَلَيْلَةُ يَوْمِ النَّحْرِ، وَعِنْدَ مَالِكٍ: ذِي الْحِجَّةِ كُلِّهِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ تَوْقِيتِ الْحَجِّ بِهَذِهِ الْأَشْهُرِ؟

قُلْتُ: فَائِدَتُهُ أَنَّ شَيْئًا مِنْ أَفْعَالِ الْحَجِّ لَا يَصِحُّ إِلَّا فِيهَا، وَالْإِحْرَامُ بِالْحَجِّ لَا يَنْعَقِدُ -أَيْضًا- عِنْدَ الشَّافِعِيِّ فِي غَيْرِهَا، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ يَنْعَقِدُ إِلَّا أَنَّهُ مَكْرُوهٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ كَانَ الشَّهْرَانِ وَبَعْضُ الثَّالِثِ أَشْهُرٌ؟

قُلْتُ: اسْمُ الْجَمْعِ يَشْتَرِكُ فِيهِ مَا وَرَاءَ الْوَاحِدِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[1]، فَلَا سُؤَالَ فِيهِ إِذَنْ، وَإِنَّمَا كَانَ يَكُونُ مَوْضِعًا لِلسُّؤَالِ لَوْ قِيلَ: ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ مَعْلُومَاتٍ.

وَقِيلَ: نُزِّلَ بَعْضُ الشَّهْرِ مَنْزِلَةَ كُلِّهِ، كَمَا يُقَالُ: رَأَيْتُكَ سَنَةَ كَذَا، أَوْ عَلَى عَهْدِ فُلَانٍ، وَلَعَلَّ الْعَهْدَ عِشْرُونَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرُ، وَإِنَّمَا رَآهُ فِي سَاعَةٍ مِنْهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ مَذْهَبِ مَالِكٍ وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ؟

قُلْتُ: قَالُوا: إِنَّ الْعُمْرَةَ غَيْرُ مُسْتَحَبَّةٍ فِيهَا عِنْدَ عُمَرَ وَابْنِ عُمَرَ، فَكَأَنَّهَا مُخْلَصَةٌ لِلْحَجِّ لَا مَجَالَ فِيهَا لِلْعُمْرَةِ .

وَعَنْ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّهُ كَانَ يَخْفِقُ النَّاسَ بِالدِّرَّةِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الِاعْتِمَارِ فِيهِنَّ.

وَعَنْ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ لِرَجُلٍ: إِنْ أَطَعْتَنِي انْتَظَرْتَ حَتَّى إِذَا أَهْلَلْتَ الْمُحَرَّمَ خَرَجْتَ إِلَى ذَاتِ عِرْقٍ فَأَهْلَلْتَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ.

وَقَالُوا: لَعَلَّ مِنْ مَذْهَبِ عُرْوَةَ جَوَازُ تَأْخِيرِ طَوَافِ الزِّيَارَةِ إِلَى آخِرِ الشَّهْرِ.

﴿مَعْلُومَاتٌ﴾[2]: مَعْرُوفَاتٌ عِنْدَ النَّاسِ لَا يُشْكِلْنَ عَلَيْهِمْ، وَفِيهِ أَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَأْتِ عَلَى خِلَافِ مَا عَرَفُوهُ، وَإِنَّمَا جَاءَ مُقَرِّرًا لَهُ.

﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾[3]: فَمَنْ أَلْزَمَهُ نَفْسَهُ بِالتَّلْبِيَةِ أَوْ بِتَقْلِيدِ الْهَدْيِ وَسَوْقِهِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ بِالنِّيَّةِ.

---

[1] سورة التَّحْرِيم، الآية 4.

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿فَلا رَفَثَ﴾[1]: فَلَا جِمَاعَ؛ لِأَنَّهُ يُفْسِدُهُ، أَوْ فَلَا فُحْشَ مِنَ الْكَلَامِ، ﴿وَلا فُسُوقَ﴾[2]: وَلَا خُرُوجَ عَنْ حُدُودِ الشَّرِيعَةِ وَقِيلَ: هُوَ السِّبَابُ وَالتَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ، ﴿وَلا جِدَالَ﴾[3]: وَلَا مِرَاءَ مَعَ الرُّفَقَاءِ وَالْخَدَمِ وَالْمَكَّارِينَ، وَإِنَّمَا أَمْرٌ بِاجْتِنَابِ ذَلِكَ، وَهُوَ وَاجِبُ الِاجْتِنَابِ فِي كُلِّ حَالٍ؛ لِأَنَّهُ مَعَ الْحَجِّ أَسْمَجُ كَلُبْسِ الْحَرِيرِ فِي الصَّلَاةِ، وَالتَّطْرِيبِ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالْمُرَادُ بِالنَّفْيِ وُجُوبُ انْتِفَائِهَا، وَأَنَّهَا حَقِيقَةٌ بِأَنْ لَا تَكُونَ، وَقُرِئَ الْمَنْفِيَّاتُ الثَّلَاثُ بِالنَّصْبِ وَبِالرَّفْعِ، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَابْنُ كَثِيرٍ الْأَوَّلَيْنِ بِالرَّفْعِ وَالْآخِرَ بِالنَّصْبِ، لِأَنَّهُمَا حَمَلَا الْأَوَّلَيْنِ عَلَى مَعْنَى النَّهْيِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَلَا يَكُونَنَّ رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ، وَالثَّالِثَ عَلَى مَعْنَى الْإِخْبَارِ بِانْتِفَاءِ الْجِدَالِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَلَا شَكَّ وَلَا خِلَافَ فِي الْحَجِّ، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تُخَالِفُ سَائِرَ الْعَرَبِ فَتَقِفُ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، وَسَائِرُ الْعَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَةَ، وَكَانُوا يُقَدِّمُونَ الْحَجَّ سَنَةً وَيُؤَخِّرُونَهُ سَنَةً وَهُوَ النَّسِيءُ، فَرُدَّ إِلَى وَقْتٍ وَاحِدٍ وَرُدَّ الْوُقُوفُ إِلَى عَرَفَةَ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ – تَعَالَى– أَنَّهُ قَدِ ارْتَفَعَ الْخِلَافُ فِي الْحَجِّ.

وَاسْتُدِلَّ عَلَى أَنَّ الْمَنْهِيَّ عَنْهُ هُوَ الرَّفَثُ وَالْفُسُوقُ دُونَ الْجِدَالِ بِقَوْلِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"، وَأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ الْجِدَالَ.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[4]، حَثٌّ عَلَى الْخَيْرِ عَقِيبَ النَّهْيِ عَنِ الشَّرِّ، وَأَنْ يَسْتَعْمِلُوا مَكَانَ الْقَبِيحِ مِنَ الْكَلَامِ الْحَسَنِ، وَمَكَانَ الْفُسُوقِ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمَكَانَ الْجِدَالِ الْوِفَاقَ وَالْأَخْلَاقَ الْجَمِيلَةَ، أَوْ جُعِلَ فِعْلُ الْخَيْرِ عِبَارَةً عَنْ ضَبْطِ أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى لَا يُوجَدَ مِنْهُمْ مَا نُهُوا عَنْهُ، وَيَنْصُرُهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[5]، أَيِ: اجْعَلُوا زَادَكُمْ إِلَى الْآخِرَةِ اتِّقَاءَ الْقَبَائِحِ، فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ اتِّقَاؤُهَا.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَقِيلَ: كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ لَا يَتَزَوَّدُونَ وَيَقُولُونَ: نَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ، وَنَحْنُ نَحُجُّ بَيْتَ اللَّهِ أَفَلَا يُطْعِمُنَا فَيَكُونُونَ كَلًّا عَلَى النَّاسِ، فَنَزَلَتْ فِيهِمْ، وَمَعْنَاهُ: وَتَزَوَّدُوا وَاتَّقُوا الِاسْتِطْعَامَ وَإِبْرَامَ النَّاسِ وَالتَّثْقِيلَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى،

﴿وَاتَّقُونِ﴾[1] وَخَافُوا عِقَابِي، ﴿يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[2]، يَعْنِي أَنَّ قَضِيَّةَ اللُّبِّ تَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ لَمْ يَتَّقِهِ مِنَ الْأَلِبَّاءِ فَكَأَنَّهُ لَا لُبَّ لَهُ.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[3]

﴿فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ﴾[4]: عَطَاءً مِنْهُ وَتَفَضُّلًا، وَهُوَ النَّفْعُ وَالرِّبْحُ بِالتِّجَارَةِ، وَكَانَ نَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ يَتَأَثَّمُونَ أَنْ يَتَّجِرُوا أَيَّامَ الْحَجِّ، وَإِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ كَفُّوا عَنِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ فَلَمْ تَقُمْ لَهُمْ سُوقٌ، وَيُسَمُّونَ مَنْ يَخْرُجُ بِالتِّجَارَةِ الدَّاجَّ، وَيَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ الدَّاجُّ وَلَيْسُوا بِالْحَاجِّ، وَقِيلَ: كَانَتْ عُكَاظٌ وَمَجَنَّةُ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَتَّجِرُونَ فِيهَا فِي أَيَّامِ الْمَوْسِمِ، وَكَانَتْ مَعَايِشُهُمْ مِنْهَا، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ تَأَثَّمُوا فَرُفِعَ عَنْهُمُ الْجُنَاحُ فِي ذَلِكَ وَأُبِيحَ لَهُمْ، وَإِنَّمَا يُبَاحُ مَا لَمْ يَشْغَلْ عَنِ الْعِبَادَةِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: إِنَّا قَوْمٌ نُكْرَى فِي هَذَا الْوَجْهِ وَإِنَّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنْ لَا حَجَّ لَنَا، فَقَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَمَّا سَأَلْتَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ حَتَّى نَزَلَ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾[1]، فَدَعَا بِهِ فَقَالَ: "أَنْتُمْ حُجَّاجٌ".

وَعَنْ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: "هَلْ كُنْتُمْ تَكْرَهُونَ التِّجَارَةَ فِي الْحَجِّ؟ فَقَالَ: وَهَلْ كَانَتْ مَعَايِشُنَا إِلَّا مِنَ التِّجَارَةِ فِي الْحَجِّ".

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: (فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ)، (أَنْ تَبْتَغُوا) فِي أَنْ تَبْتَغُوا "أَفَضْتُمْ" دَفَعْتُمْ بِكَثْرَةٍ، وَهُوَ مِنْ إِفَاضَةِ الْمَاءِ وَهُوَ صَبُّهُ بِكَثْرَةٍ، وَأَصْلُهُ أَفَضْتُمْ أَنْفُسَكُمْ، فَتُرِكَ ذِكْرُ الْمَفْعُولِ كَمَا تُرِكَ فِي (دَفَعُوا مِنْ مَوْضِعِ كَذَا وَصَبُّوا) وَفِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "صَبَّ فِي دُقْرَانٍ وَهُوَ يَخْرِشُ بَعِيرَهُ بِمِحْجَنِهِ" وَيُقَالُ: أَفَاضُوا فِي الْحَدِيثِ وَهُضِبُوا فِيهِ .

وَ"عَرَفَاتٍ": عَلَمٌ لِلْمَوْقِفِ سُمِّيَ بِجَمْعٍ كَأَذْرِعَاتٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا مُنِعَتِ الصَّرْفَ وَفِيهَا السَّبَبَانِ: التَّعْرِيفُ وَالتَّأْنِيثُ؟

قُلْتُ: لَا يَخْلُو مِنَ التَّأْنِيثِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِالتَّاءِ الَّتِي فِي لَفْظِهَا، وَإِمَّا بِتَاءٍ مُقَدَّرَةٍ كَمَا فِي سُعَادٍ، فَالَّتِي فِي لَفْظِهَا لَيْسَتْ لِلتَّأْنِيثِ، وَإِنَّمَا هِيَ مَعَ الْأَلِفِ الَّتِي قَبْلَهَا عَلَامَةُ جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ وَلَا يَصِحُّ تَقْدِيرُ التَّاءِ فِيهَا; لِأَنَّ هَذِهِ التَّاءَ لِاخْتِصَاصِهَا بِجَمْعِ الْمُؤَنَّثِ مَانِعَةٌ مِنْ تَقْدِيرِهَا كَمَا لَا يُقَدَّرُ تَاءُ التَّأْنِيثِ فِي بِنْتٍ; لِأَنَّ التَّاءَ الَّتِي هِيَ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ لِاخْتِصَاصِهَا بِالْمُؤَنَّثِ كَتَاءِ التَّأْنِيثِ فَأَبَتْ تَقْدِيرَهَا .

وَقَالُوا: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ; لِأَنَّهَا وُصِفَتْ لِإِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– فَلَمَّا أَبْصَرَهَا عَرَفَهَا، وَقِيلَ: إِنَّ جِبْرِيلَ حِينَ كَانَ يَدُورُ بِهِ فِي الْمَشَاعِرِ أَرَاهُ إِيَّاهَا فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ، وَقِيلَ: الْتَقَى فِيهَا آدَمُ وَحَوَّاءُ فَتَعَارَفَا، وَقِيلَ: لِأَنَّ النَّاسَ يَتَعَارَفُونَ فِيهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ ذَلِكَ، وَهِيَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُرْتَجَلَةِ; لِأَنَّ الْعَرَفَةَ لَا تُعْرَفُ فِي أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَمْعَ عَارِفٍ، وَقِيلَ: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ ;لِأَنَّ الْإِفَاضَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَهُ، وَعَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "الْحَجُّ عَرَفَةُ فَمَنْ أَدْرَكَ عَرَفَةَ فَقَدْ أَدْرَكَ الْحَجَّ".

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾[1]: التَّلْبِيَةُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَالثَّنَاءُ وَالدَّعَوَاتُ، وَقِيلَ: بِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَ ﴿الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾[2]: قُزَحُ، وَهُوَ الْجَبَلُ الَّذِي يَقِفُ عَلَيْهِ الْإِمَامُ وَعَلَيْهِ الْمِيقَدَةُ، وَقِيلَ: الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ: مَا بَيْنَ جَبَلِ الْمُزْدَلِفَةِ مِنْ مَأْزِمَيْ عَرَفَةَ إِلَى وَادِي مُحَسِّرٍ، وَلَيْسَ الْمَأْزِمَانِ وَلَا وَادِي مُحَسِّرٍ مِنَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ الْجَبَلُ؛ لِمَا رَوَى جَابِرٌ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :–أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَمَّا صَلَّى الْفَجْرَ يَعْنِي بِالْمُزْدَلِفَةِ بِغَلَسٍ رَكِبَ نَاقَتَهُ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَدَعَا وَكَبَّرَ وَهَلَّلَ، وَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ.

وَقَوْلُهُ –تَعَالَى–﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾[3] مَعْنَاهُ مِمَّا يَلِي الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ قَرِيبًا مِنْهُ، وَذَلِكَ لِلْفَضْلِ، كَالْقُرْبِ مِنْ جَبَلِ الرَّحْمَةِ، وَإِلَّا فَالْمُزْدَلِفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ إِلَّا وَادِي مُحَسِّرٍ، أَوْ جُعِلَتْ أَعْقَابُ الْمُزْدَلِفَةِ ;لِكَوْنِهَا فِي حُكْمِ الْمَشْعَرِ وَمُتَّصِلَةً بِهِ عِنْدَ الْمَشْعَرِ، وَالْمَشْعَرُ: الْمَعْلَمُ; لِأَنَّهُ مَعْلَمُ الْعِبَادَةِ، وَوُصِفَ بِالْحَرَمِ لِحُرْمَتِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى النَّاسِ لَيْلَةَ جَمْعٍ، فَقَالَ: لَقَدْ أَدْرَكْتُ النَّاسَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَا يَنَامُونَ، وَقِيلَ: سُمِّيَتِ الْمُزْدَلِفَةُ جَمْعًا، لِأَنَّ آدَمَ –صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ– اجْتَمَعَ فِيهَا مَعَ حَوَّاءَ وَازْدَلَفَ إِلَيْهَا، أَيْ دَنَا مِنْهَا.

وَعَنْ قَتَادَةَ: لِأَنَّهُ يُجْمَعُ فِيهَا بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: وُصِفَتْ بِفِعْلِ أَهْلِهَا; لِأَنَّهُمْ يَزْدَلِفُونَ إِلَى اللَّهِ، أَيْ يَتَقَرَّبُونَ بِالْوُقُوفِ فِيهَا، ﴿كَمَا هَدَاكُمْ﴾[4]: مَا مَصْدَرِيَّةٌ أَوْ كَافَّةٌ، وَالْمَعْنَى: وَاذْكُرُوهُ ذِكْرًا حَسَنًا كَمَا هَدَاكُمْ هِدَايَةً حَسَنَةً أَوِ اذْكُرُوهُ كَمَا عَلَّمَكُمْ كَيْفَ تَذْكُرُونَهُ، لَا تَعْدِلُوا عَنْهُ، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾[5]: مِنْ قَبْلِ الْهُدَى، ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾[6]:

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .

الْجَاهِلِينَ، لَا تَعْرِفُونَ كَيْفَ تَذْكُرُونَهُ وَتَعْبُدُونَهُ، ﴿وَإِنْ﴾[1] هِيَ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاللَّامُ هِيَ الْفَارِقَةُ.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾[2]: ثُمَّ لِتَكُنْ إِفَاضَتُكُمْ ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[3]، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ، وَذَلِكَ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْحُمْسِ مِنَ التَّرَفُّعِ عَلَى النَّاسِ وَالتَّعَالِي عَلَيْهِمْ وَتَعَظُّمِهِمْ عَنْ أَنْ يُسَاوُوهُمْ فِي الْمَوْقِفِ.

وَقَوْلِهِمْ: نَحْنُ أَهْلُ اللَّهِ وَقُطَّانُ حَرَمِهِ فَلَا تَخْرُجُ مِنْهُ، فَيَقِفُونَ بِجَمْعٍ وَسَائِرُ النَّاسِ بِعَرَفَاتٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ مَوْقِعُ ثُمَّ؟

قُلْتُ: نَحْوُ مَوْقِعِهَا فِي قَوْلِكَ: أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ ثُمَّ لَا تُحْسِنْ إِلَى غَيْرِ كَرِيمٍ، تَأْتِي بِثُمَّ لِتَفَاوُتِ مَا بَيْنَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْكَرِيمِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى غَيْرِهِ وَبُعْدِ مَا بَيْنَهُمَا، فَكَذَلِكَ حِينَ أَمَرَهُمْ بِالذِّكْرِ عِنْدَ الْإِفَاضَةِ مِنْ عَرَفَاتٍ، قَالَ: ثُمَّ أَفِيضُوا لِتَفَاوُتِ مَا بَيْنَ الْإِفَاضَتَيْنِ، وَأَنَّ إِحْدَاهُمَا صَوَابٌ وَالثَّانِيَةَ خَطَأٌ، وَقِيلَ: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ، وَهُمُ الْحُمْسُ، أَيْ: مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ إِلَى مِنًى بَعْدَ الْإِفَاضَةِ مِنْ عَرَفَاتٍ، وَقُرِئَ: (مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسِ) –بِكَسْرِ السِّينِ– أَيِ النَّاسِي، وَهُوَ آدَمُ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾[4]، يَعْنِي: أَنَّ الْإِفَاضَةَ مِنْ عَرَفَاتٍ شَرْعٌ قَدِيمٌ فَلَا تُخَالِفُوا عَنْهُ.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾[5]: مِنْ مُخَالَفَتِكُمْ فِي الْمَوْقِفِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ جَاهِلِيَّتِكُمْ، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾[6]، أَيْ: فَإِذَا فَرَغْتُمْ مِنْ عِبَادَاتِكُمُ الْحَجِّيَّةِ وَنَفَرْتُمْ، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾[7]: فَأَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ وَبَالِغُوا فِيهِ كَمَا تَفْعَلُونَ فِي ذِكْرِ آبَائِكُمْ وَمَفَاخِرِهِمْ وَأَيَّامِهِمْ، وَكَانُوا إِذَا قَضَوْا مَنَاسِكَهُمْ وَقَفُوا بَيْنَ الْمَسْجِدِ بِمِنًى وَبَيْنَ الْجَبَلِ فَيُعَدِّدُونَ فَضَائِلَ آبَائِهِمْ

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية 115.

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَيَذْكُرُونَ مَحَاسِنَ أَيَّامِهِمْ، ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[1]: فِي مَوْضِعِ جَرٍّ، عَطْفٌ عَلَى مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ الذِّكْرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَذِكْرِكُمْ﴾[2]، كَمَا تَقُولُ كَذِكْرِ قُرَيْشٍ آبَاءَهُمْ أَوْ قَوْمٍ أَشَدَّ مِنْهُمْ ذِكْرًا، أَوْ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَطْفٌ عَلَى ﴿آبَاءَكُمْ﴾[3] بِمَعْنَى: أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا مِنْ آبَائِكُمْ، عَلَى أَنَّ ذِكْرًا مِنْ فَعَلَ الْمَذْكُورِ.

﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾[4]: مَعْنَاهُ أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ وَدُعَاءَهُ، فَإِنَّ النَّاسَ مِنْ بَيْنِ مُقِلٍّ لَا يَطْلُبُ بِذِكْرِ اللَّهِ إِلَّا أَعْرَاضَ الدُّنْيَا، وَمُكْثِرٍ يَطْلُبُ خَيْرَ الدَّارَيْنِ، فَكُونُوا مِنَ الْمُكْثِرِينَ، ﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾[5]: اجْعَلْ إِيتَاءَنَا، أَيْ إِعْطَاءَنَا فِي الدُّنْيَا خَاصَّةً ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾[6]، أَيْ: مِنْ طَلَبِ خَلَاقٍ وَهُوَ النَّصِيبُ، أَوْ مَا لِهَذَا الدَّاعِي فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ، لِأَنَّ هَمَّهُ مَقْصُورٌ عَلَى الدُّنْيَا.

وَالْحَسَنَتَانِ مَا هُوَ طِلْبَةُ الصَّالِحِينَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الصِّحَّةِ وَالْكَفَافِ وَالتَّوْفِيقِ فِي الْخَيْرِ، وَطِلْبَتُهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الثَّوَابِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: الْحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَفِي الْآخِرَةِ الْحَوْرَاءُ، وَعَذَابُ النَّارِ امْرَأَةُ السُّوءِ، "أُولَئِكَ": الدَّاعُونَ بِالْحَسَنَتَيْنِ: ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾[7]، أَيْ: نَصِيبٌ مِنْ جِنْسِ مَا كَسَبُوا مِنَ الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ، وَهُوَ الثَّوَابُ الَّذِي هُوَ الْمَنَافِعُ الْحَسَنَةُ، أَوْ مِنْ أَجْلِ مَا كَسَبُوا، كَقَوْلِهِ:﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾[8]، أَوْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا دَعَوْا بِهِ نُعْطِيهِمْ [مِنْهُ] مَا يَسْتَوْجِبُونَهُ بِحَسَبِ مَصَالِحِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَاسْتِحْقَاقِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، وَسُمِّيَ الدُّعَاءُ كَسْبًا لِأَنَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَالْأَعْمَالُ مَوْصُوفَةٌ بِالْكَسْبِ: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[9].

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[8] سورة نُوح، الآية 25.

[9] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: ﴿أُولَئِكَ﴾[1] لِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا، وَأَنَّ لِكُلِّ فَرِيقٍ نَصِيبًا مِنْ جِنْسِ مَا كَسَبُوا.

﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[2]: يُوشِكُ أَنْ يُقِيمَ الْقِيَامَةَ وَيُحَاسِبَ الْعِبَادَ، فَبَادِرُوا إِكْثَارَ الذِّكْرِ وَطَلَبَ الْآخِرَةِ، أَوْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِسُرْعَةِ حِسَابِ الْخَلَائِقِ عَلَى كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَكَثْرَةِ أَعْمَالِهِمْ، لِيَدُلَّ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَوُجُوبِ الْحَذَرِ مِنْهُ.

رُوِيَ: أَنَّهُ يُحَاسِبُ الْخَلْقَ فِي قَدْرِ حَلْبِ شَاةٍ، وَرُوِيَ فِي مِقْدَارِ فُوَاقِ نَاقَةٍ، وَرُوِيَ فِي مِقْدَارِ لَمْحَةٍ.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[3]

وَالْأَيَّامُ الْمَعْدُودَاتُ: أَيَّامُ التَّشْرِيقِ، وَذِكْرُ اللَّهِ فِيهَا: التَّكْبِيرُ فِي أَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ وَعِنْدَ الْجِمَارِ.

وَعَنْ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: أَنَّهُ كَانَ يُكَبِّرُ فِي فُسْطَاطِهِ بِمِنًى فَيُكَبِّرُ مَنْ حَوْلَهُ، حَتَّى يُكَبِّرَ النَّاسُ فِي الطَّرِيقِ وَفِي الطَّوَافِ، ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾[4]: فَمَنْ عَجَّلَ فِي النَّفْرِ أَوِ اسْتَعْجَلَ النَّفْرَ، وَتَعَجَّلَ وَاسْتَعْجَلَ: يَجِيئَانِ مُطَاوِعَيْنِ بِمَعْنَى عَجَلَ.

يُقَالُ: تَعَجَّلَ فِي الْأَمْرِ وَاسْتَعْجَلَ: وَمُتَعَدِّيَيْنِ، يُقَالُ: تَعَجَّلَ الذَّهَابَ وَاسْتَعْجَلَهُ، وَالْمُطَاوَعَةُ أَوْفَقُ لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾[5]، كَمَا هِيَ كَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

لِأَجْلِ الْمُتَأَنِّي.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾[1] بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ، يَوْمَ الْقَرِّ –وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يُسَمِّيهِ أَهْلُ مَكَّةَ يَوْمَ الرُّؤُوسِ– وَالْيَوْمَ بَعْدَهُ، يَنْفِرُ إِذَا فَرَغَ مِنْ رَمْيِ الْجِمَارِ كَمَا يَفْعَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَيُرْوَى عَنْ قَتَادَةَ ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ يَنْفِرُ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ.

﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾[2]: حَتَّى رَمَى فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَالرَّمْيُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَجُوزُ تَقْدِيمُهُ عَلَى الزَّوَالِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: لَا يَجُوزُ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قَالَ: ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[3] عِنْدَ التَّعَجُّلِ وَالتَّأَخُّرِ جَمِيعًا؟

قُلْتُ: دَلَالَةً عَلَى أَنَّ التَّعَجُّلَ وَالتَّأَخُّرَ مُخَيَّرٌ فِيهِمَا، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَتَعَجَّلُوا أَوْ تَأَخَّرُوا.

فَإِنْ قُلْتَ: أَلَيْسَ التَّأَخُّرُ بِأَفْضَلَ؟

قُلْتُ: بَلَى، وَيَجُوزُ أَنْ يَقَعَ التَّخْيِيرُ بَيْنَ الْفَاضِلِ وَالْأَفْضَلِ، كَمَا خُيِّرَ الْمُسَافِرُ بَيْنَ الصَّوْمِ وَالْإِفْطَارِ، وَإِنْ كَانَ الصَّوْمُ أَفْضَلَ، وَقِيلَ: إِنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا فَرِيقَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ الْمُتَعَجِّلَ آثِمًا، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ الْمُتَأَخِّرَ آثِمًا، فَوَرَدَ الْقُرْآنُ بِنَفْيِ الْمَآثِمِ عَنْهُمَا جَمِيعًا ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾[4]، أَيْ ذَلِكَ التَّخْيِيرُ وَنَفْيُ الْإِثْمِ عَنِ الْمُتَعَجِّلِ وَالْمُتَأَخِّرِ لِأَجْلِ الْحَاجِّ الْمُتَّقِي: لِئَلَّا يَتَخَالَجَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنْهُمَا، فَيَحْسَبُ أَنَّ أَحَدَهُمَا يُرْهِقُ صَاحِبَهُ آثَامًا فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ: لِأَنَّ ذَا التَّقْوَى حَذِرٌ مُتَحَرِّزٌ مِنْ كُلِّ مَا يُرِيبُهُ، وَلِأَنَّهُ هُوَ الْحَاجُّ عَلَى الْحَقِيقَةِ عِنْدَ اللَّهِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[5] لِيَعْبَأَ بِكُمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ ذَلِكَ الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ أَحْكَامِ الْحَجِّ وَغَيْرِهِ لِمَنِ اتَّقَى، لِأَنَّهُ هُوَ الْمُنْتَفِعُ بِهِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾[6].

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الرُّومِ، الآية 25.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[1]

﴿مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾[2]، أَيْ: يَرُوقُكَ وَيَعْظُمُ فِي قَلْبِكَ، وَمِنْهُ: الشَّيْءُ الْعَجِيبُ الَّذِي يَعْظُمُ فِي النَّفْسِ، وَهُوَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ كَانَ رَجُلًا حُلْوَ الْمَنْطِقِ، إِذَا لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ وَادَّعَى أَنَّهُ يُحِبُّهُ وَأَنَّهُ مُسْلِمٌ ، وَقَالَ: يَعْلَمُ اللَّهُ أَنِّي صَادِقٌ، وَقِيلَ: هُوَ عَامٌّ فِي الْمُنَافِقِينَ، كَانَتْ تَحْلُو لِي أَلْسِنَتُهُمْ، وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ يَتَعَلَّقُ قَوْلُهُ: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[3]؟

قُلْتُ: بِالْقَوْلِ، أَيْ يُعْجِبُكَ مَا يَقُولُهُ فِي مَعْنَى الدُّنْيَا، لِأَنَّ ادِّعَاءَهُ الْمَحَبَّةَ بِالْبَاطِلِ يَطْلُبُ بِهِ حَظًّا مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا وَلَا يُرِيدُ بِهِ الْآخِرَةَ، كَمَا تُرَادُ بِالْإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ وَالْمَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ لِلرَّسُولِ، فَكَلَامُهُ إِذًا فِي الدُّنْيَا لَا فِي الْآخِرَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِـ "يُعْجِبُكَ"أَيْ: قَوْلُهُ حُلْوٌ فَصِيحٌ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ يُعْجِبُكَ، وَلَا يُعْجِبُكَ فِي الْآخِرَةِ لِمَا يُرْهِقُهُ فِي الْمَوْقِفِ مِنَ الْحَبْسَةِ وَاللُّكْنَةِ، أَوْ لِأَنَّهُ لَا يُؤْذَنُ لَهُ فِي الْكَلَامِ فَلَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يُعْجِبَكَ كَلَامُهُ.

﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾[4]، أَيْ يَحْلِفُ وَيَقُولُ: اللَّهُ شَاهِدٌ عَلَى مَا فِي قَلْبِي مِنْ مَحَبَّتِكَ وَمِنَ الْإِسْلَامِ، وَقُرِئَ: (وَيَشْهَدُ اللَّهُ).

وَفِي مُصْحَفِ أُبَيٍّ: "وَيُسْتَشْهَدُ اللَّهُ: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[5]، وَهُوَ شَدِيدُ الْجِدَالِ وَالْعَدَاوَةِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَقِيلَ: كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ثَقِيفٍ خُصُومَةٌ فَبَيَّتَهُمْ لَيْلًا وَأَهْلَكَ مَوَاشِيَهُمْ وَأَحْرَقَ زُرُوعَهُمْ، وَالْخِصَامُ: الْمُخَاصَمَةُ، وَإِضَافَةُ الْأَلَدِّ بِمَعْنَى فِي، كَقَوْلِهِمْ: ثَبِتُ الْغَدْرِ. أَوْ

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

جُعِلَ الْخِصَامُ أَلَدَّ عَلَى الْمُبَالَغَةِ، وَقِيلَ الْخِصَامُ: جَمْعُ خَصْمٍ، كَصَعْبٍ وَصِعَابٍ، بِمَعْنَى وَهُوَ أَشَدُّ الْخُصُومِ خُصُومَةً .

﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ عَنْكَ وَذَهَبَ بَعْدَ إِلَانَةِ الْقَوْلِ وَإِحْلَاءِ الْمَنْطِقِ ﴿سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ كَمَا فَعَلَ بِثَقِيفٍ، وَقِيلَ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾[1] وَإِذَا كَانَ وَالِيًا فَعَلَ مَا يَفْعَلُ وُلَاةُ السُّوءِ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ بِإِهْلَاكِ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ، وَقِيلَ: يُظْهِرُ الظُّلْمَ حَتَّى يَمْنَعَ اللَّهُ بِشُؤْمِ ظُلْمِهِ الْقَطْرَ فَيَهْلَكُ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ .

وَقُرِئَ: (وَيُهْلِكُ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ) عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ لِلْحَرْثِ وَالنَّسْلِ، وَالرَّفْعُ لِلْعَطْفِ عَلَى سَعَى، وَقَرَأَ الْحَسَنُ بِفَتْحِ اللَّامِ، وَهِيَ لُغَةٌ نَحْوُ: أَبِي يَأْبَى، وَرُوِيَ عَنْهُ: (وَيُهْلَكُ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾[2] مِنْ قَوْلِكَ: أَخَذْتُهُ بِكَذَا إِذَا حَمَلْتَهُ عَلَيْهِ وَأَلْزَمْتَهُ إِيَّاهُ، أَيْ: حَمَلَتْهُ الْعِزَّةُ الَّتِي فِيهِ وَحَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى الْإِثْمِ الَّذِي يُنْهَى عَنْهُ، وَأَلْزَمَتْهُ ارْتِكَابَهُ، وَأَنْ لَا يُخَلِّيَ عَنْهُ ضِرَارًا وَلَجَاجًا، أَوْ عَلَى رَدِّ قَوْلِ الْوَاعِظِ.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[3]

﴿يَشْرِي نَفْسَهُ﴾[4] يَبِيعُهَا أَيْ يَبْذُلُهَا فِي الْجِهَادِ، وَقِيلَ: يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى يُقْتَلَ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ أَرَادَهُ الْمُشْرِكُونَ عَلَى تَرْكِ الْإِسْلَامِ وَقَتَلُوا نَفَرًا كَانُوا مَعَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، إِنْ كُنْتُ مَعَكُمْ لَمْ أَنْفَعْكُمْ وَإِنْ كُنْتُ عَلَيْكُمْ لَمْ أَضُرَّكُمْ، فَخَلُّونِي وَمَا أَنَا عَلَيْهِ وَخُذُوا مَالِي، فَقَبِلُوا مِنْهُ مَالَهُ وَأَتَى الْمَدِينَةَ.

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[5] حَيْثُ كَلَّفَهُمُ الْجِهَادَ فَعَرَّضَهُمْ لِثَوَابِ الشُّهَدَاءِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]

﴿السِّلْمُ" بِكَسْرِ السِّينِ وَفَتْحِهَا، وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ بِفَتْحِ السِّينِ وَاللَّامِ، وَهُوَ: الِاسْتِسْلَامُ وَالطَّاعَةُ، أَيِ اسْتَسْلِمُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوهُ، "كَافَّةً": لَا يُخْرِجُ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَدَهُ عَنْ طَاعَتِهِ، وَقِيلَ: هُوَ الْإِسْلَامُ، وَالْخِطَابُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِنَبِيِّهِمْ وَكِتَابِهِمْ، أَوْ لِلْمُنَافِقِينَ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ (كَافَّةً) حَالًا مِنَ السِّلْمِ؛ لِأَنَّهَا تُؤَنَّثُ كَمَا تُؤَنَّثُ الْحَرْبُ، قَالَ:

السِّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيتَ بِهِ وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرَعُ

عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِرُوا بِأَنْ يَدْخُلُوا فِي الطَّاعَاتِ كُلِّهَا، وَأَنْ لَا يَدْخُلُوا فِي طَاعَةٍ دُونَ طَاعَةٍ، أَوْ فِي شُعَبِ الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ كُلِّهَا، وَأَنْ لَا يُخِلُّوا بِشَيْءٍ مِنْهَا، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ يُقِيمَ عَلَى السَّبْتِ وَأَنْ يَقْرَأَ مِنَ التَّوْرَاةِ فِي صَلَاتِهِ مِنَ اللَّيْلِ.

وَ"كَافَّةً" مِنَ الْكَفِّ، كَأَنَّهُمْ كَفُّوا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ بِاجْتِمَاعِهِمْ فَإِنْ زَلَلْتُمْ عَنِ الدُّخُولِ فِي السِّلْمِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[2]، أَيِ: الْحُجَجُ وَالشَّوَاهِدُ عَلَى أَنَّ مَا دُعِيتُمْ إِلَى الدُّخُولِ فِيهِ هُوَ الْحَقُّ.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾[3]: غَالِبٌ لَا يُعْجِزُهُ الِانْتِقَامُ مِنْكُمْ "حَكِيمٌ": لَا يَنْتَقِمُ إِلَّا بِحَقٍّ.

وَرُوِيَ أَنْ قَارِئًا قَرَأَ (غَفُورٌ رَحِيمٌ) فَسَمِعَهُ أَعْرَابِيٌّ فَأَنْكَرَهُ وَلَمْ يَقْرَأِ الْقُرْآنَ، وَقَالَ: إِنْ كَانَ هَذَا كَلَامَ اللَّهِ فَلَا يَقُولُ كَذَا الْحَكِيمُ، لَا يَذْكُرُ الْغُفْرَانَ عِنْدَ الزَّلَلِ، لِأَنَّهُ إِغْرَاءٌ عَلَيْهِ، وَقَرَأَ أَبُو السَّمَّالِ: (زَلِلْتُمْ) بِكَسْرِ اللَّامِ وَهُمَا لُغَتَانِ، نَحْوُ: ظَلَلْتُ وَظَلِلْتُ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة ، الآية .

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾[1]

إِتْيَانُ اللَّهِ إِتْيَانُ أَمْرِهِ وَبَأْسِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[2]، ﴿جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾[3]، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَأْتِيُّ بِهِ مَحْذُوفًا، بِمَعْنَى: أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بِبَأْسِهِ أَوْ بِنِقْمَتِهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾[4].

﴿ فِي ظُلَلٍ﴾[5] جَمْعُ ظُلَّةٍ وَهِيَ مَا أَظَلَّكَ، وَقُرِئَ: (ظِلَالٍ) وَهِيَ جَمْعُ ظُلَّةٍ، كَقُلَّةٍ وَقِلَالٍ أَوْ جَمْعُ ظِلٍّ، وَقُرِئَ (وَالْمَلَائِكَةُ) بِالرَّفْعِ كَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾[6] وَبِالْجَرِّ، عَطْفٌ عَلَى ﴿ظُلَلٍ﴾[7] أَوْ عَلَى ﴿الْغَمَامِ﴾[8].

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فِي الْغَمَامِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الْغَمَامَ مَظِنَّةُ الرَّحْمَةِ، فَإِذَا نَزَلَ مِنْهُ الْعَذَابُ كَانَ الْأَمْرُ أَفْظَعَ وَأَهْوَلَ؛ لِأَنَّ الشَّرَّ إِذَا جَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا يُحْتَسَبُ كَانَ أَغَمَّ، كَمَا أَنَّ الْخَيْرَ إِذَا جَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا يُحْتَسَبُ كَانَ أَسَرَّ، فَكَيْفَ إِذَا جَاءَ الشَّرُّ مِنْ حَيْثُ يُحْتَسَبُ الْخَيْرُ، وَلِذَلِكَ كَانَتِ الصَّاعِقَةُ مِنَ الْعَذَابِ الْمُسْتَفْظَعِ، لِمَجِيئِهَا مِنْ حَيْثُ يُتَوَقَّعُ الْغَيْثُ، وَمِنْ ثَمَّةَ اشْتَدَّ عَلَى الْمُتَفَكِّرِينَ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[9].

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية 33.

[3] سورة الْأَنْعَامِ، الآية 43.

[4] سورة الْبَقَرَةِ ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْأَنْعَامِ، الآية 158.

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[8] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[9] سورة الزُّمَرِ، الآية 47.

﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾[1]: وَأَتَمَّ أَمْرَ إِهْلَاكِهِمْ وَتَدْمِيرِهِمْ وَفَرَغَ مِنْهُ، وَقَرَأَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: (وَقَضَاءُ الْأَمْرِ): عَلَى الْمَصْدَرِ الْمَرْفُوعِ عَطْفًا عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَقُرِئَ: (تَرْجِعُ وَتُرْجَعُ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ بِالتَّأْنِيثِ وَالتَّذْكِيرِ فِيهِمَا.

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2]

﴿سَلْ﴾[3]: أَمْرٌ لِلرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامِ- أَوْ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَهَذَا السُّؤَالُ سُؤَالُ تَقْرِيعٍ كَمَا تُسْأَلُ الْكَفَرَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾[4] عَلَى أَيْدِي أَنْبِيَائِهِمْ، وَهِيَ مُعْجِزَاتُهُمْ، أَوْ مِنْ آيَةٍ فِي الْكُتُبِ شَاهِدَةٍ عَلَى صِحَّةِ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَ ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾[5]: آيَاتِهِ، وَهِيَ أَجَلُّ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ، لِأَنَّهَا أَسْبَابُ الْهُدَى وَالنَّجَاةِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَتَبْدِيلُهُمْ إِيَّاهَا أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَهَا لِتَكُونَ أَسْبَابَ هُدَاهُمْ فَجَعَلُوهَا أَسْبَابَ ضَلَالَتِهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾[6]، أَوْ حَرَّفُوا آيَاتِ الْكُتُبِ الدَّالَّةِ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فَإِنَّ قُلْتَ: كَمِ اسْتِفْهَامِيَّةٌ أَمْ خَبَرِيَّةٌ؟

قُلْتُ: تَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ، وَمَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ فِيهَا لِلتَّقْرِيرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾[7].

قُلْتُ: مَعْنَاهُ مِنْ بَعْدِ مَا تَمَكَّنَ مِنْ مَعْرِفَتِهَا أَوْ عَرَفَهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾[8]، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ مَعْرِفَتِهَا، أَوْ لَمْ يَعْرِفْهَا، فَكَأَنَّهَا غَائِبَةٌ عَنْهُ، وَقُرِئَ: (وَمِنْ يُبْدِلْ) بِالتَّخْفِيفِ.

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

6 سورة التَّوْبَةِ، الآية 125.

7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

8 سورة الْبَقَرَةِ، الآية 75.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مِنَ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]

الْمُزَيِّنُ هُوَ الشَّيْطَانُ، زَيَّنَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَحَسَّنَهَا فِي أَعْيُنِهِمْ بِوَسَاوِسِهِ وَحَبَّبَهَا إِلَيْهِمْ فَلَا يُرِيدُونَ غَيْرَهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ زَيَّنَهَا لَهُمْ بِأَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى اسْتَحْسَنُوهَا وَأَحَبُّوهَا، أَوْ جُعِلَ إِمْهَالُ الْمُزَيَّنِ لَهُ تَزْيِينًا، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: (زَيَّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ.

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[2]: كَانَتِ الْكَفَرَةُ يَسْخَرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا حَظَّ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَابْنِ مَسْعُودٍ وَعَمَّارٍ وَصُهَيْبٍ وَغَيْرِهِمْ، أَيْ: لَا يُرِيدُونَ غَيْرَهَا، وَهُمْ يَسْخَرُونَ مِمَّنْ لَا حَظَّ لَهُ فِيهَا، أَوْ مِمَّنْ يَطْلُبُ غَيْرَهَا.

﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[3]، لِأَنَّهُمْ فِي عِلِّيِّينَ مِنَ السَّمَاءِ، وَهُمْ فِي سِجِّينٍ مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ حَالُهُمْ عَالِيَةٌ لِحَالِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ فِي كَرَامَةٍ وَهُمْ فِي هَوَانٍ، أَوْ هُمْ عَالُونَ عَلَيْهِمْ مُتَطَاوِلُونَ يَضْحَكُونَ مِنْهُمْ كَمَا يَتَطَاوَلُ هَؤُلَاءِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَيَرَوْنَ الْفَضْلَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ، ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[4].

﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[5]: بِغَيْرِ تَقْدِيرٍ، يَعْنِي: أَنَّهُ يُوَسِّعُ عَلَى مَنْ تُوجِبُ الْحِكْمَةُ التَّوْسِعَةَ عَلَيْهِ، كَمَا وَسَّعَ عَلَى قَارُونَ وَغَيْرِهِ، فَهَذِهِ التَّوْسِعَةُ عَلَيْكُمْ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْحِكْمَةِ وَهِيَ اسْتِدْرَاجُكُمْ بِالنِّعْمَةِ، وَلَوْ كَانَتْ كَرَامَةً لَكَانَ أَوْلِيَاؤُهُ الْمُؤْمِنُونَ أَحَقَّ بِهَا مِنْكُمْ .

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قَالَ: ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[6]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾[7]؟

---

1 سورة الْبَقَرَة، الآية .

2 سورة الْبَقَرَة، الآية .

3 سورة الْبَقَرَة، الآية .

4 سورة الْمُطَفِّفِينَ، الآية 34.

5 سورة الْبَقَرَة، الآية .

6 سورة الْبَقَرَة، الآية .

قُلْتُ: لِيُرِيَكَ أَنَّهُ لَا يَسْعَدُ عِنْدَهُ إِلَّا الْمُؤْمِنُ الْمُتَّقِي، وَلِيَكُونَ بَعْثًا لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى التَّقْوَى إِذَا سَمِعُوا ذَلِكَ.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[2]: مُتَّفِقِينَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾[3]، يُرِيدُ: فَاخْتَلَفُوا فَبَعَثَ اللَّهُ، وَإِنَّمَا حُذِفَ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[4] عَلَيْهِ. وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا فَبَعَثَ اللَّهُ).

وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ: قَوْلُهُ –عَزَّ وَعَلَا–: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾[5].

وَقِيلَ: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً كُفَّارًا، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ، فَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِمْ، وَالْأَوَّلُ الْوَجْهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَتَى كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً مُتَّفِقِينَ عَلَى الْحَقِّ؟

قُلْتُ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا –: أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَبَيْنَ نُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ فَاخْتَلَفُوا، وَقِيلَ: هُمْ نُوحٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ.

---

7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

5 سورة يُونُسَ، الآية 19.

﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾[1]، يُرِيدُ الْجِنْسَ، أَوْ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كِتَابَهُ "لِيَحْكُمَ": اللَّهُ، أَوِ الْكِتَابُ، أَوِ النَّبِيُّ الْمُنَزَّلُ عَلَيْهِ ﴿فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[2] فِي الْحَقِّ وَدِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ بَعْدَ الِاتِّفَاقِ.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾[3]: فِي الْحَقِّ، ﴿إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾[4]: إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ الْمُنَزَّلَ لِإِزَالَةِ الِاخْتِلَافِ، أَيِ ازْدَادُوا فِي الِاخْتِلَافِ لَمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابُ، وَجَعَلُوا نُزُولَ الْكِتَابِ سَبَبًا فِي شِدَّةِ الِاخْتِلَافِ وَاسْتِحْكَامِهِ.

﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾[5]: حَسَدًا بَيْنَهُمْ وَظُلْمًا، لِحِرْصِهِمْ عَلَى الدُّنْيَا وَقِلَّةِ إِنْصَافٍ مِنْهُمْ.

وَ ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾[6]: بَيَانٌ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، أَيْ: فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِلْحَقِّ الَّذِي اخْتَلَفَ فِيهِ مَنِ اخْتَلَفَ .

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[7]

﴿أَمْ﴾[8]: مُنْقَطِعَةٌ، وَمَعْنَى الْهَمْزَةِ فِيهَا لِلتَّقْرِيرِ، وَإِنْكَارِ الْحُسْبَانِ وَاسْتِبْعَادِهِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْأُمَمُ مِنَ الِاخْتِلَافِ عَلَى النَّبِيِّينَ بَعْدَ مَجِيءِ الْبَيِّنَاتِ – تَشْجِيعًا لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى الثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ مَعَ الَّذِينَ

---

1 سورة الْبَقَرَة، الآية .
2 سورة الْبَقَرَة، الآية .
3 سورة الْبَقَرَة، الآية .
4 سورة الْبَقَرَة، الآية .
5 سورة الْبَقَرَة، الآية .
6 سورة الْبَقَرَة، الآية .
7 سورة الْبَقَرَة، الآية .
8 سورة الْبَقَرَة، الآية .

اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، وَإِنْكَارِهِمْ لِآيَاتِهِ وَعَدَاوَتِهِمْ لَهُ – قَالَ لَهُمْ عَلَى طَرِيقَةِ الِالْتِفَاتِ الَّتِي هِيَ أَبْلَغُ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾[1].

﴿وَلَمَّا﴾[2]: فِيهَا مَعْنَى التَّوَقُّعِ، وَهِيَ فِي النَّفْيِ نَظِيرَةُ "قَدْ" فِي الْإِثْبَاتِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ إِتْيَانَ ذَلِكَ مُتَوَقَّعٌ مُنْتَظَرٌ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا﴾[3] حَالُهُمُ الَّتِي هِيَ مَثَلٌ فِي الشِّدَّةِ، وَ﴿مَسَّتْهُمْ﴾[4]: بَيَانٌ لِلْمَثَلِ وَهُوَ اسْتِئْنَافٌ، كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ: كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ الْمَثَلُ؟ فَقِيلَ: مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ.

﴿وَزُلْزِلُوا﴾[5]: وَأُزْعِجُوا إِزْعَاجًا شَدِيدًا شَبِيهًا بِالزَّلْزَلَةِ بِمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْأَفْزَاعِ، ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾[6]: إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي قَالَ الرَّسُولُ وَمَنْ مَعَهُ فِيهَا: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾[7]، أَيْ: بَلَغَ بِهِمُ الضَّجَرُ وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ صَبْرٌ حَتَّى قَالُوا ذَلِكَ، وَمَعْنَاهُ طَلَبُ الصَّبْرِ وَتَمَنِّيهِ، وَاسْتِطَالَةُ زَمَانِ الشِّدَّةِ.

وَفِي هَذِهِ الْغَايَةِ دَلِيلٌ عَلَى تَنَاهِي الْأَمْرِ فِي الشِّدَّةِ، وَتَمَادِيهِ فِي الْعِظَمِ، لِأَنَّ الرُّسُلَ لَا يُقَادَرُ قَدْرُ ثَبَاتِهِمْ وَاصْطِبَارِهِمْ وَضَبْطِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ لَهُمْ صَبْرٌ حَتَّى ضَجُّوا كَانَ ذَلِكَ الْغَايَةَ فِي الشِّدَّةِ الَّتِي لَا مَطْمَحَ وَرَاءَهَا.

﴿أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[8] عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ، يَعْنِي فَقِيلَ لَهُمْ ذَلِكَ إِجَابَةً لَهُمْ إِلَى طِلْبَتِهِمْ مِنْ عَاجِلِ النَّصْرِ.

وَقُرِئَ: "حَتَّى يَقُولَ" بِالنَّصْبِ عَلَى إِضْمَارِ أَنْ، وَمَعْنَى الِاسْتِقْبَالِ لِأَنَّ "أَنْ" عَلَمٌ لَهُ، وَبِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ فِي مَعْنَى الْحَالِ، كَقَوْلِكَ: شَرِبَتِ الْإِبِلُ حَتَّى يَجِيءُ الْبَعِيرُ يَجُرُّ بَطْنَهُ، إِلَّا أَنَّهَا حَالٌ مَاضِيَةٌ مَحْكِيَّةٌ.

---

1 سورة الْبَقَرَة، الآية .
2 سورة الْبَقَرَة، الآية .
3 سورة الْبَقَرَة، الآية .
4 سورة الْبَقَرَة، الآية .
5 سورة ، الآية .
6 سورة الْبَقَرَة، الآية .
7 سورة الْبَقَرَة، الآية .
8 سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[1]

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ طَابَقَ الْجَوَابُ السُّؤَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ﴾[2]، وَهُمْ قَدْ سَأَلُوا عَنْ بَيَانِ مَا يُنْفِقُونَ وَأُجِيبُوا بِبَيَانِ الْمَصْرِفِ؟

قُلْتُ: قَدْ تَضَمَّنَ قَوْلُهُ:﴿ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾[3]: بَيَانَ مَا يُنْفِقُونَهُ وَهُوَ كُلُّ خَيْرٍ، وَبُنِيَ الْكَلَامُ عَلَى مَا هُوَ أَهَمُّ وَهُوَ بَيَانُ الْمَصْرِفِ، لِأَنَّ النَّفَقَةَ لَا يُعْتَدُّ بِهَا إِلَّا أَنْ تَقَعَ مَوْقِعَهَا.

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– أَنَّهُ جَاءَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ ، وَهُوَ شَيْخٌ هِمٌّ وَلَهُ مَالٌ عَظِيمٌ فَقَالَ: مَاذَا نُنْفِقُ مِنْ أَمْوَالِنَا؟ وَأَيْنَ نَضَعُهَا؟ فَنَزَلَتْ، وَعَنِ السُّدِّيِّ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ بِفَرْضِ الزَّكَاةِ، وَعَنِ الْحَسَنِ: هِيَ فِي التَّطَوُّعِ.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[4]

﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾[5]: مِنَ الْكَرَاهَةِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ:﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾[6]، ثُمَّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْكَرَاهَةِ عَلَى وَضْعِ الْمَصْدَرِ مَوْضِعَ الْوَصْفِ مُبَالَغَةً كَقَوْلِهَا:

فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

كَأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ لِفَرْطِ كَرَاهَتِهِمْ لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فُعْلًا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ كَالْخُبْزِ بِمَعْنَى الْمَخْبُوزِ، أَيْ وَهُوَ مَكْرُوهٌ لَكُمْ، وَقَرَأَ السُّلَمِيُّ بِالْفَتْحِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْمَضْمُومِ، كَالضُّعْفِ وَالضَّعْفِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْإِكْرَاهِ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ، كَأَنَّهُمْ أُكْرِهُوا عَلَيْهِ لِشِدَّةِ كَرَاهَتِهِمْ لَهُ وَمَشَقَّتِهِ عَلَيْهِمْ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾[1]، وَعَلَى قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾[2] جَمِيعُ مَا كُلِّفُوهُ، فَإِنَّ النُّفُوسَ تَكْرَهُهُ وَتَنْفِرُ عَنْهُ وَتُحِبُّ خِلَافَهُ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾[3]: مَا يُصْلِحُكُمْ وَمَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، ﴿وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[4].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [5]

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ عَلَى سِرِّيَّةٍ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ قَبْلَ قِتَالِ بَدْرٍ بِشَهْرَيْنِ، لِيَتَرَصَّدَ عِيرًا لِقُرَيْشٍ فِيهَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيُّ وَثَلَاثَةٌ مَعَهُ، فَقَتَلُوهُ وَأَسَرُوا اثْنَيْنِ وَاسْتَاقُوا الْعِيرَ وَفِيهَا مِنْ تِجَارَةِ الطَّائِفِ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ وَهُمْ يَظُنُّونَهُ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: قَدِ اسْتَحَلَّ مُحَمَّدٌ الشَّهْرَ الْحَرَامَ شَهْرًا يَأْمَنُ فِيهِ الْخَائِفُ وَيَبْذَعِرُّ فِيهِ النَّاسُ إِلَى مَعَايِشِهِمْ،

---

[1] سورة الْأَحْقَافِ، الآية 15.

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْعِيرَ، وَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ السِّرِّيَّةِ وَقَالُوا: مَا نَبْرَحُ حَتَّى تَنْزِلَ تَوْبَتُنَا، وَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْعِيرَ وَالْأُسَارَى.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: لَمَّا نَزَلَتْ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْغَنِيمَةَ، وَالْمَعْنَى: يَسْأَلُكَ الْكُفَّارُ أَوِ الْمُسْلِمُونَ عَنِ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾[1]: بَدَلُ الِاشْتِمَالِ مِنَ الشَّهْرِ، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ :)عَنْ قِتَالٍ فِيهِ)، عَلَى تَكْرِيرِ الْعَامِلِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾[2]، وَقَرَأَ عِكْرِمَةُ: (قَتْلٍ فِيهِ قُلْ قَتْلٌ فِيهِ كَبِيرٌ)، أَيْ: إِثْمٌ كَبِيرٌ.

وَعَنْ عَطَاءٍ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ؟ فَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا يَحِلُّ لِلنَّاسِ أَنْ يَغْزُوا فِي الْحَرَمِ وَلَا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ إِلَّا أَنْ يُقَاتَلُوا فِيهِ، وَمَا نُسِخَتْ، وَأَكْثَرُ الْأَقَاوِيلِ عَلَى أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾[3].

﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[4]: مُبْتَدَأٌ وَأَكْبَرُ خَبَرُهُ، يَعْنِي: وَكَبَائِرُ قُرَيْشٍ مِنْ صَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَعَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾[5] مِمَّا فَعَلَتْهُ السَّرِيَّةُ مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ عَلَى سَبِيلِ الْخَطَإِ وَالْبِنَاءِ عَلَى الظَّنِّ .

﴿وَالْفِتْنَةُ﴾[6]: الْإِخْرَاجُ أَوِ الشِّرْكُ، ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[7]: عَطْفٌ عَلَى سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْطَفَ عَلَى الْهَاءِ فِي "بِهِ"[8].

---

1 سورة الْبَقَرَة، الآية .

2 سورة الْأَعْرَاف، الآية 75.

3 سورة التَّوْبَة، الآية 5.

4 سورة الْبَقَرَة، الآية .

5 سورة الْبَقَرَة، الآية .

6 سورة الْبَقَرَة، الآية .

7 سورة الْبَقَرَة، الآية .

8 سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[1]: إِخْبَارٌ عَنْ دَوَامِ عَدَاوَةِ الْكُفَّارِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُمْ لَا يَنْفَكُّونَ عَنْهَا حَتَّى يَرُدُّوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَتَّى مَعْنَاهَا التَّعْلِيلُ كَقَوْلِكَ: فُلَانٌ يَعْبُدُ اللَّهَ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، أَيْ: يُقَاتِلُونَكُمْ كَيْ يَرُدُّوكُمْ.

وَ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[2]: اسْتِبْعَادٌ لِاسْتِطَاعَتِهِمْ كَقَوْلِ الرَّجُلِ لِعَدُوِّهِ: إِنْ ظَفِرْتَ بِي فَلَا تُبْقِ عَلَيَّ، وَهُوَ وَاثِقٌ بِأَنَّهُ لَا يَظْفَرُ بِهِ.

﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ﴾[3]: وَمَنْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ إِلَى دِينِهِمْ وَيُطَاوِعْهُمْ عَلَى رَدِّهِ إِلَيْهِ "فَيَمُتْ": عَلَى الرِّدَّةِ؛ ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[4]: لِمَا يَفُوتُهُمْ بِإِحْدَاثِ الرِّدَّةِ مِمَّا لِلْمُسْلِمِينَ فِي الدُّنْيَا مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِسْلَامِ، وَبِاسْتِدَامَتِهَا وَالْمَوْتِ عَلَيْهَا مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، وَبِهَا احْتَجَّ الشَّافِعِيُّ عَلَى أَنَّ الرِّدَّةَ لَا تُحْبِطُ الْأَعْمَالَ حَتَّى يَمُوتَ عَلَيْهَا، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهَا تُحْبِطُهَا وَإِنْ رَجَعَ مُسْلِمًا .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾[5]: رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ وَأَصْحَابَهُ حِينَ قَتَلُوا الْحَضْرَمِيَّ، ظَنَّ قَوْمٌ أَنَّهُمْ إِنْ سَلِمُوا مِنَ الْإِثْمِ فَلَيْسَ لَهُمْ أَجْرٌ، فَنَزَلَتْ: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾[6].

وَعَنْ قَتَادَةَ: هَؤُلَاءِ خِيَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَهْلَ رَجَاءٍ كَمَا تَسْمَعُونَ، وَإِنَّهُ مَنْ رَجَا طَلَبَ، وَمَنْ خَافَ هَرَبَ.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ

---

1 سورة الْبَقَرَة، الآية .
2 سورة الْبَقَرَة، الآية .
3 سورة الْبَقَرَة، الآية .
4 سورة الْبَقَرَة، الآية .
5 سورة الْبَقَرَة، الآية .
6 سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]

نَزَلَتْ فِي الْخَمْرِ أَرْبَعُ آيَاتٍ، نَزَلَتْ بِمَكَّةَ: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾[2]، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَشْرَبُونَهَا، وَهِيَ لَهُمْ حَلَالٌ.

ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ وَمُعَاذًا وَنَفَرًا مِنَ الصَّحَابَةِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْتِنَا فِي الْخَمْرِ، فَإِنَّهَا مُذْهِبَةٌ لِلْعَقْلِ، مُسْلِبَةٌ لِلْمَالِ، فَنَزَلَتْ: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[3]، فَشَرِبَهَا قَوْمٌ وَتَرَكَهَا آخَرُونَ.

ثُمَّ دَعَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ نَاسًا مِنْهُمْ، فَشَرِبُوا وَسَكِرُوا فَأَمَّ بَعْضُهُمْ فَقَرَأَ: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)، فَنَزَلَتْ: ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾[4]، فَقَلَّ مَنْ يَشْرَبُهَا.

ثُمَّ دَعَا عِتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ قَوْمًا فِيهِمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَلَمَّا سَكِرُوا، افْتَخَرُوا وَتَنَاشَدُوا، حَتَّى أَنْشَدَ سَعْدٌ شِعْرًا فِيهِ هِجَاءُ الْأَنْصَارِ، فَضَرَبَهُ أَنْصَارِيٌّ بِلِحَى بَعِيرٍ، فَشَجَّهُ مُوضِحَةً، فَشَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: اللَّهُمَّ، بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾[5] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[6]، فَقَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: انْتَهَيْنَا يَا رَبِّ.

وَعَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: لَوْ وَقَعَتْ قَطْرَةٌ فِي بِئْرٍ، فَبُنِيَتْ مَكَانَهَا مَنَارَةٌ لَمْ أُؤَذِّنْ عَلَيْهَا، وَلَوْ وَقَعَتْ فِي بَحْرٍ، ثُمَّ جَفَّ وَنَبَتَ فِيهِ الْكَلَأُ، لَمْ أَرْعَهُ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: لَوْ أَدْخَلْتُ أُصْبُعِي فِيهِ لَمْ تَتْبَعْنِي، وَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ حَقًّا، وَهُمُ الَّذِينَ اتَّقَوُا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَالْخَمْرُ: مَا غَلَا وَاشْتَدَّ وَقَذَفَ بِالزَّبَدِ مِنْ

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية 67.

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة النِّسَاءِ، الآية 43.

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْمَائِدَةِ، الآية 91.

عَصِيرِ الْعِنَبِ، وَهُوَ حَرَامٌ، وَكَذَلِكَ نَقِيعُ الزَّبِيبِ أَوِ التَّمْرِ الَّذِي لَمْ يُطْبَخْ، فَإِنْ طُبِخَ حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثَاهُ، ثُمَّ غَلَا وَاشْتَدَّ، ذَهَبَ خُبْثُهُ وَنَصِيبُ الشَّيْطَانِ، وَحَلَّ شُرْبُهُ مَا دُونَ السَّكَرِ، إِذَا لَمْ يُقْصَدْ بِشُرْبِهِ اللَّهْوُ وَالطَّرَبُ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ.

وَعَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ: لَأَنْ أَقُولَ مِرَارًا هُوَ: "حَلَالٌ" أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ مَرَّةً هُوَ "حَرَامٌ" وَلَأَنْ أُخِرُّ مِنَ السَّمَاءِ فَأَتَقَطَّعَ قِطَعًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْهُ قَطْرَةً.

وَعِنْدَ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ: هُوَ حَرَامٌ كَالْخَمْرِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا أَسْكَرَ مِنْ كُلِّ شَرَابٍ، وَسُمِّيَتْ "خَمْرًا" لِتَغْطِيَتِهَا الْعَقْلَ وَالتَّمْيِيزَ، كَمَا سُمِّيَتْ سَكَرًا، لِأَنَّهَا تُسْكِرُهُمَا، أَيْ: تَحْجِزُهُمَا، وَكَأَنَّهَا سُمِّيَتْ بِالْمَصْدَرِ مِنْ "خَمَرَهُ خَمْرًا"، إِذَا سَتَرَهُ لِلْمُبَالِغَةِ، وَالْمَيْسِرُ: الْقِمَارُ، مَصْدَرٌ مِنْ يَسَرَ، كَالْمَوْعِدِ وَالْمَرْجِعِ مِنْ فِعْلِهُمَا، يُقَالُ: يَسَرْتُهُ، إِذَا قَمَرْتَهُ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْيُسْرِ، لِأَنَّهُ أَخْذُ مَالِ الرَّجُلِ بِيُسْرٍ وَسُهُولَةٍ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَلَا تَعَبٍ، أَوْ مِنَ الْيَسَارِ؛ لِأَنَّهُ سَلَبَ يَسَارَهُ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُخَاطِرُ عَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ

قَالَ:

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَيْسِرُونَنِي

أَيْ: يَفْعَلُونَ بِي مَا يَفْعَلُ الْيَاسِرُونَ بِالْمَيْسُورِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ صِفَةُ الْمَيْسِرِ؟

قُلْتُ: كَانَتْ لَهُمْ عَشَرَةُ أَقْدَاحٍ، وَهِيَ: الْأَزْلَامُ، وَالْأَقْلَامُ، وَالْفَذُّ، وَالتَّوْأَمُ، وَالرَّقِيبُ، وَالْحِلْسُ، وَالنَّافِسُ، وَالْمُسْبِلُ، وَالْمُعَلَّى، وَالْمُنَيَّحُ، وَالسَّفِيحُ، وَالْوَغْدُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا نَصِيبٌ مَعْلُومٌ مِنْ جَزُورٍ يَنْحَرُونَهَا وَيُجَزِّءُونَهَا عَشَرَةَ أَجْزَاءٍ، وَقِيلَ: ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ، وَهِيَ: الْمَنِيحُ، وَالسَّفِيحُ، وَالْوَغْدُ، وَلِبَعْضِهِمْ:

لِي فِي الدُّنْيَا سِهَامٌ لَيْسَ فِيهِنَّ رَبِيحُ
وَأَسَامِيهُنَّ: وَغْـــدٌ وَسَفِيحٌ وَمَنِيـــحُ

لِلْفَذِّ سَهْمٌ، وَلِلتَّوْأَمِ سَهْمَانِ، وَلِلرَّقِيبِ ثَلَاثَةٌ، وَلِلْحِلْسِ أَرْبَعَةٌ، وَلِلنَّافِسِ خَمْسَةٌ، وَلِلْمُسْبِلِ سِتَّةٌ، وَلِلْمُعَلَّى سَبْعَةٌ، يَجْعَلُونَهَا فِي الرَّبَابَةِ وَهِيَ خَرِيطَةٌ، وَيَضَعُونَهَا عَلَى يَدَيْ عَدْلٍ، ثُمَّ يُجَلْجِلُهَا وَيُدْخِلُ يَدَهُ فَيَخْرُجُ بِاسْمِ رَجُلٍ رَجُلٍ قَدَحًا مِنْهَا، فَمَنْ خَرَجَ لَهُ قَدَحٌ مِنْ ذَوَاتِ الْأَنْصِبَاءِ أَخَذَ النَّصِيبَ الْمَوْسُومَ بِهِ ذَلِكَ الْقَدَحُ، وَمَنْ خَرَجَ لَهُ قَدَحٌ مِمَّا لَا نَصِيبَ لَهُ

لَمْ يَأْخُذْ شَيْئًا وَغَرِمَ ثَمَنَ الْجَزُورِ كُلِّهِ، وَكَانُوا يَدْفَعُونَ تِلْكَ الْأَنْصِبَاءَ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَلَا يَأْكُلُونَ مِنْهَا، وَيَفْتَخِرُونَ بِذَلِكَ وَيَذُمُّونَ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ، وَيُسَمُّونَهُ الْبَرَمَ.

وَفِي حُكْمِ الْمَيْسِرِ أَنْوَاعُ الْقِمَارِ، مِنَ النَّرْدِ وَالشِّطْرَنْجِ وَغَيْرِهِمَا.

وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "يَّاكُمْ وَهَاتَيْنِ اللُّعْبَتَيْنِ الْمَشْئُومَتَيْنِ فَإِنَّهُمَا مِنْ مَيْسِرِ الْعَجَمِ".

وَعَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّ النَّرْدَ وَالشِّطْرَنْجَ مِنَ الْمَيْسِرِ.

وَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ: كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ خَطَرٌ فَهُوَ مِنَ الْمَيْسِرِ، وَالْمَعْنَى: يَسْأَلُونَكَ عَمَّا فِي تَعَاطِيهِمَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَإِثْمُهُمَا﴾[1]، وَعِقَابُ الْإِثْمِ فِي تَعَاطِيهِمَا ﴿أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[2]: وَهُوَ الِالْتِذَاذُ بِشُرْبِ الْخَمْرِ وَالْقِمَارِ، وَالطَّرَبُ فِيهِمَا، وَالتَّوَصُّلُ بِهِمَا إِلَى مُصَادَقَاتِ الْفِتْيَانِ وَمُعَاشَرَتِهِمْ، وَالنَّيْلِ مِنْ مَطَاعِمِهِمْ وَمَشَارِبِهِمْ وَأُعْطِيَاتِهِمْ، وَسَلْبُ الْأَمْوَالِ بِالْقِمَارِ، وَالِافْتِخَارُ عَلَى الْأَبْرَامِ، وَقُرِئَ: (إِثْمٌ كَثِيرٌ) بِالثَّاءِ- وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ:)وَإِثْمُهُمَا أَقْرَبُ) وَمَعْنَى الْكَثْرَةِ: أَنَّ أَصْحَابَ الشُّرْبِ وَالْقِمَارِ يَقْتَرِفُونَ فِيهِمَا الْآثَامَ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ .

﴿الْعَفْوَ﴾[3]: نَقِيضُ الْجُهْدِ، وَهُوَ أَنْ يُنْفِقَ مَالًا يَبْلُغُ إِنْفَاقُهُ مِنْهُ الْجُهْدَ وَاسْتِفْرَاغَ الْوُسْعِ.

قَالَ:

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَـــوَدَّتِي

وَيُقَالُ لِلْأَرْضِ السَّهْلَةِ: الْعَفْوُ، وَقُرِئَ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ بِبَيْضَةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَصَابَهَا فِي بَعْضِ الْمَغَازِي فَقَالَ: خُذْهَا مِنِّي صَدَقَةً، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَتَاهُ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ، فَقَالَ مِثْلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ أَتَاهُ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَالَ: "هَاتِهَا" مُغْضَبًا، فَأَخَذَهَا فَحَذَفَهُ بِهَا حَذْفًا لَوْ أَصَابَهُ لَشَجَّهُ أَوْ عَقَرَهُ، ثُمَّ قَالَ: "يَجِيءُ أَحَدُكُمْ بِمَالِهِ كُلِّهِ يَتَصَدَّقُ بِهِ وَيَجْلِسُ يَتَكَفَّفُ النَّاسَ! إِنَّمَا الصَّدَقَةُ عَنْ ظَهْرِ غِنًى".

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[1]، إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِـ"تَتَفَكَّرُونَ" فَيَكُونُ الْمَعْنَى: لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدَّارَيْنِ، فَتَأْخُذُونَ بِمَا هُوَ أَصْلَحُ لَكُمْ، كَمَا بَيَّنْتُ لَكُمْ أَنَّ الْعَفْوَ أَصْلَحُ مِنَ الْجُهْدِ فِي النَّفَقَةِ، أَوْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدَّارَيْنِ فَتُؤْثِرُونَ أَبْقَاهُمَا وَأَكْثَرَهُمَا مَنَافِعَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[2]، لِتَتَفَكَّرُوا فِي عِقَابِ الْإِثْمِ فِي الْآخِرَةِ وَالنَّفْعِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى لَا تَخْتَارُوا النَّفْعَ الْعَاجِلَ عَلَى النَّجَاةِ مِنَ الْعِقَابِ الْعَظِيمِ، وَإِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِـ﴿يُبَيِّنُ﴾[3] عَلَى مَعْنَى: يُبَيِّنُ لَكُمُ الْآيَاتِ فِي أَمْرِ الدَّارَيْنِ، وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ .

لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾[4]، اعْتَزَلُوا الْيَتَامَى، وَتَحَامُوهُمْ، وَتَرَكُوا مُخَالَطَتَهُمْ، وَالْقِيَامَ بِأَمْوَالِهِمْ، وَالِاهْتِمَامَ بِمَصَالِحِهِمْ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَكَادَ يُوقِعُهُمْ فِي الْحَرَجِ، فَقِيلَ: ﴿إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾[5]، أَيْ: مُدَاخَلَتُهُمْ عَلَى وَجْهِ الْإِصْلَاحِ لَهُمْ وَلِأَمْوَالِهِمْ خَيْرٌ مِنْ مُجَانَبَتِهِمْ، ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾[6]: وَتُعَاشِرُوهُمْ وَلَمْ تُجَانِبُوهُمْ، "فَ" هُمْ "إِخْوَانُكُمْ": فِي الدِّينِ، وَمِنْ حَقِّ الْأَخِ أَنْ يُخَالِطَ أَخَاهُ، وَقَدْ حُمِلَتِ الْمُخَالَطَةُ عَلَى الْمُصَاهَرَةِ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[7]، أَيْ: لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مَنْ دَاخَلَهُمْ بِإِفْسَادٍ وَإِصْلَاحٍ، فَيُجَازِيهِ عَلَى حَسَبِ مُدَاخَلَتِهِ، فَاحْذَرُوهُ وَلَا تَتَحَرَّوْا غَيْرَ الْإِصْلَاحِ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾[8]: لَحَمَلَكُمْ عَلَى الْعَنَتِ، وَهُوَ الْمَشَقَّةُ، وَأَحْرَجَكُمْ فَلَمْ يُطْلِقْ لَكُمْ مُدَاخَلَتَهُمْ، وَقَرَأَ طَاوُسٌ: (قُلْ أَصْلِحْ لَهُمْ)، وَمَعْنَاهُ: إِيصَالُ الصَّلَاحِ، وَقُرِئَ: (لَعْنَتَكُمْ) بِطَرْحِ الْهَمْزَةِ وَإِلْقَاءِ حَرَكَتِهَا عَلَى اللَّامِ، وَكَذَلِكَ: (فَلَّا إِثْم عَلَيْهِ).

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

4 سورة النِّسَاءِ، الآية 10.

5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

8 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾[1]: غَالِبٌ، يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُعْنِتَ عِبَادَهُ وَيُحْرِجَهُمْ وَلَكِنَّهُ: ﴿حَكِيمٌ﴾[2] لَا يُكَلِّفُ إِلَّا مَا تَتَّسِعُ فِيهِ طَاقَتُهُمْ.

﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[3]

﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾[4]: وَقُرِئَ بِضَمِّ التَّاءِ، أَيْ: لَا تَتَزَوَّجُوهُنَّ أَوْ لَا تُزَوِّجُوهُنَّ، و﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾[5]: الْحَرْبِيَّاتِ، وَالْآيَةُ ثَابِتَةٌ، وَقِيلَ: الْمُشْرِكَاتُ الْحَرْبِيَّاتُ وَالْكِتَابِيَّاتُ جَمِيعًا، لِأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، لِقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[6] إِلَى قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[7]، وَهِيَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[8]، وَسُورَةُ الْمَائِدَةِ كُلُّهَا ثَابِتَةٌ لَمْ يُنْسَخْ مِنْهَا شَيْءٌ قَطُّ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ.

وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بَعَثَ مَرْثَدَ بْنَ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ إِلَى مَكَّةَ لِيُخْرِجَ مِنْهَا نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ يَهْوَى امْرَأَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ اسْمُهَا عَنَاقُ، فَأَتَتْهُ وَقَالَتْ: أَلَا نَخْلُو؟ فَقَالَ: وَيْحَكِ! إِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ حَالَ بَيْنَنَا، فَقَالَتْ: فَهَلْ لَكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ بِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنْ أَرْجِعُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَأَسْتَأْمِرُهُ،

---

1 سورة الْبَقَرَة، الآية .

2 سورة الْبَقَرَة، الآية .

3 سورة الْبَقَرَة، الآية .

4 سورة الْبَقَرَة، الآية .

5 سورة الْبَقَرَة، الآية .

6 سورة الْبَقَرَة، الآية .

7 سورة التَّوْبَة، الآيتان 30–31.

8 سورة الْمَائِدَة، الآية 5.

فَاسْتَأْمَرَهُ؛ فَنَزَلَتْ: ﴿وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ﴾[1]، وَلَامْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ حُرَّةً كَانَتْ أَوْ مَمْلُوكَةً؛ وَكَذَلِكَ: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ﴾[2] أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ وَإِمَاؤُهُ؛ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾[3]: وَلَوْ كَانَ الْحَالُ أَنَّ الْمُشْرِكَةَ تُعْجِبُكُمْ وَتُحِبُّونَهَا، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَةَ خَيْرٌ مِنْهَا مَعَ ذَلِكَ .

﴿أُولَئِكَ﴾[4]: إِشَارَةٌ إِلَى الْمُشْرِكَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ، أَيْ: يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ فَحَقُّهُمْ أَنْ لَا يُوَالَوْا وَلَا يُصَاهَرُوا وَلَا يَكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا الْمُنَاصَبَةُ وَالْقِتَالُ.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ﴾[5]، يَعْنِي وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَدْعُونَ إِلَى الْجَنَّةِ.

﴿وَالْمَغْفِرَةِ﴾[6]: وَمَا يُوَصِّلُ إِلَيْهِمَا فَهُمُ الَّذِينَ تَجِبُ مُوَالَاتُهُمْ وَمُصَاهَرَتُهُمْ، وَأَنْ يُؤْثَرُوا عَلَى غَيْرِهِمْ ﴿بِإِذْنِهِ﴾[7]: بِتَيْسِيرِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ لِلْعَمَلِ الَّذِي تَسْتَحِقُّ بِهِ الْجَنَّةُ وَالْمَغْفِرَةُ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: (وَالْمَغْفِرَةُ بِإِذْنِهِ) بِالرَّفْعِ– أَيْ: وَالْمَغْفِرَةُ حَاصِلَةٌ بِتَيْسِيرِهِ.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[8]

﴿الْمَحِيضِ﴾[9]: مَصْدَرٌ، يُقَالُ: حَاضَتْ مَحِيضًا، كَقَوْلِكَ: جَاءَ مَجِيئًا، وَبَاتَ مَبِيتًا.

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
4 سورة الْبَقَرَةِ ، الآية .
5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
8 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
9 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾[1]، أَيِ الْحَيْضُ شَيْءٌ يُسْتَقْذَرُ وَيُؤْذِي مَنْ يَقْرَبُهُ؛ نَفْرَةً مِنْهُ وَكَرَاهَةً لَهُ: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾[2]: فَاجْتَنِبُوهُنَّ؛ يَعْنِي: فَاجْتَنِبُوا مُجَامَعَتَهُنَّ.

رُوِيَ: أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُشَارِبُوهَا، وَلَمْ يُجَالِسُوهَا عَلَى فُرُشٍ، وَلَمْ يُسَاكِنُوهَا فِي بَيْتٍ، كَفِعْلِ الْيَهُودِ وَالْمَجُوسِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ بِظَاهِرِ اعْتِزَالِهِنَّ فَأَخْرَجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِمْ، فَقَالَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْبَرْدُ شَدِيدٌ، وَالثِّيَابُ قَلِيلَةٌ، فَإِنْ آثَرْنَاهُنَّ بِالثِّيَابِ هَلَكَ سَائِرُ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَإِنِ اسْتَأْثَرْنَا بِهَا هَلَكَتِ الْحُيَّضُ، فَقَالَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "إِنَّمَا أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْتَزِلُوا مُجَامَعَتَهُنَّ إِذَا حِضْنَ، وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِإِخْرَاجِهِنَّ مِنَ الْبُيُوتِ كَفِعْلِ الْأَعَاجِمِ".

وَقِيلَ: إِنَّ النَّصَارَى كَانُوا يُجَامِعُونَهُنَّ، وَلَا يُبَالُونَ بِالْحَيْضِ، وَالْيَهُودُ كَانُوا يَعْتَزِلُونَهُنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَأَمَرَ اللَّهُ بِالِاقْتِصَادِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ.

وَبَيْنَ الْفُقَهَاءِ خِلَافٌ فِي الِاعْتِزَالِ، فَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَبُو يُوسُفَ: يُوجِبَانِ اعْتِزَالَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْإِزَارُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ لَا يُوجِبُ إِلَّا اعْتِزَالَ الْفَرْجِ.

وَرَوَى مُحَمَّدٌ حَدِيثَ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ سَأَلَهَا: هَلْ يُبَاشِرُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ؟ فَقَالَتْ: تَشُدُّ إِزَارَهَا عَلَى سِفْلَتِهَا، ثُمَّ لِيُبَاشِرْهَا إِنْ شَاءَ.

وَمَا رَوَى زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: مَا يَحِلُّ لِي مِنِ امْرَأَتِي وَهِيَ حَائِضٌ؟ قَالَ: "لِتَشُدَّ عَلَيْهَا إِزَارَهَا ثُمَّ شَأْنَكَ بِأَعْلَاهَا"، ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ.

وَقَدْ جَاءَ مَا هُوَ أَرْخَصُ مِنْ هَذَا عَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– أَنَّهَا قَالَتْ: يَجْتَنِبُ شِعَارَ الدَّمِ وَلَهُ مَا سِوَى ذَلِكَ.

وَقُرِئَ (يَطَّهَّرْنَ): بِالتَّشْدِيدِ، أَيْ: يَتَطَهَّرْنَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾[3]؛ وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: (حَتَّى يَتَطَهَّرْنَ)، وَ(يَطْهُرْنَ) بِالتَّخْفِيفِ، وَالتَّطَهُّرُ: الِاغْتِسَالُ، وَالطُّهْرُ: انْقِطَاعُ دَمِ الْحَيْضِ، وَكِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ مِمَّا يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ؛ فَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَى أَنَّ لَهُ أَنْ يَقْرَبَهَا فِي أَكْثَرِ الْحَيْضِ بَعْدَ انْقِطَاعِ الدَّمِ وَإِنْ لَمْ تَغْتَسِلْ، وَفِي أَقَلِّ الْحَيْضِ لَا يَقْرَبُهَا حَتَّى تَغْتَسِلَ، أَوْ

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

يَمْضِيَ عَلَيْهَا وَقْتُ صَلَاةٍ؛ وَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ إِلَى أَنَّهُ لَا يَقْرَبُهَا حَتَّى تَطْهُرَ وَتُطَهَّرَ، فَتَجْمَعُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَهُوَ قَوْلٌ وَاضِحٌ، وَيُعَضِّدُهُ قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾[1].

﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾[2]: مِنَ الْمَأْتَى الَّذِي أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ وَحَلَّلَهُ لَكُمْ، وَهُوَ الْقُبُلُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾[3]: مِمَّا عَسَى يَنْدُرُ مِنْهُمْ مِنِ ارْتِكَابِ مَا نُهُوا عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ، ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[4]: الْمُتَنَزِّهِينَ عَنِ الْفَوَاحِشِ، أَوْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ الَّذِينَ يُطَهِّرُونَ أَنْفُسَهُمْ بِطَهْرَةِ التَّوْبَةِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْذَارِ: كَمُجَامَعَةِ الْحَائِضِ وَالطَّاهِرِ قَبْلَ الْغُسْلِ، وَإِتْيَانِ مَا لَيْسَ بِمُبَاحٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿حَرْثٌ لَكُمْ﴾[5] مَوَاضِعُ الْحَرْثِ لَكُمْ، وَهَذَا مَجَازٌ، شُبِّهْنَ بِالْمَحَارِثِ تَشْبِيهًا لِمَا يُلْقَى فِي أَرْحَامِهِنَّ مِنَ النُّطَفِ الَّتِي مِنْهَا النَّسْلُ بِالْبُذُورِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[6]: تَمْثِيلٌ، أَيْ فَأْتُوهُنَّ كَمَا تَأْتُونَ أَرَاضِيَكُمُ الَّتِي تُرِيدُونَ أَنْ تَحْرُثُوهَا مِنْ أَيِّ جِهَةٍ شِئْتُمْ، لَا تُحْظَرُ عَلَيْكُمْ جِهَةٌ دُونَ جِهَةٍ، وَالْمَعْنَى: جَامِعُوهُنَّ مِنْ أَيِّ شِقٍّ أَدَرْتُمْ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْمَأْتَى وَاحِدًا وَهُوَ مَوْضِعُ الْحَرْثِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾[7]، ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾[8]، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[9] مِنَ الْكِنَايَاتِ اللَّطِيفَةِ وَالتَّعْرِيضَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ.

وَهَذِهِ وَأَشْبَاهُهَا فِي كَلَامِ اللَّهِ آدَابٌ حَسَنَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَعَلَّمُوهَا وَيَتَأَدَّبُوا بِهَا وَيَتَكَلَّفُوا مِثْلَهَا فِي مُحَاوَرَتِهِمْ وَمُكَاتَبَتِهِمْ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[8] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[9] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَرُوِيَ: أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَقُولُونَ: مَنْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ مُجْبِيَةٌ مِنْ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا كَانَ وَلَدُهَا أَحْوَلَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: "كَذَبَتِ الْيَهُودُ" وَنَزَلَتْ.

﴿وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ﴾[1]: مَا يَجِبُ تَقْدِيمُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَمَا هُوَ خِلَافُ مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَقِيلَ: هُوَ طَلَبُ الْوَلَدِ، وَقِيلَ: التَّسْمِيَةُ عَلَى الْوَطْءِ؛ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[2]: فَلَا تَجْتَرِئُوا عَلَى الْمَنَاهِي؛ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ﴾[3]: فَتَزَوَّدُوا مَا لَا تَفْتَضِحُونَ بِهِ.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4]: الْمُسْتَوْجِبِينَ لِلْمَدْحِ وَالتَّعْظِيمِ بِتَرْكِ الْقَبَائِحِ وَفِعْلِ الْحَسَنَاتِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَوْقِعُ قَوْلِهِ: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾[5] مِمَّا قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: مَوْقِعُهُ مَوْقِعُ الْبَيَانِ وَالتَّوْضِيحِ لِقَوْلِهِ: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾[6]، يَعْنِي: أَنَّ الْمَأْتَى الَّذِي أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ هُوَ مَكَانُ الْحَرْثِ، تَرْجَمَةً لَهُ وَتَفْسِيرًا، أَوْ إِزَالَةً لِلشُّبْهَةِ، وَدَلَالَةً عَلَى أَنَّ الْغَرَضَ الْأَصِيلَ فِي الْإِتْيَانِ هُوَ طَلَبُ النَّسْلِ لَا قَضَاءُ الشَّهْوَةِ، فَلَا تَأْتُوهُنَّ إِلَّا مِنَ الْمَأْتَى الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ هَذَا الْغَرَضُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا بَالُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾[7]: جَاءَ بِغَيْرِ وَاوٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ مَعَ الْوَاوِ ثَلَاثًا؟

قُلْتُ: كَانَ سُؤَالُهُمْ عَنْ تِلْكَ الْحَوَادِثِ الْأُوَلِ وَقَعَ فِي أَحْوَالٍ مُتَفَرِّقَةٍ، فَلَمْ يُؤْتَ بِحَرْفِ الْعَطْفِ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ السُّؤَالَاتِ سُؤَالٌ مُبْتَدَأٌ، وَسَأَلُوا عَنِ الْحَوَادِثِ الْأُخَرِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، فَجِيءَ بِحَرْفِ الْجَمْعِ لِذَلِكَ، كَأَنَّهُ قِيلَ: يَجْمَعُونَ لَكَ بَيْنَ السُّؤَالِ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ، وَالسُّؤَالِ عَنِ الْإِنْفَاقِ، وَالسُّؤَالِ عَنْ كَذَا وَكَذَا.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[1]

الْعُرْضَةُ: فُعْلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، كَالْقُبْضَةِ وَالْغُرْفَةِ، وَهِيَ اسْمُ مَا تَعْرِضُهُ دُونَ الشَّيْءِ، مِنْ عَرَضَ الْعُودُ عَلَى الْإِنَاءِ فَيَعْتَرِضُ دُونَهُ وَيَصِيرُ حَاجِزًا وَمَانِعًا مِنْهُ، تَقُولُ: فُلَانٌ عُرْضَةٌ دُونَ الْخَيْرِ، وَالْعُرْضَةُ أَيْضًا: الْمُعَرَّضُ لِلْأَمْرِ.

قَالَ:

وَلَا تَجْعَلُونِي عُرْضَةً لِلَّوَائِمِ

وَمَعْنَى الْآيَةِ عَلَى الْأُولَى: أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَحْلِفُ عَلَى بَعْضِ الْخَيْرَاتِ، مِنْ صِلَةِ رَحِمٍ، أَوْ إِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنٍ، أَوْ إِحْسَانٍ إِلَى أَحَدٍ، أَوْ عِبَادَةٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَخَافُ اللَّهَ أَنْ أَحْنَثَ فِي يَمِينِي، فَيَتْرُكُ الْبِرَّ إِرَادَةَ الْبِرِّ فِي يَمِينِهِ، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ﴾[2]، أَيْ حَاجِزًا لِمَا حَلَفْتُمْ عَلَيْهِ؛ وَسُمِّيَ الْمَحْلُوفُ عَلَيْهِ يَمِينًا، لِتَلَبُّسِهِ بِالْيَمِينِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ: "إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ"، أَيْ: عَلَى شَيْءٍ مِمَّا يُحْلَفُ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا﴾[3]: عَطْفُ بَيَانٍ ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾[4]، أَيْ: لِلْأُمُورِ الْمَحْلُوفِ عَلَيْهَا الَّتِي هِيَ الْبِرُّ وَالتَّقْوَى وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ تَعَلَّقَتِ اللَّامُ فِي: ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾[5]؟

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

قُلْتُ: بِالْفِعْلِ، أَيْ: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ لِأَيْمَانِكُمْ بَرْزَخًا وَحِجَازًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِـ﴿عُرْضَةً﴾[1]: لِمَا فِيهَا مِنْ مَعْنَى الِاعْتِرَاضِ، بِمَعْنَى: لَا تَجْعَلُوهُ شَيْئًا يَعْتَرِضُ الْبِرَّ، مِن اعْتَرَضَنِي كَذَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ، وَيَتَعَلَّقُ: ﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾[2] بِالْفِعْلِ أَوْ بِالْعُرْضَةِ، أَيْ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ لِأَجْلِ أَيْمَانِكُمْ بِهِ عُرْضَةً لِأَنْ تَبَرُّوا.

وَمَعْنَاهَا عَلَى الْأُخْرَى: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ مُعَرَّضًا لِأَيْمَانِكُمْ، فَتَبْتَذِلُوهُ بِكَثْرَةِ الْحَلِفِ بِهِ؛ وَلِذَلِكَ ذُمَّ مَنْ أُنْزِلَ فِيهِ: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَهِينٍ﴾[3] بِأَشْنَعِ الْمَذَامِّ، وَجُعِلَ الْحَلَّافُ مُقَدِّمَتَهَا، وَأَنْ تَبَرُّوا عِلَّةٌ لِلنَّهْيِ، أَيْ: إِرَادَةَ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا؛ لِأَنَّ الْحَلَّافَ مُجْتَرِئٌ عَلَى اللَّهِ، غَيْرُ مُعَظِّمٍ لَهُ، فَلَا يَكُونُ بَرًّا مُتَّقِيًا، وَلَا يَثِقُ بِهِ النَّاسُ فَلَا يُدْخِلُونَهُ فِي وَسَاطَاتِهِمْ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ.

اللَّغْوُ: السَّاقِطُ الَّذِي لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ كَلَامٍ وَغَيْرِهِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِمَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ فِي الدِّيَةِ مِنْ أَوْلَادِ الْإِبِلِ: لَغْوٌ؛ وَاللَّغْوُ مِنَ الْيَمِينِ: السَّاقِطُ الَّذِي لَا يُعْتَدُّ بِهِ فِي الْأَيْمَانِ، وَهُوَ الَّذِي لَا عَقْدَ مَعَهُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ﴾[4].

﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[5].

وَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِيهِ، فَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ هُوَ أَنْ يَحْلِفَ عَلَى الشَّيْءِ يَظُنُّهُ عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَظْهَرُ خِلَافُهُ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: هُوَ قَوْلُ الْعَرَبِ: لَا وَاللَّهِ، وَبَلَى وَاللَّهِ، بِمَا يُؤَكِّدُونَ بِهِ كَلَامَهُمْ وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِمُ الْحَلِفُ، وَلَوْ قِيلَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ: سَمِعْتُكَ الْيَوْمَ تَحْلِفُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَأَنْكَرَ ذَلِكَ، وَلَعَلَّهُ قَالَ: لَا وَاللَّهِ أَلْفَ مَرَّةٍ.

وَفِيهِ مَعْنَيَانِ:

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْقَلَم، الآية 10.

[4] سورة الْمَائِدَة، الآية 89.

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

– أَحَدُهُمَا: (لَا يُؤَاخِذُكُمْ): أَيْ لَا يُعَاقِبُكُمْ بِلَغْوَةِ الْيَمِينِ الَّذِي يَحْلِفُهُ أَحَدُكُمْ بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ يُعَاقِبُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ، أَيِ: اقْتَرَفَتْهُ مِنْ إِثْمِ الْقَصْدِ إِلَى الْكَذِبِ فِي الْيَمَنِ، وَهُوَ أَنْ يَحْلِفَ عَلَى مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ خِلَافُ مَا يَقُولُهُ وَهِيَ الْيَمِينُ الْغَمُوسُ.

– وَالثَّانِي: (لَا يُؤَاخِذُكُمْ)، أَيْ: لَا يُلْزِمُكُمُ الْكَفَّارَةَ بِلَغْوِ الْيَمِينِ الَّذِي لَا قَصْدَ مَعَهُ، وَلَكِنْ يُلْزِمُكُمُ الْكَفَّارَةَ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ، أَيْ: بِمَا نَوَتْ قُلُوبُكُمْ وَقَصَدَتْ مِنَ الْأَيْمَانِ، وَلَمْ يَكُنْ كَسْبَ اللِّسَانِ وَحْدَهُ.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[1]: حَيْثُ لَمْ يُؤَاخِذْكُمْ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ.

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]

قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: (آلُوا مِنْ نِسَائِهِمْ)، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (يُقْسِمُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ).

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ عُدِّيَ بِمِنْ، وَهُوَ مُعَدًّى بِعَلَى؟

قُلْتُ: قَدْ ضُمِّنَ فِي هَذَا الْقَسَمِ الْمَخْصُوصِ مَعْنَى الْبُعْدِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: يَبْعُدُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ مُؤْلِينَ أَوْ مُقْسِمِينَ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ لَهُمْ: ﴿مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾[3]، كَقَوْلِهِ: لِي مِنْكَ كَذَا.

وَالْإِيلَاءُ مِنَ الْمَرْأَةِ أَنْ يَقُولَ: وَاللَّهِ لَا أَقْرَبُكِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَصَاعِدًا عَلَى التَّقْيِيدِ بِالْأَشْهُرِ، أَوْ لَا أَقْرَبُكِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَا يَكُونُ فِي مَا دُونَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، إِلَّا مَا يُحْكَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، وَحُكْمُ ذَلِكَ: أَنَّهُ إِذَا فَاءَ إِلَيْهَا فِي الْمُدَّةِ بِالْوَطْءِ إِنْ أَمْكَنَهُ أَوْ بِالْقَوْلِ إِنْ عَجَزَ صَحَّ الْفَيْءُ، وَحَنِثَ الْقَادِرُ، وَلَزِمَتْهُ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ، وَلَا كَفَّارَةَ عَلَى الْعَاجِزِ، وَإِنْ مَضَتِ

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

الْأَرْبَعَةُ بَانَتْ بِتَطْلِيقَةٍ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: لَا يَصِحُّ الْإِيلَاءُ إِلَّا فِي أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ثُمَّ يُوقَفُ الْمُولِي، فَإِمَّا أَنْ يَفِيءَ وَإِمَّا أَنْ يُطَلِّقَ، وَإِنْ أَبَى طَلَّقَ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ فَاءُوا﴾[1]: فَإِنْ فَاءُوا فِي الْأَشْهُرِ، بِدَلِيلِ قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: فَإِنْ فَاءُوا فِيهِنَّ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]: يَغْفِرُ لِلْمُولِينَ مَا عَسَى يَقْدَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ طَلَبِ ضِرَارِ النِّسَاءِ بِالْإِيلَاءِ وَهُوَ الْغَالِبُ، وَإِنْ كَانَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى رِضًا مِنْهُنَّ إِشْفَاقًا مِنْهُنَّ عَلَى الْوَلَدِ مِنَ الْغَيْلِ، أَوْ لِبَعْضِ الْأَسْبَابِ لِأَجْلِ الْفَيْئَةِ الَّتِي هِيَ مِثْلُ التَّوْبَةِ.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾[3]: فَتَرَبَّصُوا إِلَى مُضِيِّ الْمُدَّةِ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4]: وَعِيدٌ عَلَى إِصْرَارِهِمْ وَتَرْكِهِمُ الْفَيْئَةَ.

وَعَلَى قَوْلِ الشَّافِعِيِّ –رَحِمَهُ اللَّهُ– مَعْنَاهُ: ﴿فَإِنْ فَاءُوا﴾[5] ﴿وَإِنْ عَزَمُوا﴾[6]: بَعْدَ مُضِيِّ الْمُدَّةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ مَوْقِعُ الْفَاءِ إِذَا كَانَتِ الْفَيْئَةُ قَبْلَ انْتِهَاءِ مُدَّةِ التَّرَبُّصِ؟

قُلْتُ: مَوْقِعٌ صَحِيحٌ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَإِنْ فَاءُوا﴾[7]، ﴿وَإِنْ عَزَمُوا﴾[8]: تَفْصِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾[9]، وَالتَّفْصِيلُ يَعْقُبُ الْمُفَصَّلَ، كَمَا تَقُولُ: أَنَا نَزِيلُكُمْ هَذَا الشَّهْرَ، فَإِنْ أَحْمَدْتُكُمْ أَقَمْتُ عِنْدَكُمْ إِلَى آخِرِهِ، وَإِلَّا لَمْ أَقُمْ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا تَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[10]، وَعَزْمُهُمُ الطَّلَاقَ بِمَا يُعْلَمُ وَلَا يُسْمَعُ؟

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
8 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
9 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
10 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

قُلْتُ: الْغَالِبُ أَنَّ الْعَازِمَ لِلطَّلَاقِ وَتَرْكِ الْفَيْئَةِ وَالضِّرَارِ لَا يَخْلُو مِنْ مُقَاوَلَةٍ وَدَمْدَمَةٍ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يُحَدِّثَ نَفْسَهُ وَيُنَاجِيَهَا بِذَلِكَ، وَذَلِكَ حَدِيثٌ لَا يَسْمَعُهُ إِلَّا اللَّهُ كَمَا يَسْمَعُ وَسْوَسَةَ الشَّيْطَانِ .

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾[1]: أَرَادَ الْمَدْخُولَ بِهِنَّ مِنْ ذَوَاتِ الْأَقْرَاءِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جَازَتْ إِرَادَتُهُنَّ خَاصَّةً، وَاللَّفْظُ يَقْتَضِي الْعُمُومَ؟

قُلْتُ: بَلِ اللَّفْظُ مُطْلَقٌ فِي تَنَاوُلِ الْجِنْسِ صَالِحٌ لِكُلِّهِ وَبَعْضِهِ، فَجَاءَ فِي أَحَدِ مَا يَصْلُحُ لَهُ كَالِاسْمِ الْمُشْتَرَكِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى الْإِخْبَارِ عَنْهُنَّ بِالتَّرَبُّصِ؟

قُلْتُ: هُوَ خَبَرٌ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ، وَأَصْلُ الْكَلَامِ: وَلْيَتَرَبَّصِ الْمُطَلَّقَاتُ، وَإِخْرَاجُ الْأَمْرِ فِي صُورَةِ الْخَبَرِ تَأْكِيدٌ لِلْأَمْرِ، وَإِشْعَارٌ بِأَنَّهُ مِمَّا يَجِبُ أَنْ يُتَلَقَّى بِالْمُسَارَعَةِ إِلَى امْتِثَالِهِ، فَكَأَنَّهُنَّ امْتَثَلْنَ الْأَمْرَ بِالتَّرَبُّصِ، فَهُوَ يُخْبِرُ عَنْهُ مَوْجُودًا، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمْ فِي الدُّعَاءِ: رَحِمَكَ اللَّهُ، أُخْرِجَ فِي صُورَةِ الْخَبَرِ ثِقَةً بِالِاسْتِجَابَةِ، كَأَنَّمَا وُجِدَتِ الرَّحْمَةُ فَهُوَ يُخْبِرُ عَنْهَا، وَبِنَاؤُهُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ مِمَّا زَادَهُ أَيْضًا فَضْلَ تَأْكِيدٍ؛ وَلَوْ قِيلَ: وَيَتَرَبَّصُ الْمُطَلَّقَاتُ لَمْ يَكُنْ بِتِلْكَ الْوَكَادَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: يَتَرَبَّصْنَ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ، كَمَا قِيلَ: ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾[2]، وَمَا مَعْنَى ذِكْرِ الْأَنْفُسِ؟

قُلْتُ: فِي ذِكْرِ الْأَنْفُسِ تَهْيِيجٌ لَهُنَّ عَلَى التَّرَبُّصِ وَزِيَادَةُ بَعْثٍ، لِأَنَّ فِيهِ مَا يُسْتَنْكَفُ مِنْهُ، فَيَحْمِلُهُنَّ عَلَى أَنْ يَتَرَبَّصْنَ، وَذَلِكَ أَنَّ أَنْفُسَ النِّسَاءِ طَوَامِحُ إِلَى الرِّجَالِ، فَأُمِرْنَ أَنْ يَقْمَعْنَ أَنْفُسَهُنَّ وَيَغْلِبْنَهَا عَلَى الطُّمُوحِ وَيَجْبُرْنَهَا عَلَى التَّرَبُّصِ.

وَالْقُرُوءُ: جَمْعُ قُرْءٍ أَوْ قَرْءٍ، وَهُوَ الْحَيْضُ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: "دَعِي الصَّلَاةَ أَيَّامَ أَقْرَائِكِ" وَقَوْلِهِ: "طَلَاقُ الْأَمَةِ تَطْلِيقَتَانِ، وَعِدَّتُهَا حَيْضَتَانِ"، وَلَمْ يَقُلْ طُهْرَانِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ﴾[1]، فَأَقَامَ الْأَشْهُرَ مَقَامَ الْحَيْضِ دُونَ الْأَطْهَارِ؛ وَلِأَنَّ الْغَرَضَ الْأَصِيلَ فِي الْعِدَّةِ اسْتِبْرَاءُ الرَّحِمِ، وَالْحَيْضُ هُوَ الَّذِي تُسْتَبْرَأُ بِهِ الْأَرْحَامُ دُونَ الطُّهْرِ، وَلِذَلِكَ كَانَ الِاسْتِبْرَاءُ مِنَ الْأَمَةِ بِالْحَيْضَةِ .

وَيُقَالُ: أَقْرَأَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا حَاضَتْ، وَامْرَأَةٌ مُقْرِئٌ.

وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ: دَفَعَ فُلَانٌ جَارِيَتَهُ إِلَى فُلَانَةَ تُقْرِئُهَا، أَيْ: تُمْسِكُهَا عِنْدَهَا حَتَّى تَحِيضَ لِلِاسْتِبْرَاءِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا تَقُولُ فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[2]، وَالطَّلَاقُ الشَّرْعِيُّ إِنَّمَا هُوَ فِي الطُّهْرِ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ مُسْتَقْبِلَاتٍ لِعِدَّتِهِنَّ، كَمَا تَقُولُ: لَقِيتُهُ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنَ الشَّهْرِ، تُرِيدُ مُسْتَقْبِلًا لِثَلَاثٍ، وَعِدَّتُهُنَّ الْحِيَضُ الثَّلَاثُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا تَقُولُ فِي قَوْلِ الْأَعْشَى:

لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

قُلْتُ: أَرَادَ: لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ عِدَّةِ نِسَائِكَ؛ لِشُهْرَةِ الْقُرُوءِ عِنْدَهُمْ فِي الِاعْتِدَادِ بِهِنَّ، أَيْ: مِنْ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ كَالْمُدَّةِ الَّتِي تَعْتَدُّ فِيهَا النِّسَاءُ، اسْتَطَالَ مُدَّةَ غَيْبَتِهِ عَنْ أَهْلِهِ كُلَّ عَامٍ لِاقْتِحَامِهِ فِي الْحُرُوبِ وَالْغَارَاتِ، وَأَنَّهُ تَمُرُّ عَلَى نِسَائِهِ مُدَّةٌ كَمُدَّةِ الْعِدَّةِ ضَائِعَةٌ لَا يُضَاجَعْنَ فِيهَا، أَوْ أَرَادَ مِنْ أَوْقَاتِ نِسَائِكَ، فَإِنَّ الْقُرْءَ وَالْقَارِئَ جَاءَ فِي مَعْنَى الْوَقْتِ، وَلَمْ يُرِدْ لَا حَيْضًا وَلَا طُهْرًا.

فَإِنْ قُلْتَ: فَعَلَامَ انْتَصَبَ ﴿ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[3]؟

قُلْتُ: عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ كَقَوْلِكَ: الْمُحْتَكِرُ يَتَرَبَّصُ الْغَلَاءَ، أَيْ: يَتَرَبَّصْنَ مُضِيَّ ثَلَاثَةِ قُرُوءٍ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ ظَرْفٌ، أَيْ: يَتَرَبَّصْنَ مُدَّةَ ثَلَاثَةِ قُرُوءٍ .

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ جَاءَ الْمُمَيَّزُ عَلَى جَمْعِ الْكَثْرَةِ دُونَ الْقِلَّةِ الَّتِي هِيَ الْأَقْرَاءُ؟

---

[1] سورة الطَّلَاقِ، الآية 4.

[2] سورة الطَّلَاقِ، الآية 1.

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

قُلْتُ: يَتَّسِعُونَ فِي ذَلِكَ، فَيَسْتَعْمِلُونَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْجَمْعَيْنِ مَكَانَ الْآخَرِ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْجَمْعِيَّةِ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾[1] وَمَا هِيَ إِلَّا نُفُوسٌ كَثِيرَةٌ؟ وَلَعَلَّ الْقُرُوءَ كَانَتْ أَكْثَرَ اسْتِعْمَالًا فِي جَمْعِ قُرْءٍ مِنَ الْأَقْرَاءِ، فَأُوثِرَ عَلَيْهِ تَنْزِيلًا لِقَلِيلِ الِاسْتِعْمَالِ مَنْزِلَةَ الْمُهْمَلِ، فَيَكُونُ مِثْلَ قَوْلِهِمْ: ثَلَاثَةُ شُسُوعٍ.

وَقَرَأَ الزُّهْرِيُّ: (ثَلَاثَةَ قُرُوٍ) بِغَيْرِ هَمْزَةٍ.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾[2] مِنَ الْوَلَدِ أَوْ مِنْ دَمِ الْحَيْضِ، وَذَلِكَ إِذَا أَرَادَتِ الْمَرْأَةُ فِرَاقَ زَوْجِهَا، فَكَتَمَتْ حَمْلَهَا لِئَلَّا يَنْتَظِرَ بِطَلَاقِهَا أَنْ تَضَعَ، وَلِئَلَّا يُشْفِقَ عَلَى الْوَلَدِ فَيَتْرُكَ تَسْرِيحَهَا، أَوْ كَتَمَتْ حَيْضَهَا وَقَالَتْ وَهِيَ حَائِضٌ: قَدْ طَهُرْتُ؛ اسْتِعْجَالًا لِلطَّلَاقِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: اللَّاتِي يَبْغِينَ إِسْقَاطَ مَا فِي بُطُونِهِنَّ مِنَ الْأَجِنَّةِ، فَلَا يَعْتَرِفْنَ بِهِ وَيَجْحَدْنَهُ لِذَلِكَ، فَجُعِلَ كِتْمَانُ مَا فِي أَرْحَامِهِنَّ كِنَايَةً عَنْ إِسْقَاطِهِ، ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[3]: تَعْظِيمٌ لِفِعْلِهِنَّ، وَأَنَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِعِقَابِهِ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى مِثْلِهِ مِنَ الْعَظَائِمِ، وَالْبُعُولَةُ: جَمْعُ بَعْلٍ، وَالتَّاءُ لَاحِقَةٌ لِتَأْنِيثِ الْجَمْعِ كَمَا فِي الْحُزُونَةِ وَالسُّهُولَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْبُعُولَةِ الْمَصْدَرَ مِنْ قَوْلِكَ: بَعْلٌ حَسَنُ الْبُعُولَةِ، يَعْنِي: وَأَهْلُ بُعُولَتِهِنَّ ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾[4]: بِرَجْعَتِهِنَّ.

وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: (بِرَدَّتِهِنَ) ﴿فِي ذَلِكَ﴾[5] فِي مُدَّةِ ذَلِكَ التَّرَبُّصِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جُعِلُوا أَحَقَّ بِالرَّجْعَةِ، كَأَنَّ لِلنِّسَاءِ حَقًّا فِيهَا؟

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

قُلْتُ: الْمَعْنَى أَنَّ الرَّجُلَ إِنْ أَرَادَ الرَّجْعَةَ وَأَبَتْهَا الْمَرْأَةُ وَجَبَ إِيثَارُ قَوْلِهِ عَلَى قَوْلِهَا وَكَانَ هُوَ أَحَقَّ مِنْهَا، إِلَّا أَنَّ لَهَا حَقًّا فِي الرَّجْعَةِ ﴿إِنْ أَرَادُوا﴾[1] بِالرَّجْعَةِ ﴿إِصْلَاحًا﴾[2]: لِمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُنَّ، وَإِحْسَانًا إِلَيْهِنَّ وَلَمْ يُرِيدُوا مُضَارَّتَهُنَّ.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾[3]: وَيَجِبُ لَهُنَّ مِنَ الْحَقِّ عَلَى الرِّجَالِ مِثْلُ الَّذِي يَجِبُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾[4]: بِالْوَجْهِ الَّذِي لَا يُنْكَرُ فِي الشَّرْعِ وَعَادَاتِ النَّاسِ، فَلَا يُكَلِّفْنَهُمْ مَا لَيْسَ لَهُنَّ وَلَا يُكَلِّفُونَهُنَّ مَا لَيْسَ لَهُمْ، وَلَا يُعَنِّفُ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ صَاحِبَهُ.

وَالْمُرَادُ بِالْمُمَاثَلَةِ: مُمَاثَلَةُ الْوَاجِبِ الْوَاجِبَ فِي كَوْنِهِ حَسَنَةً، لَا فِي جِنْسِ الْفِعْلِ، فَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ إِذَا غَسَلَتْ ثِيَابَهُ أَوْ خَبَزَتْ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ نَحْوَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ يُقَابِلُهُ بِمَا يَلِيقُ بِالرِّجَالِ ﴿دَرَجَةٌ﴾[5]: زِيَادَةٌ فِي الْحَقِّ وَفَضِيلَةٌ، قِيلَ: الْمَرْأَةُ تَنَالُ مِنَ اللَّذَّةِ مَا يَنَالُ الرَّجُلُ، وَلَهُ الْفَضِيلَةُ بِقِيَامِهِ عَلَيْهَا وَإِنْفَاقِهِ فِي مَصَالِحِهَا.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودَ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[6]

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿الطَّلَاقُ": بِمَعْنَى التَّطْلِيقِ، كَالسَّلَامِ بِمَعْنَى التَّسْلِيمِ، أَيِ: التَّطْلِيقُ الشَّرْعِيُّ تَطْلِيقَةٌ بَعْدَ تَطْلِيقَةٍ عَلَى التَّفْرِيقِ دُونَ الْجَمْعِ وَالْإِرْسَالِ دُفْعَةً وَاحِدَةً، وَلَمْ يُرِدْ بِالْمَرَّتَيْنِ التَّثْنِيَةَ، وَلَكِنِ التَّكْرِيرَ، كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾[1]، أَيْ: كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةٍ، لَا كَرَّتَيْنِ اثْنَتَيْنِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ التَّثَانِي الَّتِي يُرَادُ بِهَا التَّكْرِيرُ قَوْلُهُمْ: لَبَّيْكَ، وَسَعْدَيْكَ، وَحَنَانَيْكَ، وَهَذَاذَيْكَ، وَدَوَالَيْكَ.

وَقَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[2]: تَخْيِيرٌ لَهُمْ –بَعْدَ أَنْ عَلَّمَهُمْ كَيْفَ يُطَلِّقُونَ– بَيْنَ أَنْ يُمْسِكُوا النِّسَاءَ بِحُسْنِ الْعِشْرَةِ وَالْقِيَامِ بِمُوَاجِبِهِنَّ، وَبَيْنَ أَنْ يُسَرِّحُوهُنَّ السَّرَاحَ الْجَمِيلَ الَّذِي عَلَّمَهُمْ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: الطَّلَاقُ الرَّجْعِيُّ مَرَّتَانِ، لِأَنَّهُ لَا رَجْعَةَ بَعْدَ الثَّلَاثِ.

﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾[3]، أَيْ: بِرَجْعَةٍ، ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[4]، أَيْ: بِأَنْ لَا يُرَاجِعَهَا حَتَّى تَبِينَ بِالْعِدَّةِ، أَوْ بِأَنْ لَا يُرَاجِعَهَا مُرَاجَعَةً يُرِيدُ بِهَا تَطْوِيلَ الْعِدَّةِ عَلَيْهَا وَضِرَارَهَا؛ وَقِيلَ: بِأَنْ يُطَلِّقَهَا الثَّالِثَةَ فِي الطُّهْرِ الثَّالِثِ.

وَرُوِيَ: أَنَّ سَائِلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أَيْنَ الثَّالِثَةُ؟ فَقَالَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ "وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ: الْجَمْعُ بَيْنَ التَّطْلِيقَتَيْنِ وَالثَّلَاثِ بِدْعَةٌ، وَالسُّنَّةُ أَنْ لَا يُوقِعَ عَلَيْهَا إِلَّا وَاحِدَةً فِي طُهْرٍ لَمْ يُجَامِعْهَا فِيهِ؛ لِمَا رُوِيَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ :أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ لَهُ: "إِنَّمَا السُّنَّةُ أَنْ تَسْتَقْبِلَ الطُّهْرَ اسْتِقْبَالًا فَتُطَلِّقَهَا لِكُلِّ قُرْءٍ تَطْلِيقَةً".

وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: لَا بَأْسَ بِإِرْسَالِ الثَّلَاثِ؛ لِحَدِيثِ الْعَجْلَانِيِّ الَّذِي لَاعَنَ امْرَأَتَهُ، فَطَلَّقَهَا ثَلَاثًا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ.

رُوِيَ: أَنَّ جَمِيلَةَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ كَانَتْ تَحْتَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَكَانَتْ تَبْغَضُهُ وَهُوَ يُحِبُّهَا، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَنَا وَلَا ثَابِتٌ، لَا يَجْمَعُ رَأْسِي وَرَأْسَهُ شَيْءٌ، وَاللَّهِ مَا أَعِيبُ عَلَيْهِ فِي دِينٍ وَلَا خُلُقٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ

---

[1] سورة الْمُلْكِ، الآية 4.

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ، مَا أُطِيقُهُ بُغْضًا، إِنِّي رَفَعْتُ جَانِبَ الْخِبَاءِ فَرَأَيْتُهُ أَقْبَلَ فِي عِدَّةٍ فَإِذَا هُوَ أَشْدُّهُمْ سَوَادًا، وَأَقْصَرُهُمْ قَامَةً، وَأَقْبَحُهُمْ وَجْهًا، فَنَزَلَتْ، وَكَانَ قَدْ أَصْدَقَهَا حَدِيقَةً، فَاخْتَلَعَتْ مِنْهُ بِهَا، وَهُوَ أَوَّلُ خُلْعٍ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ .

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَنِ الْخِطَابُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا﴾[1]؟ إِنْ قُلْتَ لِلْأَزْوَاجِ، لَمْ يُطَابِقْهُ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾[2]؛ وَإِنْ قُلْتَ لِلْأَئِمَّةِ وَالْحُكَّامِ، فَهَؤُلَاءِ لَيْسُوا بِآخِذِينَ مِنْهُنَّ وَلَا بِمُؤْتِيهِنَّ؟

قُلْتُ: يَجُوزُ الْأَمْرَانِ جَمِيعًا: أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ الْخِطَابِ لِلْأَزْوَاجِ، وَآخِرُهُ لِلْأَئِمَّةِ وَالْحُكَّامِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ غَيْرُ عَزِيزٍ فِي الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ، وَأَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ كُلُّهُ لِلْأَئِمَّةِ وَالْحُكَّامِ، لِأَنَّهُمُ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْأَخْذِ وَالْإِيتَاءِ عِنْدَ التَّرَافُعِ إِلَيْهِمْ، فَكَأَنَّهُمُ الْآخِذُونَ وَالْمُؤْتُونَ ﴿مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾[3]: مِمَّا أَعْطَيْتُمُوهُنَّ مِنَ الصَّدَقَاتِ.

﴿إِلا أَنْ يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾[4]: إِلَّا أَنْ يَخَافَ الزَّوْجَانِ تَرْكَ إِقَامَةِ حُدُودِ اللَّهِ فِيمَا يَلْزَمُهُمَا مِنْ مُوَاجِبِ الزَّوْجِيَّةِ، لِمَا يَحْدُثُ مِنْ نُشُوزِ الْمَرْأَةِ وَسُوءِ خُلُقِهَا؛ ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾[5]: فَلَا جُنَاحَ عَلَى الرَّجُلِ فِيمَا أَخَذَ وَلَا عَلَيْهَا فِيمَا أَعْطَتْ، ﴿فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾[6]: فِيمَا فَدَتْ بِهِ نَفْسَهَا وَاخْتَلَعَتْ بِهِ مِنْ بَذْلِ مَا أُوتِيَتْ مِنَ الْمَهْرِ، وَالْخُلْعُ بِالزِّيَادَةِ عَلَى الْمَهْرِ مَكْرُوهٌ وَهُوَ جَائِزٌ فِي الْحُكْمِ.

وَرُوِيَ أَنَّ امْرَأَةً نَشَزَتْ عَلَى زَوْجِهَا فَرُفِعَتْ إِلَى عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فَأَبَاتَهَا فِي بَيْتِ الزِّبْلِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ثُمَّ دَعَاهَا، فَقَالَ: كَيْفَ وَجَدْتِ مَبِيتَكِ؟ قَالَتْ: مَا بِتُّ مُنْذُ كُنْتُ عِنْدَهُ أَقَرَّ لِعَيْنِي مِنْهُنَّ، فَقَالَ لِزَوْجِهَا: اخْلَعْهَا وَلَوْ بِقُرْطِهَا؛ قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي بِمَالِهَا كُلِّهِ، هَذَا إِذَا كَانَ النُّشُوزُ مِنْهَا، فَإِنْ كَانَ مِنْهُ كُرِهَ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا شَيْئًا.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَقُرِئَ (إِلَّا أَنْ يُخَافَا) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَإِبْدَالِ أَنْ لَا يُقِيمَا مَنْ أَلِفِ الضَّمِيرِ، وَهُوَ مِنْ بَدَلِ الِاشْتِمَالِ كَقَوْلِكَ: خِيفَ زَيْدٌ تَرْكُهُ إِقَامَةَ حُدُودِ اللَّهِ، وَنَحْوُهُ: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[1]، وَيُعَضِّدُهُ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ: (إِلَّا أَنْ تَخَافُوا)؛ وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: (إِلَّا أَنْ يَظُنَّا).

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخَوْفُ بِمَعْنَى الظَّنِّ، يَقُولُونَ: أَخَافُ أَنْ يَكُونَ كَذَا، وَأَفْرَقُ أَنْ يَكُونَ، يُرِيدُونَ أَظُنُّ، ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾[2] الطَّلَاقَ الْمَذْكُورَ الْمَوْصُوفَ بِالتَّكْرَارِ فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾[3]، وَاسْتَوْفَى نِصَابَهُ؛ أَوْ فَإِنْ طَلَّقَهَا مَرَّةً ثَالِثَةً بَعْدَ الْمَرَّتَيْنِ: ﴿فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾[4]: مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ التَّطْلِيقِ، ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾[5]: حَتَّى تَتَزَوَّجَ غَيْرَهُ؛ وَالنِّكَاحُ يُسْنَدُ إِلَى الْمَرْأَةِ، كَمَا يُسْنَدُ إِلَى الرَّجُلِ كَمَا التَّزَوُّجُ، وَيُقَالُ: فُلَانَةُ نَاكِحٌ فِي بَنِي فُلَانٍ.

وَقَدْ تَعَلَّقَ مَنِ اقْتَصَرَ عَلَى الْعَقْدِ فِي التَّحْلِيلِ بِظَاهِرِهِ، وَهُوَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْإِصَابَةِ؛ لِمَا رَوَى عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–: أَنَّ امْرَأَةَ رِفَاعَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَتْ: إِنَّ رِفَاعَةَ طَلَّقَنِي فَبَتَّ طَلَاقِي، وَإِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزُّبَيْرِ تَزَوَّجَنِي، وَإِنَّمَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ وَإِنَّهُ طَلَّقَنِي قَبْلَ أَنْ يَمَسَّنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ ؟ لَا، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ".

وَرُوِيَ: أَنَّهَا لَبِثَتْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ كَانَ قَدْ مَسَّنِي، فَقَالَ لَهَا: "كَذَبْتِ فِي قَوْلِكِ الْأَوَّلِ، فَلَنْ أُصَدِّقَكِ فِي الْآخِرِ".

فَلَبِثَتْ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَأَتَتْ أَبَا بَكْرٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، فَقَالَتْ: أَأَرْجِعُ إِلَى زَوْجِي الْأَوَّلِ؟ فَقَالَ: قَدْ عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حِينَ قَالَ لَكِ مَا قَالَ، فَلَا تَرْجِعِي إِلَيْهِ؛ فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَتْ مِثْلَهُ لِعُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، فَقَالَ: إِنْ أَتَيْتِنِي بَعْدَ مَرَّتِكِ هَذِهِ لَأَرْجُمَنَّكِ، فَمَنَعَهَا.

---

[1] سورة الْأَنْبِيَاءِ، الآية 3.

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا تَقُولُ فِي النِّكَاحِ الْمَعْقُودِ بِشَرْطِ التَّحْلِيلِ؟

قُلْتُ: ذَهَبَ سُفْيَانُ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدٍ وَمَالِكٌ وَغَيْرُهُمْ إِلَى أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ، وَهُوَ جَائِزٌ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ مَعَ الْكَرَاهَةِ، وَعَنْهُ أَنَّهُمَا إِنْ أَضْمَرَا التَّحْلِيلَ وَلَمْ يُصَرِّحَا بِهِ فَلَا كَرَاهَةَ.

وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَنَّهُ لَعَنَ الْمُحَلِّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ".

وَعَنْ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لَا أُوتَى بِمُحَلِّلٍ وَلَا مُحَلَّلٍ لَهُ إِلَّا رَجَمْتُهُمَا، وَعَنْ عُثْمَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لَا نِكَاحَ إِلَّا نِكَاحُ رَغْبَةٍ غَيْرَ مُدَالَسَةٍ.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾[1] الزَّوْجُ الثَّانِي، ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾[2]: أَنْ يَرْجِعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ بِالزَّوَاجِ، ﴿إِنْ ظَنَّا﴾[3]: إِنْ كَانَ فِي ظَنِّهِمَا أَنَّهُمَا يُقِيمَانِ حُقُوقَ الزَّوْجِيَّةِ؛ وَلَمْ يَقُلْ: إِنْ عَلِمَا أَنَّهُمَا يُقِيمَانِ، لِأَنَّ الْيَقِينَ مَغِيَّبٌ عَنْهُمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-.

وَمَنْ فَسَّرَ الظَّنَّ هَهُنَا بِالْعِلْمِ، فَقَدْ وَهِمَ مِنْ طَرِيقِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى؛ لِأَنَّكَ لَا تَقُولُ: عَلِمْتُ أَنْ يَقُومَ زَيْدٌ، وَلَكِنْ: عَلِمْتُ أَنَّهُ يَقُومُ، وَلِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَعْلَمُ مَا فِي الْغَدِ، وَإِنَّمَا يَظُنُّ ظَنًّا.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[4]

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾[1]، أَيْ: آخِرَ عِدَّتِهِنَّ وَشَارَفْنَ مُنْتَهَاهَا، وَالْأَجْلُ يَقَعُ عَلَى الْمُدَّةِ كُلِّهَا، وَعَلَى آخِرِهَا، يُقَالُ لِعُمُرِ الْإِنْسَانِ: أَجَلٌ، وَلِلْمَوْتِ الَّذِي يَنْتَهِي بِهِ: أَجَلٌ، وَكَذَلِكَ الْغَايَةُ وَالْأَمَدُ، يَقُولُ النَّحْوِيُّونَ: "مِنْ" لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ، وَ"إِلَى" لِانْتِهَاءِ الْغَايَةِ، وَقَالَ:

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ مُدَّةَ الْعُمْـ ـرِ وَمَوْدٍ إِذَا انْتَهَى أَمَدُهْ

وَيُتَّسَعُ فِي الْبُلُوغِ -أَيْضًا-، فَيُقَالُ: بَلَغَ الْبَلَدَ إِذَا شَارَفَهُ وَدَانَاهُ، وَيُقَالُ: قَدْ وَصَلْتُ، وَلَمْ يَصِلْ، وَإِنَّمَا شَارَفَ؛ وَلِأَنَّهُ قَدْ عُلِمَ أَنَّ الْإِمْسَاكَ بَعْدَ تَقْضِّي الْأَجَلِ لَا وَجْهَ لَهُ؛ لِأَنَّهَا بَعْدَ تَقْضِّيهِ غَيْرُ زَوْجَةٍ لَهُ وَفِي غَيْرِ عِدَّةٍ مِنْهُ، فَلَا سَبِيلَ لَهُ عَلَيْهَا.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[2]: فَإِمَّا أَنْ يُرَاجِعَهَا مِنْ غَيْرِ طَلَبِ ضِرَارٍ بِالْمُرَاجَعَةِ ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[3]: وَإِمَّا أَنْ يُخَلِّيَهَا حَتَّى تَنْقَضِيَ عِدَّتُهَا وَتَبِينَ مِنْ غَيْرِ ضِرَارٍ.

﴿وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾[4]: كَانَ الرَّجُلُ يُطَلِّقُ الْمَرْأَةَ وَيَتْرُكُهَا حَتَّى يَقْرُبَ انْقِضَاءُ عِدَّتِهَا، ثُمَّ يُرَاجِعُهَا لَا عَنْ حَاجَةٍ، وَلَكِنْ لِيُطَوِّلَ الْعِدَّةَ عَلَيْهَا، فَهُوَ الْإِمْسَاكُ ضِرَارًا ﴿لِتَعْتَدُوا﴾[5]: لِتَظْلِمُوهُنَّ، وَقِيلَ: لِتُلْجِئُوهُنَّ إِلَى الِافْتِدَاءِ ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[6]: بِتَعْرِيضِهَا لِعِقَابِ اللَّهِ .

﴿وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾[7]، أَيْ: جِدُّوا فِي الْأَخْذِ بِهَا وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهَا، وَارْعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، وَإِلَّا فَقَدِ اتَّخَذْتُمُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا، وَيُقَالُ لِمَنْ يَجِدُّ فِي الْأَمْرِ: إِنَّمَا أَنْتَ لَاعِبٌ وَهَازِئٌ، وَيُقَالُ: كُنْ يَهُودِيًّا وَإِلَّا فَلَا تَلْعَبْ بِالتَّوْرَاةِ، وَقِيلَ: كَانَ الرَّجُلُ يُطَلِّقُ وَيُعْتِقُ وَيَتَزَوَّجُ وَيَقُولُ: كُنْتُ لَاعِبًا .

وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "ثَلَاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: الطَّلَاقُ وَالنِّكَاحُ وَالرَّجْعَةُ".

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[1]: بِالْإِسْلَامِ وَبِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾[2]: مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَذِكْرُهَا مُقَابَلَتُهَا بِالشُّكْرِ وَالْقِيَامُ بِحَقِّهَا، ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾[3]: بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ.

﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ﴾[4]: إِمَّا أَنْ يُخَاطَبَ بِهِ الْأَزْوَاجُ الَّذِينَ يَعْضِلُونَ نِسَاءَهُمْ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ ظُلْمًا وَقَسْرًا، وَلِحَمِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ يَتَزَوَّجْنَ مَنْ شِئْنَ مِنَ الْأَزْوَاجِ.

وَالْمَعْنَى: أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ الَّذِينَ يَرْغَبْنَ فِيهِمْ وَيَصْلُحُونَ لَهُنَّ، وَإِمَّا أَنْ يُخَاطَبَ بِهِ الْأَوْلِيَاءُ فِي عَضْلِهِنَّ أَنْ يَرْجِعْنَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ.

رُوِيَ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ حِينَ عَضَلَ أُخْتَهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الزَّوْجِ الْأَوَّلِ، وَقِيلَ: فِي جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ حِينَ عَضَلَ بِنْتَ عَمٍّ لَهُ، وَالْوَجْهُ أَنْ يَكُونَ خِطَابًا لِلنَّاسِ، أَيْ: لَا يُوجَدُ فِيمَا بَيْنَكُمْ عَضْلٌ، لِأَنَّهُ إِذَا وُجِدَ بَيْنَهُمْ وَهُمْ رَاضُونَ كَانُوا فِي حُكْمِ الْعَاضِلِينَ، وَالْعَضْلُ: الْحَبْسُ وَالتَّضْيِيقُ، وَمِنْهُ: عَضَلَتِ الدَّجَاجَةُ إِذَا نَشِبَ بَيْضُهَا فَلَمْ يَخْرُجْ، وَأَنْشَدَ لِابْنِ هَرْمَةَ:

وَإِنَّ قَصَائِدِي لَكَ فَاصْطَنَعْنِي عَقَائِلُ قَدْ عُضِلْنَ عَنِ النِّكَاحِ

وَبُلُوغُ الْأَجَلِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَعَنِ الشَّافِعِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: دَلَّ سِيَاقُ الْكَلَامَيْنِ عَلَى افْتِرَاقِ الْبُلُوغَيْنِ ﴿إِذَا تَرَاضَوْا﴾[5]: إِذَا تَرَاضَى الْخُطَّابُ وَالنِّسَاءُ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾[6]: بِمَا يُحْسَنُ بِالدِّينِ وَالْمُرُوءَةِ مِنَ الشَّرَائِطِ، وَقِيلَ: بِمَهْرِ الْمِثْلِ، وَمِنْ مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّهَا إِذَا زَوَّجَتْ نَفْسَهَا بِأَقَلَّ مِنْ مَهْرِ مِثْلِهَا فَلِلْأَوْلِيَاءِ أَنْ يَعْتَرِضُوا.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَنِ الْخِطَابُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ﴾[7]؟

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَلِكُلِّ أَحَدٍ، وَنَحْوُهُ: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾[1]، ﴿أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾[2]: مِنْ أَدْنَاسِ الْآثَامِ، وَقِيلَ: "أَزْكَى وَأَطْهَرُ": أَفْضَلُ وَأَطْيَبُ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾[3]: مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الزَّكَاءِ وَالطُّهْرِ، ﴿وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[4] لَهُ، أَوْ: وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَسْتَصْلِحُونَ بِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ وَأَنْتُمْ تَجْهَلُونَهُ.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلا وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[5]

﴿يُرْضِعْنَ﴾[6]: مِثْلُ يَتَرَبَّصْنَ فِي أَنَّهُ خَبَرٌ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ الْمُؤَكَّدِ، ﴿كَامِلَيْنِ﴾[7]: تَوْكِيدٌ كَقَوْلِهِ: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[8]، لِأَنَّهُ مِمَّا يُتَسَامَحُ فِيهِ، فَتَقُولُ: أَقَمْتُ عِنْدَ فُلَانٍ حَوْلَيْنِ وَلَمْ تَسْتَكْمِلْهُمَا.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: (أَنْ يُكْمِلَ الرَّضَاعَةَ)، وَقُرِئَ: (الرِّضَاعَةَ) بِكَسْرِ الرَّاءِ، (وَالرَّضْعَةَ)، (وَأَنْ تُتِمُّ الرَّضَاعَةَ)، وَ(أَنْ يُتِمُّ الرَّضَاعَةَ) بِرَفْعِ الْفِعْلِ تَشْبِيهًا لِ "أَنْ" بِـ "مَا" لِتَآخِيهِمَا فِي التَّأْوِيلِ.

---

[1] سورة الْمُجَادَلَة، الآية 12.
[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[8] سورة الْبَقَرَة، الآية 196.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اتَّصَلَ قَوْلُهُ: ﴿لِمَنْ أَرَادَ﴾[1]: بِمَا قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: هُوَ بَيَانٌ لِمَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْحُكْمُ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[2]: لَكَ بَيَانُ لِلْمَهِيتِ بِهِ، أَيْ: هَذَا الْحُكْمُ لِمَنْ أَرَادَ إِتْمَامَ الرَّضَاعِ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ الْيُسْرَ وَالتَّخْفِيفَ، فَقَالَ: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾[3]: أَرَادَ أَنَّهُ يَجُوزُ النُّقْصَانُ، وَعَنِ الْحَسَنِ: لَيْسَ ذَلِكَ بِوَقْتٍ لَا يُنْقَصُ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ لَا يَكُونَ فِي الْفِطَامِ ضَرَرٌ، وَقِيلَ: اللَّامُ مُتَعَلِّقَةٌ بِـ ﴿يُرْضِعْنَ﴾[4]، كَمَا تَقُولُ: أَرْضَعَتْ فُلَانَةُ لِفُلَانٍ وَلَدَهُ، أَيْ: يُرْضِعْنَ حَوْلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ مِنَ الْآبَاءِ؛ لِأَنَّ الْأَبَ يَجِبُ عَلَيْهِ إِرْضَاعُ الْوَلَدِ دُونَ الْأُمِّ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَّخِذَ لَهُ ظِئْرًا إِلَّا إِذَا تَطَوَّعَتِ الْأُمُّ بِإِرْضَاعِهِ، وَهِيَ مَنْدُوبَةٌ إِلَى ذَلِكَ وَلَا تُجْبَرُ عَلَيْهِ، وَلَا يَجُوزُ اسْتِئْجَارُ الْأُمِّ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- مَا دَامَتْ زَوْجَةً أَوْ مُعْتَدَّةً مِنْ نِكَاحٍ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: يَجُوزُ، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَازَ بِالِاتِّفَاقِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا بَالُ الْوَالِدَاتِ مَأْمُورَاتٍ بِأَنْ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ؟

قُلْتُ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَمْرًا عَلَى وَجْهِ النَّدْبِ، وَإِمَّا عَلَى وَجْهِ الْوُجُوبِ إِذَا لَمْ يَقْبَلِ الصَّبِيُّ إِلَّا ثَدْيَ أُمِّهِ، أَوْ لَمْ تُوجَدْ لَهُ ظِئْرٌ، أَوْ كَانَ الْأَبُ عَاجِزًا عَنِ الِاسْتِئْجَارِ، وَقِيلَ: أَرَادَ الْوَالِدَاتِ الْمُطَلَّقَاتِ وَإِيجَابُ النَّفَقَةِ وَالْكُسْوَةِ لِأَجْلِ الرَّضَاعِ .

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾[5]: وَعَلَى الَّذِي يُولَدُ لَهُ وَهُوَ الْوَالِدُ، وَ"لَهُ": فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ، نَحْوُ: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فِي ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[6].

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قِيلَ: ﴿الْمَوْلُودِ لَهُ﴾[7] دُونَ الْوَالِدِ.

قُلْتُ: لِيُعْلَمَ أَنَّ الْوَالِدَاتِ إِنَّمَا وَلَدْنَ لَهُمْ، لِأَنَّ الْأَوْلَادَ لِلْآبَاءِ، وَلِذَلِكَ يُنْسَبُونَ إِلَيْهِمْ لَا إِلَى الْأُمَّهَاتِ، وَأَنْشَدَ لِلْمَأْمُونِ بْنِ الرَّشِيدِ:

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة يُوسُف، الآية 23.

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْفَاتِحَة، الآية 7.

[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .

فَإِنَّمَا أُمَّهَاتُ النَّاسِ أَوْعِيَةٌ مُسْتَوْدَعَاتٌ وَلِلْآبَاءِ أَبْنَاءُ

فَكَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَرْزُقُوهُنَّ وَيَكْسُوهُنَّ إِذَا أَرْضَعْنَ وَلَدَهُمْ، كَالْأَظْآرِ.

أَلَا تَرَى أَنَّهُ ذَكَرَهُ بِاسْمِ الْوَالِدِ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْمَعْنَى، وَهُوَ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾[1].

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾[2]: تَفْسِيرُهُ مَا يَعْقُبُهُ، وَهُوَ أَنْ لَا يُكَلَّفَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا مَا لَيْسَ فِي وُسْعِهِ وَلَا يَتَضَارَّا، وَقُرِئَ (لَا تَكَلَّفُ): بِفَتْحِ التَّاءِ، وَ(لَا نُكَلِّفُ): بِالنُّونِ، وَقُرِئَ: (لَا تُضَارُّ): بِالرَّفْعِ عَلَى الْإِخْبَارِ، وَهُوَ يَحْتَمِلُ الْبِنَاءَ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ، وَأَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ: تُضَارِرُ بِكَسْرِ الرَّاءِ، وَتُضَارَرُ بِفَتْحِهَا، وَقَرَأَ: (لَا تُضَارَّ): بِالْفَتْحِ أَكْثَرُ الْقُرَّاءِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ بِالْكَسْرِ عَلَى النَّهْيِ، وَهُوَ مُحْتَمِلٌ لِلْبِنَاءَيْنِ –أَيْضًا– وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّهُ قُرِئَ (لَا تُضَارَرْ)، و(لَا تُضَارِرْ) بِالْجَزْمِ وَفَتْحِ الرَّاءِ الْأُولَى وَكَسْرِهَا.

وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: (لَا تُضَارّ) بِالسُّكُونِ مَعَ التَّشْدِيدِ عَلَى نِيَّةِ الْوَقْفِ.

وَعَنِ الْأَعْرَجِ: (لَا تُضَارْ) بِالسُّكُونِ وَالتَّخْفِيفِ، وَهُوَ مِنْ ضَارَهُ يَضِيرُهُ، وَنَوَى الْوَقْفَ كَمَا نَوَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ، أَوِ اخْتَلَسَ الضَّمَّةَ فَظَنَّهُ الرَّاوِي سُكُونًا.

وَعَنْ كَاتِبِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: (لَا تُضَرَّرُ)، وَالْمَعْنَى: لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ زَوْجَهَا بِسَبَبِ وَلَدِهَا، وَهُوَ أَنْ تُعَنِّفَ بِهِ وَتَطْلُبَ مِنْهُ مَا لَيْسَ بِعَدْلٍ مِنَ الرِّزْقِ وَالْكُسْوَةِ، وَأَنْ تَشْغَلَ قَلْبَهُ بِالتَّفْرِيطِ فِي شَأْنِ الْوَلَدِ، وَأَنْ تَقُولَ بَعْدَمَا أَلِفَهَا الصَّبِيُّ: اطْلُبْ لَهُ ظِئْرًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَلَا يُضَارَّ مَوْلُودٌ لَهُ امْرَأَتَهُ بِسَبَبِ وَلَدِهِ، بِأَنْ يَمْنَعَهَا شَيْئًا مِمَّا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنْ رِزْقِهَا وَكُسْوَتِهَا، وَلَا يَأْخُذُهُ مِنْهَا وَهِيَ تُرِيدُ إِرْضَاعَهُ، وَلَا يُكْرِهُهَا عَلَى الْإِرْضَاعِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، فَهُوَ نَهْيٌ عَنْ أَنْ يُلْحَقَ بِهَا الضِّرَارُ مِنْ قِبَلِ الزَّوْجِ، وَعَنْ أَنْ يُلْحَقَ الضِّرَارُ بِالزَّوْجِ مِنْ قِبَلِهَا بِسَبَبِ الْوَلَدِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: ﴿تُضَارَّ﴾[3]: بِمَعْنَى: تَضُرَّ، وَأَنْ تَكُونَ الْبَاءُ مِنْ صِلَتِهِ، أَيْ: لَا تَضُرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا، فَلَا تُسِيءُ غِذَاءَهُ وَتَعَهُّدَهُ، وَلَا تُفَرِّطُ فِيمَا يَنْبَغِي لَهُ، وَلَا تَدْفَعُهُ إِلَى الْأَبِ

---

[1] سورة لُقْمَانَ، الآية 32.

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

بَعْدَمَا أَلِفَهَا، وَلَا يَضُرَّ الْوَالِدُ بِهِ بِأَنْ يَنْتَزِعَهُ مِنْ يَدِهَا أَوْ يُقَصِّرَ فِي حَقِّهَا فَتُقَصِّرَ هِيَ فِي حَقِّ الْوَلَدِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قِيلَ بِوَلَدِهَا وَبِوَلَدِهِ؟

قُلْتُ: لَمَّا نُهِيَتِ الْمَرْأَةُ عَنِ الْمُضَارَّةِ أُضِيفَ إِلَيْهَا الْوَلَدُ؛ اسْتِعْطَافًا لَهَا عَلَيْهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِأَجْنَبِيٍّ مِنْهَا، فَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُشْفِقَ عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ الْوَالِدُ.

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾[1]: عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾[2]، وَمَا بَيْنَهُمَا تَفْسِيرٌ لِلْمَعْرُوفِ مُعْتَرِضٌ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، فَكَانَ الْمَعْنَى: وَعَلَى وَارِثِ الْمَوْلُودِ لَهُ مِثْلُ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنَ الرِّزْقِ وَالْكُسْوَةِ، أَيْ: إِنْ مَاتَ الْمَوْلُودُ لَهُ لَزِمَ مَنْ يَرِثُهُ أَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ فِي أَنْ يَرْزُقَهَا وَيَكْسُوَهَا بِالشَّرِيطَةِ الَّتِي ذُكِرَتْ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَتَجَنُّبِ الضِّرَارِ، وَقِيلَ: هُوَ وَارِثُ الصَّبِيِّ الَّذِي لَوْ مَاتَ الصَّبِيُّ وَرِثَهُ.

وَاخْتَلَفُوا، فَعِنْدَ ابْنِ أَبِي لَيْلَى: كُلُّ مَنْ وَرِثَهُ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ: مَنْ كَانَ ذَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ مِنْهُ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: لَا نَفَقَةَ فِيمَا عَدَا الْوِلَادِ، وَقِيلَ: مَنْ وَرِثَهُ مَنْ عَصَبَتِهِ مِثْلُ الْجَدِّ، وَالْأَخِ، وَابْنِ الْأَخِ، وَالْعَمِّ، وَابْنِ الْعَمِّ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ وَارِثُ الْأَبِ، وَهُوَ الصَّبِيُّ نَفْسُهُ، وَأَنَّهُ إِنْ مَاتَ أَبَوْهُ وَوَرِثَهُ وَجَبَتْ عَلَيْهِ أُجْرَةُ رَضَاعَةٍ فِي مَالِهِ إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ أُجْبِرَتِ الْأُمُّ عَلَى إِرْضَاعِهِ، وَقِيلَ: (عَلَى الْوَارِثِ): عَلَى الْبَاقِي مِنَ الْأَبَوَيْنِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا﴾[3].

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾[4]: صَادِرًا ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾[5] فِي ذَلِكَ، زَادَا عَلَى الْحَوْلَيْنِ أَوْ نَقَصَا، وَهَذِهِ تَوْسِعَةٌ بَعْدَ التَّحْدِيدِ، وَقِيلَ: هُوَ فِي غَايَةِ الْحَوْلَيْنِ لَا يُتَجَاوَزُ، وَإِنَّمَا اعْتُبِرَ تَرَاضِيهُمَا فِي الْفِصَالِ وَتَشَاوُرُهُمَا: أَمَّا الْأَبُ فَلَا كَلَامَ فِيهِ، وَأَمَّا الْأُمُّ؛ فَلِأَنَّهَا أَحَقُّ بِالتَّرْبِيَةِ وَهِيَ أَعْلَمُ بِحَالِ الصَّبِيِّ، وَقُرِئَ: (فَإِنْ أَرَادَ) اسْتَرْضَعَ: مَنْقُولٌ مِنْ أَرْضَعَ، يُقَالُ: أَرْضَعَتِ الْمَرْأَةُ الصَّبِيَّ، وَاسْتَرْضَعْتُهَا الصَّبِيَّ؛ لِتَعَدِّيهِ إِلَى مَفْعُولَيْنِ، كَمَا تَقُولُ:

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

أَنْجَحَ الْحَاجَةَ، وَاسْتَنْجَحْتُهُ الْحَاجَةَ وَالْمَعْنَى: أَنْ تَسْتَرْضِعُوا الْمَرَاضِعَ أَوْلَادَكُمْ، فَحُذِفَ أَحَدُ الْمَفْعُولَيْنِ لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ، كَمَا تَقُولُ: اسْتَنْجَحْتُ الْحَاجَةَ وَلَا تَذْكُرُ مَنِ اسْتَنْجَحْتَهُ، وَكَذَلِكَ حُكْمُ كُلِّ مَفْعُولَيْنِ لَمْ يَكُنْ أَحَدُهُمَا عِبَارَةً عَنِ الْأَوَّلِ.

﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾[1]: إِلَى الْمَرَاضِعِ ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾[2]: مَا أَرَدْتُمْ إِيتَاءَهُ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾[3]، وَقُرِئَ: (مَا أَتَيْتُمْ) مِنْ أَتَى إِلَيْهِ إِحْسَانًا إِذَا فَعَلَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ – تَعَالَى–: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾[4]، أَيْ: مَفْعُولًا.

وَرَوَى شَيْبَانُ عَنْ عَاصِمٍ: (مَا أُوتِيتُمْ)، أَيْ: مَا آتَاكُمُ اللَّهُ وَأَقْدَرَكُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْأُجْرَةِ، وَنَحْوُهُ: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[5].

وَلَيْسَ التَّسْلِيمُ بِشَرْطٍ لِلْجَوَازِ وَالصِّحَّةِ، وَإِنَّمَا هُوَ نَدْبٌ إِلَى الْأَوْلَى، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَعْثًا عَلَى أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ الَّذِي تُعْطَاهُ الْمُرْضِعُ مِنْ أَهْنَإِ مَا يَكُونُ؛ لِتَكُونَ طَيِّبَةَ النَّفْسِ رَاضِيَةً، فَيَعُودُ ذَلِكَ إِصْلَاحًا لِشَأْنِ الصَّبِيِّ وَاحْتِيَاطًا فِي أَمْرِهِ، فَأَمَرَنَا بِإِيتَانِهِ نَاجِزًا يَدًا بِيَدٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِذَا أَدَّيْتُمْ إِلَيْهِنَّ يَدًا بِيَدٍ مَا أَعْطَيْتُمُوهُنَّ.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾[6]: مُتَعَلِّقٌ بِـ ﴿سَلَّمْتُمْ﴾[7] أُمِرُوا أَنْ يَكُونُوا عِنْدَ تَسْلِيمِ الْأُجْرَةِ مُسْتَبْشِرِي الْوُجُوهِ، نَاطِقِينَ بِالْقَوْلِ الْجَمِيلِ، مُطَيِّبِينَ لِأَنْفُسِ الْمَرَاضِعِ بِمَا أَمْكَنَ، حَتَّى يُؤْمَنَ تَفْرِيطُهُنَّ بِقَطْعِ مَعَاذِيرِهِنَّ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْمَائِدَةِ، الآية 6.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية 61.

[5] سورة الْحَدِيدِ، الآية 7.

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلا أَنْ تَقُولُوا قَوْلا مَعْرُوفًا وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[1]

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾[2]: عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ، أَرَادَ: وَأَزْوَاجُ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ يَتَرَبَّصْنَ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ يَتَرَبَّصْنَ بَعْدَهُمْ، كَقَوْلِهِمُ: السَّمْنُ مَنَوَانِ بِدِرْهَمٍ، وَقُرِئَ: (يَتَوَفَّوْنَ) بِفَتْحِ الْيَاءِ، أَيْ: يَسْتَوْفُونَ آجَالَهُمْ، وَهِيَ قِرَاءَةُ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–.

وَالَّذِي يُحْكَى: أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيَّ كَانَ يَمْشِي خَلْفَ جِنَازَةٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَنِ الْمُتَوَفِّي؟ –بِكَسْرِ الْفَاءِ–، فَقَالَ: اللَّهُ –تَعَالَى–، وَكَانَ أَحَدَ الْأَسْبَابِ الْبَاعِثَةِ لِعَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – عَلَى أَنْ أَمَرَهُ بِأَنْ يَضَعَ كِتَابًا فِي النَّحْوِ، تُنَاقِضُهُ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ.

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[3]: يَعْتَدِدْنَ هَذِهِ الْمُدَّةَ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشَرَةُ أَيَّامٍ، وَقِيلَ: (عَشْرًا) ذَهَابًا إِلَى اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ دَاخِلَةٌ مَعَهَا، وَلَا تَرَاهُمْ قَطُّ يَسْتَعْمِلُونَ التَّذْكِيرَ فِيهِ ذَاهِبِينَ إِلَى الْأَيَّامِ.

تَقُولُ: صُمْتُ عَشْرًا، وَلَوْ ذَكَّرْتَ خَرَجْتَ مِنْ كَلَامِهِمْ، وَمِنَ الْبَيْنِ فِيهِ قَوْلُهُ –تَعَالَى– : ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا عَشْرًا﴾[4]، ثُمَّ: ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا يَوْمًا﴾[5].

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة طه، الآية 103.

[5] سورة طه، الآية 104.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾[1]: فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ، ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾[2]: أَيُّهَا الْأَئِمَّةُ وَجَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾[3]: مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْخُطَّابِ "بِالْمَعْرُوفِ": بِالْوَجْهِ الَّذِي لَا يُنْكِرُهُ الشَّرْعُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُنَّ لَوْ فَعَلْنَ مَا هُوَ مُنْكَرٌ كَانَ عَلَى الْأَئِمَّةِ أَنْ يَكُفُّوهُنَّ، وَإِنْ فَرَّطُوا كَانَ عَلَيْهِمُ الْجُنَاحُ، ﴿فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ﴾[4]: هُوَ أَنْ يَقُولَ لَهَا: إِنَّكِ لَجَمِيلَةٌ أَوْ صَالِحَةٌ أَوْ نَافِقَةٌ وَمِنْ غَرَضِي أَنْ أَتَزَوَّجَ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يُيَسَّرَ لِي امْرَأَةٌ صَالِحَةٌ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ الْمُوهِمِ أَنَّهُ يُرِيدُ نِكَاحَهَا حَتَّى تَحْبِسَ نَفْسَهَا عَلَيْهِ إِنْ رَغِبَتْ فِيهِ، وَلَا يُصَرِّحُ بِالنِّكَاحِ، فَلَا يَقُولُ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكِ، أَوْ أَتَزَوَّجَكِ، أَوْ أَخْطُبَكِ.

وَرَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ خَالَتِهِ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ وَأَنَا فِي عِدَّتِي، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتِ قَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَحَقَّ جَدِّي عَلَيَّ وَقِدَمِي فِي الْإِسْلَامِ، فَقُلْتُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ! أَتَخْطُبُنِي فِي عِدَّتِي وَأَنْتَ يُؤْخَذُ عَنْكَ؟ فَقَالَ: أَوَقَدْ فَعَلْتُ! إِنَّمَا أَخْبَرْتُكِ بِقَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَمَوْضِعِي، قَدْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، وَكَانَتْ عِنْدَ ابْنِ عَمِّهَا أَبِي سَلَمَةَ فَتُوُفِّيَ عَنْهَا، فَلَمْ يَزَلْ يَذْكُرُ لَهَا مَنْزِلَتَهُ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مُتَحَامِلٌ عَلَى يَدِهِ حَتَّى أَثَّرَ الْحَصِيرُ فِي يَدِهِ مِنْ شِدَّةِ تَحَامُلِهِ عَلَيْهَا، فَمَا كَانَتْ تِلْكَ خُطْبَةً.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الْكِنَايَةِ وَالتَّعْرِيضِ؟

قُلْتُ: الْكِنَايَةُ: أَنْ تَذْكُرَ الشَّيْءَ بِغَيْرِ لَفْظِهِ الْمَوْضُوعِ لَهُ، كَقَوْلِكَ: طَوِيلُ النِّجَادِ وَالْحَمَائِلِ لِطُولِ الْقَامَةِ، وَكَثِيرُ الرَّمَادِ لِلْمِضْيَافِ، وَالتَّعْرِيضُ: أَنْ تَذْكُرَ شَيْئًا تُدِلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ لَمْ تُذْكُرْهُ، كَمَا يَقُولُ الْمُحْتَاجُ لِلْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ: جِئْتُكَ لِأُسَلِّمَ عَلَيْكَ، وَلِأَنْظُرَ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَلِذَلِكَ قَالُوا:

وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَكَأَنَّهُ إِمَالَةُ الْكَلَامِ إِلَى عَرْضٍ يَدُلُّ عَلَى الْغَرَضِ، وَيُسَمَّى التَّلْوِيحَ، لِأَنَّهُ يَلُوحُ مِنْهُ مَا يُرِيدُهُ ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾[1]: أَوْ سَتَرْتُمْ وَأَضْمَرْتُمْ فِي قُلُوبِكُمْ فَلَمْ تَذْكُرُوهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ لَا مُعَرِّضِينَ وَلَا مُصَرِّحِينَ.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾[2]: لَا مَحَالَةَ وَلَا تَنْفَكُّونَ عَنِ النُّطْقِ بِرَغْبَتِكُمْ فِيهِنَّ وَلَا تَصْبِرُونَ عَنْهُ، وَفِيهِ طَرَفٌ مِنَ التَّوْبِيخِ، كَقَوْلِهِ: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾[3].

فَإِنْ قُلْتَ: أَيْنَ الْمُسْتَدْرَكُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ﴾[4]؟

قُلْتُ: هُوَ مَحْذُوفٌ، لِدَلَالَةِ ﴿سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾[5] عَلَيْهِ، تَقْدِيرُهُ: عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ فَاذْكُرُوهُنَّ، وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا، وَالسِّرُّ وَقْعُ كِنَايَةٍ عَنِ النِّكَاحِ الَّذِي هُوَ الْوَطْءُ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا يُسَرُّ.

قَالَ الْأَعْشَى:

وَلَا تَقْرَبَنْ مِنْ جَارَةٍ إِنَّ سِرَّهَا عَلَيْكَ حَرَامٌ فَانْكِحَنْ أَوْ تَأَبَّدَا

ثُمَّ عُبِّرَ بِهِ عَنِ النِّكَاحِ الَّذِي هُوَ الْعَقْدُ، لِأَنَّهُ سَبَبٌ فِيهِ كَمَا فُعِلَ بِالنِّكَاحِ.

﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلا مَعْرُوفًا﴾[6]: وَهُوَ أَنْ تُعَرِّضُوا وَلَا تُصَرِّحُوا.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ يَتَعَلَّقُ حَرْفُ الِاسْتِثْنَاءِ؟

قُلْتُ: بِـ ﴿لا تُوَاعِدُوهُنَّ﴾[7]، أَيْ: لَا تُوَاعِدُوهُنَّ مُوَاعَدَةً قَطُّ إِلَّا مُوَاعَدَةً مَعْرُوفَةً غَيْرَ مُنْكَرَةٍ. أَيْ: لَا تُوَاعِدُوهُنَّ إِلَّا بِأَنْ تَقُولُوا، أَيْ: لَا تُوَاعِدُوهُنَّ إِلَّا بِالتَّعْرِيضِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً مُنْقَطِعًا مِنْ: ﴿سِرًّا﴾[8] لِأَدَائِهِ إِلَى قَوْلِكَ: لَا تُوَاعِدُوهُنَّ إِلَّا التَّعْرِيضَ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية 187.

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[8] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا تُوَاعِدُوهُنَّ جِمَاعًا، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ لَهَا إِنْ نَكَحَتُكِ كَانَ كَيْتَ وَكَيْتَ، يُرِيدُ مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا تَحْتَ اللِّحَافِ، إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا يَعْنِي مِنْ غَيْرِ رَفَثٍ وَلَا إِفْحَاشٍ فِي الْكَلَامِ.

وَقِيلَ: لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا، أَيْ: فِي السِّرِّ عَلَى أَنَّ الْمُوَاعَدَةَ فِي السِّرِّ عِبَارَةٌ عَنِ الْمُوَاعَدَةِ بِمَا يُسْتَهْجَنُ، لِأَنَّ مُسَارَّتَهُنَّ فِي الْغَالِبِ بِمَا يُسْتَحْيَا مِنَ الْمُجَاهَرَةِ بِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلا مَعْرُوفًا﴾[1] هُوَ أَنْ يَتَوَاثَقَا أَنْ لَا تَتَزَوَّجَ غَيْرَهُ.

﴿وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾[2]: مِنْ عَزَمَ الْأَمْرُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ، وَذِكْرُ الْعَزْمِ مُبَالَغَةٌ فِي النَّهْيِ عَنْ عُقْدَةِ النِّكَاحِ فِي الْعِدَّةِ، لِأَنَّ الْعَزْمَ عَلَى الْفِعْلِ يَتَقَدَّمُهُ، فَإِذَا نُهِيَ عَنْهُ كَانَ عَنِ الْفِعْلِ أَنْهَى، وَمَعْنَاهُ: وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَ عُقْدَةِ النِّكَاحِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَلَا تَقْطَعُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ، وَحَقِيقَةُ الْعَزْمِ: الْقَطْعُ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: "لَا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يَعْزِمِ الصِّيَامَ مِنَ اللَّيْلِ"، وَرُوِيَ: "لِمَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصِّيَامَ".

﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾[3]: يَعْنِي مَا كُتِبَ وَمَا فُرِضَ مِنَ الْعِدَّةِ ﴿يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾[4]: مِنَ الْعَزْمِ عَلَى مَا لَا يَجُوزُ، ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾: وَلَا تَعْزِمُوا عَلَيْهِ.

﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[5]: لَا يُعَاجِلُكُمْ بِالْعُقُوبَةِ .

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلا أَنْ

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]

﴿لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾[2]: لَا تَبِعَةَ عَلَيْكُمْ مِنْ إِيجَابِ مَهْرٍ، ﴿إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾[3]: مَا لَمْ تُجَامِعُوهُنَّ، ﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[4]: إِلَّا أَنْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً، أَوْ حَتَّى تَفْرِضُوا، وَفَرْضُ الْفَرِيضَةِ: تَسْمِيَةُ الْمَهْرِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُطَلَّقَةَ غَيْرَ الْمَدْخُولِ بِهَا إِنْ سُمِّيَ لَهَا مَهْرٌ فَلَهَا نِصْفُ الْمُسَمَّى، وَإِنْ لَمْ يُسَمَّ لَهَا فَلَيْسَ لَهَا نِصْفُ مَهْرِ الْمِثْلِ، وَلَكِنِ الْمُتْعَةُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْجُنَاحَ تَبِعَةُ الْمَهْرِ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾[5] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾[6]، فَقَوْلُهُ: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾[7]: إِثْبَاتٌ لِلْجُنَاحِ الْمَنْفِيِّ ثَمَّةَ .

وَالْمُتْعَةُ: دِرْعٌ، وَمِلْحَفَةٌ، وَخِمَارٌ، عَلَى حَسَبِ الْحَالِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَهْرُ مِثْلِهَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، فَلَهَا الْأَقَلُّ مِنْ نِصْفِ مَهْرِ الْمِثْلِ وَمِنَ الْمُتْعَةِ، وَلَا يَنْقُصُ عَنْ خَمْسَةِ دَرَاهِمَ؛ لِأَنَّ أَقَلَّ الْمَهْرِ عَشَرَةُ دَرَاهِمَ فَلَا يَنْقُصُ مِنْ نِصْفِهَا، وَ﴿الْمُوسِعُ﴾[8]: الَّذِي لَهُ سَعَةٌ، وَ"الْمُقْتِرُ": الضَّيِّقُ الْحَالِ، وَ"قَدْرُهُ": مِقْدَارُهُ الَّذِي يُطِيقُهُ، لِأَنَّ مَا يُطِيقُهُ هُوَ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ، وَقُرِئَ بِفَتْحِ الدَّالِّ، وَالْقَدْرُ وَالْقَدَرُ لُغَتَانِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ تَزَوَّجَ امْرَأَةً وَلَمْ يُسَمِّ لَهَا مَهْرًا، ثُمَّ طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يَمَسَّهَا: "أَمَتَّعْتَهَا"؟ قَالَ: لَمْ يَكُنْ عِنْدِي شَيْءٌ، قَالَ: "مَتِّعْهَا بِقَلَنْسُوَتِكَ".

---

1 سورة الْبَقَرَة، الآية .
2 سورة الْبَقَرَة، الآية .
3 سورة الْبَقَرَة، الآية .
4 سورة الْبَقَرَة، الآية .
5 سورة الْبَقَرَة، الآية .
6 سورة الْبَقَرَة، الآية .
7 سورة الْبَقَرَة، الآية .
8 سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَعِنْدَ أَصْحَابِنَا: لَا تَجِبُ الْمُتْعَةُ إِلَّا لِهَذِهِ وَحْدَهَا، وَتُسْتَحَبُّ لِسَائِرِ الْمُطَلَّقَاتِ وَلَا تَجِبُ، ﴿مَتَاعًا﴾[1]: تَأْكِيدٌ لِ ﴿مَتِّعُوهُنَّ﴾[2]، بِمَعْنَى: تَمْتِيعًا ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾[3]: بِالْوَجْهِ الَّذِي يَحْسُنُ فِي الشَّرْعِ وَالْمُرُوءَةِ، ﴿حَقًّا﴾[4]: صِفَةٌ لِ ﴿مَتَاعًا﴾[5]، أَيْ: مَتَاعًا وَاجِبًا عَلَيْهِمْ، أَوْ حُقَّ ذَلِكَ حَقًّا ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾[6]: عَلَى الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَى الْمُطَلَّقَاتِ بِالتَّمْتِيعِ، وَسَمَّاهُمْ قَبْلَ الْفِعْلِ مُحْسِنِينَ كَمَا قَالَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ".

﴿إِلا أَنْ يَعْفُونَ﴾[7]: يُرِيدُ: الْمُطَلَّقَاتِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ قَوْلِكَ: الرِّجَالُ يَعْفُونَ، وَالنِّسَاءُ يَعْفُونَ؟

قُلْتُ: الْوَاوُ فِي الْأَوَّلِ ضَمِيرُهُمْ، وَالنُّونُ عَلَمُ الرَّفْعِ، وَالْوَاوُ فِي الثَّانِي لَامُ الْفِعْلِ وَالنُّونُ ضَمِيرُهُنَّ، وَالْفِعْلُ مَبْنِيٌّ لَا أَثَرَ فِي لَفْظِهِ لِلْعَامِلِ وَهُوَ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ، وَ﴿يَعْفُوَ﴾[8]: عَطْفٌ عَلَى مَحَلِّهِ.

وَ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾[9]: الْوَلِيُّ، يَعْنِي: إِلَّا أَنْ تَعْفُوَ الْمُطَلَّقَاتُ عَنْ أَزْوَاجِهِنَّ فَلَا يُطَالِبْنَهُمْ بِنِصْفِ الْمَهْرِ، وَتَقُولُ الْمَرْأَةُ: مَا رَآنِي وَلَا خَدَمْتُهُ وَلَا اسْتَمْتَعَ بِي، فَكَيْفَ آخُذُ مِنْهُ شَيْئًا؟! أَوْ يَعْفُوَ الْوَلِيُّ الَّذِي يَلِي عَقْدَ نِكَاحِهِنَّ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَقِيلَ: هُوَ الزَّوْجُ، وَعَفْوُهُ أَنْ يَسُوقَ إِلَيْهَا الْمَهْرَ كَامِلًا، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالْأَوَّلُ ظَاهِرُ الصِّحَّةِ، وَتَسْمِيَةُ الزِّيَادَةِ عَلَى الْحَقِّ عَفْوًا فِيهَا نَظَرٌ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ: كَانَ الْغَالِبُ عِنْدَهُمْ أَنْ يَسُوقَ إِلَيْهَا الْمَهْرَ عِنْدَ التَّزَوُّجِ، فَإِذَا طَلَّقَهَا، اسْتَحَقَّ أَنْ يُطَالِبَهَا بِنِصْفِ مَا سَاقَ إِلَيْهَا، فَإِذَا تَرَكَ الْمُطَالَبَةَ فَقَدْ عَفَا عَنْهَا، أَوْ سَمَّاهُ عَفْوًا عَلَى طَرِيقِ الْمُشَاكَلَةِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[8] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[9] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً، وَطَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا، فَأَكْمَلَ لَهَا الصَّدَاقَ، وَقَالَ: أَنَا أَحَقُّ بِالْعَفْوِ، وَعَنْهُ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ بَنَتَا لَهُ فَتَزَوَّجَهَا، فَلَمَّا خَرَجَ، طَلَّقَهَا وَبَعَثَ إِلَيْهَا بِالصَّدَاقِ كَامِلًا، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ تَزَوَّجْتَهَا؟ فَقَالَ: عَرَضَهَا عَلَيَّ فَكَرِهْتُ رَدَّهُ، قِيلَ: فَلِمَ بَعَثْتَ بِالصَّدَاقِ؟ قَالَ: فَأَيْنَ الْفَضْلُ؟!

وَ"الْفَضْلُ": التَّفَضُّلُ، أَيْ: وَلَا تَنْسَوْا أَنْ يَتَفَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَتَتَّمِرُوا وَلَا تَسْتَقْصُوا.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: (أَوْ يَعْفُو الَّذِي) بِسُكُونِ الْوَاوِ، وَإِسْكَانُ الْوَاوِ وَالْيَاءِ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ تَشْبِيهًا لَهُمَا بِالْأَلِفِ، تَشْبِيهٌ لِأَنَّهُمَا أُخْتَاهَا، وَقَرَأَ أَبُو نَهِيكٍ: (وَأَنْ يَعْفُوَ) بِالْيَاءِ، وَقُرِئَ: (وَلَا تَنْسُوِ الْفَضْلَ) بِكَسْرِ الْوَاوِ.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[1]

﴿وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾[2]، أَيِ الْوُسْطَى بَيْنَ الصَّلَوَاتِ، أَوِ الْفُضْلَى، مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْأَفْضَلِ: الْأَوْسَطُ، وَإِنَّمَا أُفْرِدَتْ وَعُطِفَتْ عَلَى الصَّلَاةِ؛ لِانْفِرَادِهَا بِالْفَضْلِ وَهِيَ صَلَاةُ الْعَصْرِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: "شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ نَارًا.

وَقَالَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ–: "إِنَّهَا الصَّلَاةُ الَّتِي شُغِلَ عَنْهَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ".

وَعَنْ حَفْصَةَ أَنَّهَا قَالَتْ لِمَنْ كَتَبَ لَهَا الْمُصْحَفَ: إِذَا بَلَغْتَ هَذِهِ الْآيَةَ فَلَا تَكْتُبْهَا حَتَّى أُمْلِيَهَا عَلَيْكَ كَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقْرَؤُهَا، فَأَمْلَتْ عَلَيْهِ: "وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ".

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ–: وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ بِالْوَاوِ، فَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ يَكُونُ التَّخْصِيصُ لِصَلَاتَيْنِ:

–إِحْدَاهُمَا الصَّلَاةُ الْوُسْطَى، إِمَّا الظُّهْرُ، وَإِمَّا الْفَجْرُ، وَإِمَّا الْمَغْرِبُ، عَلَى اخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ فِيهَا.

–وَالثَّانِيَةُ: الْعَصْرُ.

وَقِيلَ: فَضْلُهَا لِمَا فِي وَقْتِهَا مِن اشْتِغَالِ النَّاسِ بِتِجَارَاتِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: هِيَ صَلَاةُ الظُّهْرِ، لِأَنَّهَا فِي وَسَطِ النَّهَارِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُصَلِّيهَا بِالْهَاجِرَةِ، وَلَمْ تَكُنْ صَلَاةٌ أَشَدَّ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنْهَا.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ : هِيَ الْفَجْرُ، لِأَنَّهَا بَيْنَ صَلَاتَيِ النَّهَارِ وَصَلَاتَيِ اللَّيْلِ.

وَعَنْ قَبِيصَةَ بْنِ ذُؤَيْبٍ: هِيَ الْمَغْرِبُ، لِأَنَّهَا وِتْرُ النَّهَارِ وَلَا تُنْقَصُ فِي السَّفَرِ مِنَ الثَّلَاثِ.

وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: (وَعَلَى الصَّلَاةِ الْوُسْطَى)، وَقَرَأَتْ عَائِشَةُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– (وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى) بِالنَّصْبِ عَلَى الْمَدْحِ وَالِاخْتِصَاصِ، وَقَرَأَ نَافِعٌ: (الْوُصْطَى) بِالصَّادِّ.

﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾[1]: فِي الصَّلَاةِ "قَانِتِينَ": ذَاكِرِينَ لِلَّهِ فِي قِيَامِكُمْ، وَالْقُنُوتُ: أَنْ تَذْكُرَ اللَّهَ قَائِمًا.

وَعَنْ عِكْرِمَةَ: كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي الصَّلَاةِ فَنُهُوا.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: هُوَ الرُّكُودُ، وَكَفُّ الْأَيْدِي وَالْبَصَرِ.

وَرُوِيَ: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قَامَ أَحَدُهُمْ إِلَى الصَّلَاةِ هَابَ الرَّحْمَنَ أَنْ يَمُدَّ بَصَرَهُ أَوْ يَلْتَفِتَ، أَوْ يُقَلِّبَ الْحَصَا، أَوْ يُحَدِّثَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾[2]: فَإِنْ كَانَ بِكُمْ خَوْفٌ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ غَيْرِهِ "فَرِجَالًا": فَصَلُّوا رَاجِلِينَ، وَهُوَ جَمْعُ رَاجِلٍ كَقَائِمٍ وَقِيَامٍ، أَوْ رَجِلٍ، يُقَالُ: رَجُلٌ رَجْلٌ، أَيْ: رَاجِلٌ، وَقُرِئَ: (فَرُجَالًا) بِضَمِّ الرَّاءِ، (وَرُجَّالًا) بِالتَّشْدِيدِ (وَرُجَّلًا).

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: لَا يُصَلُّونَ فِي حَال الْمَشْيِ وَالْمُسَايَفَةِ مَا لَمْ يُمْكِنِ الْوُقُوفُ.

وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: يُصَلُّونَ فِي كُلِّ حَالٍ، وَالرَّاكِبُ يُومِئُ وَيَسْقُطُ عَنْهُ التَّوَجُّهُ إِلَى الْقِبْلَةِ.

﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾[1]: فَإِذَا زَالَ خَوْفُكُمْ، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[2]: مِنْ صَلَاةِ الْأَمْنِ، أَوْ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى الْأَمْنِ، وَاذْكُرُوهُ بِالْعِبَادَةِ، كَمَا أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ بِمَا عَلَّمَكُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ، وَكَيْفَ تُصَلُّونَ فِي حَالِ الْخَوْفِ وَفِي حَالِ الْأَمْنِ.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3]

تَقْدِيرُهُ فِيمَنْ قَرَأَ (وَصِيَّةٌ) بِالرَّفْعِ، وَوَصِيَّةُ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ، أَوْ وَحُكْمُ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ، أَوْ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ أَهْلُ وَصِيَّةٍ لِأَزْوَاجِهِمْ، وَفِيمَنْ قَرَأَ بِالنَّصْبِ: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ يُوصُونَ وَصِيَّةً، كَقَوْلِكَ: إِنَّمَا أَنْتَ سَيْرَ الْبَرِيدِ، بِإِضْمَارِ تَسِيرُ، أَوْ وَأُلْزِمُ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ وَصِيَّةً، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ: (كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْوَصِيَّةَ لِأَزْوَاجِكُمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ) مَكَانَ قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾[4].

وَقَرَأَ أُبَيٌّ: (مَتَاعٌ لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا)، وَرُوِيَ عَنْهُ: (فَمَتَاعٌ لِأَزْوَاجِهِمْ)، وَمَتَاعًا نُصِبَ بِالْوَصِيَّةِ، إِلَّا إِذَا أَضْمَرْتَ يُوصُونَ، فَإِنَّهُ نُصِبَ بِالْفِعْلِ، وَعَلَى قِرَاءَةِ أُبَيٍّ مَتَاعًا نُصِبَ بِمَتَاعٍ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى التَّمْتِيعِ، كَقَوْلِكَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَأَعْجَبَنِي ضَرْبٌ لَكَ زَيْدًا ضَرْبًا شَدِيدًا.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[1]: مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ، كَقَوْلِكَ: هَذَا الْقَوْلُ غَيْرَ مَا تَقُولُ، أَوْ بَدَلٌ مِنْ مَتَاعًا، أَوْ حَالٌ مِنَ الْأَزْوَاجِ، أَيْ: غَيْرَ مُخْرَجَاتٍ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ حَقَّ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ عَنْ أَزْوَاجِهِمْ أَنْ يُوصُوا قَبْلَ أَنْ يُحْتَضَرُوا بِأَنْ تُمَتَّعَ أَزْوَاجُهُمْ بَعْدَهُمْ حَوْلًا كَامِلًا، أَيْ: يُنْفَقُ عَلَيْهِنَّ مِنْ تَرِكَتِهِ وَلَا يُخْرَجْنَ مِنْ مَسَاكِنِهِنَّ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ نُسِخَتِ الْمُدَّةُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[2]، وَقِيلَ: نُسِخَ مَا زَادَ مِنْهُ عَلَى هَذَا الْمِقْدَارِ، وَنُسِخَتِ النَّفَقَةُ بِالْإِرْثِ الَّذِي هُوَ الرُّبُعُ وَالثُّمُنُ.

وَاخْتُلِفَ فِي السُّكْنَى، فَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ: لَا سُكْنَى لَهُنَّ، ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾[3]: مِنَ التَّزَيُّنِ وَالتَّعَرُّضِ لِلْخُطَّابِ، ﴿مِنْ مَعْرُوفٍ﴾[4]: مِمَّا لَيْسَ بِمُنْكَرٍ شَرْعًا.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ نَسَخَتِ الْآيَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ الْمُتَأَخِّرَةَ؟

قُلْتُ: قَدْ تَكُونُ الْآيَةُ مُتَقَدِّمَةً فِي التِّلَاوَةِ، وَهِيَ مُتَأَخِّرَةٌ فِي التَّنْزِيلِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾[5]مَعَ قَوْلِهِ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾[6].

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[7]

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية 234.

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية 142.

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية 144.

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾[1]: عَمَّ الْمُطَلَّقَاتِ بِإِيجَابِ الْمُتْعَةِ لَهُنَّ بَعْدَمَا أَوْجَبَهَا لِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ وَهِيَ الْمُطَلَّقَةُ غَيْرُ الْمَدْخُولِ بِهَا، وَقَالَ: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[2]، كَمَا قَالَ ثَمَّةَ: حُقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَأَبِي الْعَالِيَةِ وَالزُّهْرِيِّ: أَنَّهَا وَاجِبَةٌ لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ، وَقِيلَ: قَدْ تَنَاوَلَتِ التَّمْتِيعَ الْوَاجِبَ وَالْمُسْتَحَبَّ جَمِيعًا، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْمَتَاعِ نَفَقَةُ الْعِدَّةِ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهِ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3]

﴿أَلَمْ تَرَ﴾[4]: تَقْرِيرٌ لِمَنْ سَمِعَ بِقِصَّتِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَأَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ، وَتَعْجِيبٌ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يُخَاطَبَ بِهِ مَنْ لَمْ يَرَ وَلَمْ يَسْمَعْ، لِأَنَّ هَذَا الْكَلَامَ جَرَى مَجْرَى الْمَثَلِ فِي مَعْنَى التَّعْجِيبِ.

رُوِيَ أَنَّ أَهْلَ دَاوُرْدَانَ قَرْيَةٍ قِبَلَ وَاسِطٍ وَقَعَ فِيهَا الطَّاعُونُ فَخَرَجُوا هَارِبِينَ، فَأَمَاتَهُمُ اللَّهُ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ لِيَعْتَبِرُوا وَيَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا مَفَرَّ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ، وَقِيلَ: مَرَّ عَلَيْهِمْ حِزْقِيلُ بَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ وَقَدْ عَرِيَتْ عِظَامُهُمْ وَتَفَرَّقَتْ أَوْصَالُهُمْ فَلَوَى شِدْقَهُ وَأَصَابِعَهُ؛ تَعَجُّبًا مِمَّا رَأَى، فَأُوحِيَ إِلَيْهِ: نَادِ فِيهِمْ أَنْ قُومُوا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَنَادَى، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ قِيَامًا يَقُولُونَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَقِيلَ: هُمْ قَوْمٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ دَعَاهُمْ مَلِكُهُمْ إِلَى الْجِهَادِ فَهَرَبُوا؛ حَذَرًا مِنَ الْمَوْتِ، فَأَمَاتَهُمُ اللَّهُ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ.

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾[1]: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الْأُلُوفِ الْكَثِيرَةِ، وَاخْتُلِفَ فِي ذَلِكَ، فَقِيلَ: عَشَرَةٌ، وَقِيلَ: ثَلَاثُونَ، وَقِيلَ: سَبْعُونَ، وَمِنْ بِدَعِ التَّفَاسِيرِ "أُلُوفٌ": مُتَآلِفُونَ، جَمْعُ آلِفٍ كَقَاعِدٍ وَقُعُودٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾[2]؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: فَأَمَاتَهُمْ، وَإِنَّمَا جِيءَ بِهِ عَلَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ مَاتُوا مِيتَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ بِأَمْرِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَتِلْكَ مِيتَةٌ خَارِجَةٌ عَنِ الْعَادَةِ، كَأَنَّهُمْ أُمِرُوا بِشَيْءٍ فَامْتَثَلُوهُ امْتِثَالًا مِنْ غَيْرِ إِبَاءٍ وَلَا تَوَقُّفٍ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[3].

وَهَذَا تَشْجِيعٌ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى الْجِهَادِ وَالتَّعَرُّضِ لِلشَّهَادَةِ، وَأَنَّ الْمَوْتَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ بُدٌّ وَلَمْ يَنْفَعْ مِنْهُ مَفَرٌّ فَأَوْلَى أَنْ يَكُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾[4]: حَيْثُ يُبَصِّرُهُمْ مَا يَعْتَبِرُونَ بِهِ وَيَسْتَبْصِرُونَ، كَمَا بَصَّرَ أُولَئِكَ، وَكَمَا بَصَّرَكُمْ بِاقْتِصَاصِ خَبَرِهِمْ، أَوْ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ حَيْثُ أَحْيَا أُولَئِكَ لِيَعْتَبِرُوا فَيَفُوزُوا، وَلَوْ شَاءَ لَتَرَكَهُمْ مَوْتَى إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ سَاقَ هَذِهِ الْقِصَّةَ بَعْثًا عَلَى الْجِهَادِ مَا أَتْبَعَهُ مِنَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾[5]: يَسْمَعُ مَا يَقُولُهُ الْمُتَخَلِّفُونَ وَالسَّابِقُونَ "عَلِيمٌ": بِمَا يُضْمِرُونَهُ وَهُوَ مِنْ وَرَاءِ الْجَزَاءِ.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[6]

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

3 سورة يس، الآية 82.

4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

إِقْرَاضُ اللَّهِ: مَثَلٌ لِتَقْدِيمِ الْعَمَلِ الَّذِي يُطْلَبُ بِهِ ثَوَابُهُ، وَالْقَرْضُ الْحَسَنُ: إِمَّا الْمُجَاهَدَةُ فِي نَفْسِهَا، وَإِمَّا النَّفَقَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[1]: قِيلَ: الْوَاحِدُ بِسَبْعِمِائَةٍ.

وَعَنِ السُّدِّيِّ: كَثِيرَةٌ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهَا إِلَّا اللَّهُ.

﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾[2]: يُوَسِّعُ عَلَى عِبَادِهِ وَيُقَتِّرُ، فَلَا تَبْخَلُوا عَلَيْهِ بِمَا وَسَّعَ عَلَيْكُمْ لَا يُبَدِّلُكُمُ الضِّيقَةَ بِالسَّعَةِ، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3]: فَيُجَازِيكُمْ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[4]

﴿لِنَبِيٍّ لَهُمُ﴾[5]: هُوَ يُوشَعُ، أَوْ شَمْعُونُ، أَوْ شَمْوِيلُ، ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾[6]: أَنْهِضْ لِلْقِتَالِ مَعَنَا أَمِيرًا نَصْدُرْ فِي تَدْبِيرِ الْحَرْبِ عَنْ رَأْيِهِ وَنَنْتَهِي إِلَى أَمْرِهِ، طَلَبُوا مِنْ نَبِيِّهِمْ نَحْوَ مَا كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنَ التَّأْمِيرِ عَلَى الْجُيُوشِ الَّتِي كَانَ يُجَهِّزُهَا، وَمِنْ أَمْرِهِمْ بِطَاعَتِهِ وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ أَمَرَ النَّاسَ إِذَا سَافَرُوا أَنْ يَجْعَلُوا أَحَدَهُمْ أَمِيرًا عَلَيْهِمْ.

﴿نُقَاتِلْ﴾[7]: قُرِئَ بِالنُّونِ وَالْجَزْمِ عَلَى الْجَوَابِ، وَبِالنُّونِ وَالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ حَالٌ، أَيِ: ابْعَثْهُ لَنَا مُقَدِّرِينَ الْقِتَالَ، أَوِ اسْتِئْنَافٌ كَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: مَا تَصْنَعُونَ بِالْمَلِكِ؟ فَقَالُوا: نُقَاتِلُ،

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَقُرِئَ: "يُقَاتِلْ" بِالْيَاءِ وَالْجَزْمِ عَلَى الْجَوَابِ، وَبِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِ ﴿مَلِكًا﴾[1] وَخَبَرُ ﴿عَسَيْتُمْ﴾[2].

﴿أَلا تُقَاتِلُوا﴾[3]: وَالشَّرْطُ فَاصِلٌ بَيْنَهُمَا، وَالْمَعْنَى: هَلْ قَارَبْتُمْ أَنْ لَا تُقَاتِلُوا؟ يَعْنِي: هَلِ الْأَمْرُ كَمَا أَتَوَقَّعُهُ أَنَّكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ؟ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: عَسَيْتُمْ أَنْ لَا تُقَاتِلُوا، بِمَعْنَى: أَتَوَقَّعُ جُبْنَكُمْ عَنِ الْقِتَالِ، فَأَدْخَلَ هَلْ مُسْتَفْهِمًا عَمَّا هُوَ مُتَوَقَّعٌ عِنْدَهُ وَمَظْنُونٌ، وَأَرَادَ بِالِاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرَ، وَتَثْبِيتَ أَنَّ الْمُتَوَقَّعَ كَائِنٌ، وَأَنَّهُ صَائِبٌ فِي تَوَقُّعِهِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ﴾[4]، مَعْنَاهُ: التَّقْرِيرُ، وَقُرِئَ (عَسِيتُمْ) بِكَسْرِ السِّينِ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ.

﴿وَمَا لَنَا أَلا نُقَاتِلَ﴾[5]: وَأَيُّ دَاعٍ لَنَا إِلَى تَرْكِ الْقِتَالِ، وَأَيُّ غَرَضٍ لَنَا فِيهِ، ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾[6]: وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمَ جَالُوتَ كَانُوا يَسْكُنُونَ سَاحِلَ بَحْرِ الرُّومِ بَيْنَ مِصْرَ وَفِلَسْطِينَ، فَأَسَرُوا مِنْ أَبْنَاءِ مُلُوكِهِمْ أَرْبَعَمِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾[7]، قِيلَ: كَانَ الْقَلِيلُ مِنْهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ عَلَى عَدَدِ أَهْلِ بَدْرٍ.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[8]: وَعِيدٌ لَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فِي الْقُعُودِ عَنِ الْقِتَالِ وَتَرْكِ الْجِهَادِ.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[9]

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[4] سورة الْإِنْسَان، الآية 1.
[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[8] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[9] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿طَالُوتُ﴾[1]: اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ كَجَالُوتَ وَدَاوُدَ، وَإِنَّمَا امْتَنَعَ مِنَ الصَّرْفِ لِتَعْرِيفِهِ وَعُجْمَتِهِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ مِنَ الطُّولِ لِمَا وُصِفَ بِهِ مِنَ الْبَسْطَةِ فِي الْجِسْمِ، وَوَزْنُهُ –إِنْ كَانَ مِنَ الطُّولِ–"فَعْلُوتُ" مِنْهُ، أَصْلُهُ طُولُوتُ، إِلَّا أَنَّ امْتِنَاعَ صَرْفِهِ يَدْفَعُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ: هُوَ اسْمٌ عِبْرَانِيٌّ وَافَقَ عَرَبِيًّا، كَمَا وَافَقَ حِنْطَاءُ حِنْطَةً، وَ(بِشِمَالًا لَهَا رَحْمَانًا رَحِيمًا) (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، فَهُوَ مِنَ الطُّولِ كَمَا لَوْ كَانَ عَرَبِيًّا، وَكَانَ أَحَدُ سَبَبَيْهِ الْعُجْمَةَ؛ لِكَوْنِهِ عِبْرَانِيًّا.

﴿أَنَّى﴾[2]: كَيْفَ وَمِنْ أَيْنَ، وَهُوَ إِنْكَارٌ لِتَمَلُّكِهِ عَلَيْهِمْ وَاسْتِبْعَادٌ لَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَاوَيْنِ فِي: ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ ، وَلَمْ يُؤْتَ﴾[3]؟

قُلْتُ: الْأُولَى: لِلْحَالِ، وَالثَّانِيَةُ: لِعَطْفِ الْجُمْلَةِ عَلَى الْجُمْلَةِ الْوَاقِعَةِ حَالًا، قَدِ انْتَظَمَتْهُمَا مَعًا فِي حُكْمِ وَاوِ الْحَالِ، وَالْمَعْنَى: كَيْفَ يَتَمَلَّكُ عَلَيْنَا، وَالْحَالُ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ التَّمَلُّكَ لِوُجُودِ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ، وَأَنَّهُ فَقِيرٌ وَلَا بُدَّ لِلْمَلِكِ مِنْ مَالٍ يَعْتَضِدُ بِهِ، وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّ النُّبُوَّةَ كَانَتْ فِي سِبْطِ لَاوَى بْنِ يَعْقُوبَ، وَالْمُلْكَ فِي سِبْطِ يَهُوذَا، وَلَمْ يَكُنْ طَالُوتُ مِنْ أَحَدِ السِّبْطَيْنِ، وَلِأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا سَقَّاءً أَوْ دَبَّاغًا فَقِيرًا .

وَرُوِيَ: أَنَّ نَبِيَّهُمْ دَعَا اللَّهَ –تَعَالَى– حِينَ طَلَبُوا مِنْهُ مَلِكًا، فَأُتِيَ بِعَصًا يُقَاسُ بِهَا مَنْ يُمَلَّكُ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يُسَاوِهَا إِلَّا طَالُوتُ.

﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾[4]، يُرِيدُ: أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمَصَالِحِ مِنْكُمْ وَلَا اعْتِرَاضَ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، ثُمَّ ذَكَرَ مَصْلَحَتَيْنِ أَنْفَعَ مِمَّا ذَكَرُوا مِنَ النَّسَبِ وَالْمَالِ، وَهُمَا الْعِلْمُ الْمَبْسُوطُ وَالْجَسَامَةُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْعِلْمِ الْمَعْرِفَةُ بِمَا طَلَبُوهُ لِأَجْلِهِ مِنْ أَمْرِ الْحَرْبِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالدِّيَانَاتِ وَبِغَيْرِهَا، وَقِيلَ: قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ وَنُبِّئَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ مُزْدَرًى غَيْرُ مُنْتَفَعٍ بِهِ، وَأَنْ يَكُونَ جَسِيمًا يَمْلَأُ الْعَيْنَ جَهَارَةً، لِأَنَّهُ أَعْظَمُ فِي النُّفُوسِ وَأَهْيَبُ فِي الْقُلُوبِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَالْبَسْطَةُ: السَّعَةُ وَالِامْتِدَادُ، وَرُوِيَ أَنَّ الرَّجُلَ الْقَائِمَ كَانَ يَمُدُّ يَدَهُ فَيَنَالُ رَأْسَهُ.

﴿يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾[1]، أَيِ الْمُلْكُ لَهُ غَيْرَ مُنَازَعٍ فِيهِ، فَهُوَ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ: مَنْ يَسْتَصْلِحُهُ لِلْمُلْكِ.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾[2]: الْفَضْلِ وَالْعَطَاءِ، يُوَسِّعُ عَلَى مَنْ لَيْسَ لَهُ سَعَةٌ مِنَ الْمَالِ وَيُغْنِيهِ بَعْدَ الْفَقْرِ، ﴿عَلِيمٌ﴾: بِمَنْ يَصْطَفِيهِ لِلْمُلْكِ.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[3]

﴿التَّابُوتُ﴾[4]: صُنْدُوقُ التَّوْرَاةِ، وَكَانَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– إِذَا قَاتَلَ قَدَّمَهُ فَكَانَتْ تَسْكُنُ نُفُوسُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا يَفِرُّونَ، وَالسَّكِينَةُ: السُّكُونُ وَالطُّمَأْنِينَةُ، وَقِيلَ: هِيَ صُورَةٌ كَانَتْ فِيهِ مِنْ زَبَرْجَدٍ أَوْ يَاقُوتٍ، لَهَا رَأْسٌ كَرَأْسِ الْهِرِّ وَذَنَبٌ كَذَنَبِهِ وَجَنَاحَانِ، فَتَئِنُّ فَيُزَفُّ التَّابُوتُ نَحْوَ الْعَدُوِّ وَهُمْ يَمْضُونَ مَعَهُ، فَإِذَا اسْتَقَرَّ ثَبَتُوا وَسَكَنُوا وَنَزَلَ النَّصْرُ.

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: كَانَ لَهَا وَجْهٌ كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ وَفِيهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ، ﴿وَبَقِيَّةٌ﴾[5]: هِيَ رُضَاضُ الْأَلْوَاحِ وَعَصَى مُوسَى وَثِيَابُهُ وَشَيْءٌ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَكَانَ رَفَعَهُ اللَّهُ –تَعَالَى– بَعْدَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– فَنَزَلَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ تَحْمِلُهُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَكَانَ ذَلِكَ آيَةً لِاصْطِفَاءِ اللَّهِ طَالُوتَ.

وَقِيلَ: كَانَ مَعَ مُوسَى وَمَعَ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَهُ يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ، فَلَمَّا غِيرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ غَلَبَهُمْ عَلَيْهِ الْكُفَّارُ فَكَانَ فِي أَرْضِ جَالُوتَ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُمَلِّكَ طَالُوتَ أَصَابَهُمْ بِبَلَاءٍ حَتَّى هَلَكَتْ خَمْسُ مَدَائِنَ، فَقَالُوا: هَذَا بِسَبَبِ التَّابُوتِ بَيْنَ

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

أَظْهُرِنَا، فَوَضَعُوهُ عَلَى ثَوْرَيْنِ، فَسَاقَهُمَا الْمَلَائِكَةُ إِلَى طَالُوتَ، وَقِيلَ: كَانَ مِنْ خَشَبِ الشِّمْشَارِ مُمَوَّهًا بِالذَّهَبِ، نَحْوًا مِنْ ثَلَاثَةِ أَذْرُعٍ فِي ذِرَاعَيْنِ، وَقَرَأَ أُبَيٌّ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: (التَّابُوهُ) بِالْهَاءِ، وَهِيَ لُغَةُ الْأَنْصَارِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَزْنُ التَّابُوتِ؟

قُلْتُ: لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ فَعْلُوتًا أَوْ فَاعُولًا، فَلَا يَكُونُ: "فَاعُولًا" لِقِلَّتِهِ، نَحْوُ: سَلِسٍ وَقَلِقٍ، وَلِأَنَّهُ تَرْكِيبٌ غَيْرُ مَعْرُوفٍ فَلَا يَجُوزُ تَرْكُ الْمَعْرُوفِ إِلَيْهِ، فَهُوَ إِذًا "فَعْلُوتٌ" مِنَ التَّوْبِ، وَهُوَ الرُّجُوعُ، لِأَنَّهُ ظَرْفٌ تُوضَعُ فِيهِ الْأَشْيَاءُ وَتُودَعُهُ، فَلَا يَزَالُ يُرْجَعُ إِلَيْهِ مَا يُخْرَجُ مِنْهُ وَصَاحِبُهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مُودَعَاتِهِ.

وَأَمَّا مَنْ قَرَأَ بِالْهَاءِ، فَهُوَ "فَاعُولٌ" عِنْدَهُ، إِلَّا فِيمَنْ جَعَلَ هَاءَهُ بَدَلًا مِنَ التَّاءِ، لِاجْتِمَاعِهِمَا فِي الْهَمْسِ وَأَنَّهُمَا مِنْ حُرُوفِ الزِّيَادَةِ، وَلِذَلِكَ أُبْدِلَتْ مِنْ تَاءِ التَّأْنِيثِ، وَقَرَأَ أَبُو السَّمَّالِ: (سَكِّينَةٌ) بِفَتْحِ السِّينِ وَالتَّشْدِيدِ وَهُوَ غَرِيبٌ، وَقُرِئَ: (يَحْمِلُهُ) بِالْيَاءِ .

فَإِنْ قُلْتَ: مَنْ ﴿آل مُوسَى وآل هَارُونَ[1]﴾[2]؟

قُلْتُ: الْأَنْبِيَاءُ مِنْ بَنِي يَعْقُوبَ بَعْدَهُمَا، لِأَنَّ عِمْرَانَ هُوَ ابْنُ قَاهِثَ بْنِ لَاوَى بْنِ يَعْقُوبَ، فَكَانَ أَوْلَادُ يَعْقُوبَ آلَهُمَا، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: مِمَّا تَرَكَهُ مُوسَى وَهَارُونُ، وَالْآلُ مُقْحَمٌ لِتَفْخِيمِ شَأْنِهِمَا.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3]

---

[1] في الأصل: فرعون.

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿فَصَلَ﴾[1]: عَنْ مَوْضِعِ كَذَا، إِذَا انْفَصَلَ عَنْهُ وَجَاوَزَهُ، وَأَصْلُهُ: فَصَلَ نَفْسَهُ، ثُمَّ كَثُرَ مَحْذُوفَ الْمَفْعُولِ، حَتَّى صَارَ فِي حُكْمِ غَيْرِ الْمُتَعَدِّي كَانْفَصَلَ، وَقِيلَ: فَصَلَ عَنِ الْبَلَدِ فُصُولًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: فَصَلَهُ فَصْلًا، وَفَصَلَ فُصُولًا كَوَقَفَ وَصَدَّ وَنَحْوِهِمَا، وَالْمَعْنَى: انْفَصَلَ عَنْ بَلَدِهِ ﴿بِالْجُنُودِ﴾[2].

رُوِيَ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَخْرُجْ مَعِيَ رَجُلٌ بَنَى بِنَاءً لَمْ يَفْرَغْ مِنْهُ، وَلَا تَاجِرٌ مُشْتَغِلٌ بِالتِّجَارَةِ، وَلَا رَجُلٌ مُتَزَوِّجٌ بِامْرَأَةٍ لَمْ يَبْنِ عَلَيْهَا، وَلَا أَبْتَغِي إِلَّا الشَّابَّ النَّشِيطَ الْفَارِغَ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِمَّا اخْتَارَهُ ثَمَانُونَ أَلْفًا، وَكَانَ الْوَقْتُ قَيْظًا، وَسَلَكُوا مَفَازَةً، فَسَأَلُوا أَنْ يُجْرِيَ اللَّهُ لَهُمْ نَهَرًا، فَ ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾[3]: بِمَا اقْتَرَحْتُمُوهُ مِنَ النَّهَرِ.

﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾[4]: فَمَنِ ابْتَدَأَ شُرْبَهُ مِنَ النَّهَرِ بِأَنْ كَرَعَ فِيهِ، ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾[5]: فَلَيْسَ بِمُتَّصِلٍ بِي وَمُتَّحِدٍ مَعِي، مِنْ قَوْلِهِمْ: فُلَانٌ مِنِّي كَأَنَّهُ بَعْضُهُ، لِاخْتِلَاطِهِمَا وَاتِّحَادِهِمَا، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ فَلَيْسَ مِنْ جُمْلَتِي وَأَشْيَاعِي.

﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾[6]: وَمَنْ لَمْ يَذُقْهُ، مِنْ طَعِمَ الشَّيْءَ إِذَا ذَاقَهُ، وَمِنْهُ طَعْمُ الشَّيْءِ لِمَذَاقِهِ.

قَالَ:

وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نَقَاخًا وَلَا بَرْدَا

أَلَا تَرَى كَيْفَ عَطَفَ عَلَيْهِ الْبَرْدَ وَهُوَ النَّوْمُ، وَيُقَالُ: مَا ذُقْتُ غِمَاضًا، وَنَحْوُهُ مِنَ الِابْتِلَاءِ: مَا ابْتَلَى اللَّهُ بِهِ أَهْلَ أَيْلَةَ مِنْ تَرْكِ الصَّيْدِ مَعَ إِتْيَانِ الْحِيتَانِ شُرَّعًا، بَلْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ وَأَصْعَبُ، وَإِنَّمَا عَرَفَ ذَلِكَ طَالُوتُ بِإِخْبَارٍ مِنَ النَّبِيِّ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا –كَمَا يُرْوَى عَنْ بَعْضِهِمْ– فَبِالْوَحْيِ، وَقُرِئَ: (بِنَهْرٍ) بِالسُّكُونِ .

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: مِمَّ اسْتُثْنِيَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ﴾[1]؟

قُلْتُ: مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾[2]، وَالْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ فِي حُكْمِ الْمُتَأَخِّرَةِ، إِلَّا إِنَّهَا قُدِّمَتْ لِلْعِنَايَةِ كَمَا قُدِّمَ، ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾[3] فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾[4]، وَمَعْنَاهُ: الرُّخْصَةُ فِي اغْتِرَافِ الْغُرْفَةِ بِالْيَدِ دُونَ الْكُرُوعِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾[5]، أَيْ: فَكَرَعُوا فِيهِ، ﴿إِلَّا قَلِيلا مِنْهُمْ﴾[6]: وَقُرِئَ: (غَرْفَةً) بِالْفَتْحِ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ، وَبِالضَّمِّ بِمَعْنَى الْمَغْرُوفِ.

وَقَرَأَ أُبَيٌّ وَالْأَعْمَشُ: (إِلَّا قَلِيلٌ)، بِالرَّفْعِ، وَهَذَا مِنْ مَيْلِهِمْ مَعَ الْمَعْنَى وَالْإِعْرَاضِ عَنِ اللَّفْظِ جَانِبًا، وَهُوَ بَابٌ جَلِيلٌ مِنْ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ.

فَلَمَّا كَانَ مَعْنَى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾[7] فِي مَعْنَى فَلَمْ يُطِيعُوهُ حُمِلَ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَلَمْ يُطِيعُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ.

وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ:

....لَمْ يَدَعْ مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتٌ أَوْ مُجَلَّفُ

كَأَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَبْقَ مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتٌ أَوْ مُجَلَّفٌ، وَقِيلَ: لَمْ يَبْقَ مَعَ طَالُوتَ إِلَّا ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[8]، يَعْنِي: الْقَلِيلَ.

﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾[9]: يَعْنِي الْخُلَّصُ مِنْهُمُ الَّذِينَ نَصَبُوا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَيْقَنُوهُ، أَوِ الَّذِينَ تَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ يَسْتَشْهِدُونَ عَمَّا قَرِيبٌ وَيَلْقَوْنَ اللَّهَ، وَالْمُؤْمِنُونَ مُخْتَلِفُونَ فِي

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْمَائِدَةِ، الآية 69.

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[8] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[9] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

قُوَّةِ الْيَقِينِ وَنُصُوعِ الْبَصِيرَةِ، وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي ﴿قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا﴾[1]: لِلْكَثِيرِ الَّذِينَ انْخَذَلُوا، وَالَّذِينَ يَظُنُّونَ هُمُ الْقَلِيلُ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعَهُ، كَأَنَّهُمْ تَقَاوَلُوا بِذَلِكَ وَالنَّهَرُ بَيْنَهُمَا، يُظْهِرُ أُولَئِكَ عُذْرَهُمْ فِي الِانْخِذَالِ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ هَؤُلَاءِ مَا يَعْتَذِرُونَ بِهِ.

وَرُوِيَ: أَنَّ الْغُرْفَةَ كَانَتْ تَكْفِي الرَّجُلَ لِشُرْبِهِ وَإِدَاوَتِهِ، وَالَّذِينَ شَرِبُوا مِنْهُ اسْوَدَّتْ شِفَاهُهُمْ وَغَلَبَهُمُ الْعَطَشُ.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهِ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2]

وَ"جَالُوتُ": جَبَّارٌ مِنَ الْعَمَالِقَةِ مِنْ أَوْلَادِ عِمْلِيقِ بْنِ عَادٍ، وَكَانَتْ بَيْضَتُهُ فِيهَا ثَلَاثُمِائَةِ رِطْلٍ.

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾[3]: وَهَبْ لَنَا مَا نَثْبُتُ بِهِ فِي مَدَاحِضِ الْحَرْبِ مِنْ قُوَّةِ الْقُلُوبِ، وَإِلْقَاءِ الرُّعْبِ فِي قَلْبِ الْعَدُوِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ.

كَانَ إِيشَى أَبُو دَاوُدَ فِي عَسْكَرِ طَالُوتَ مَعَ سِتَّةٍ مِنْ بَنِيهِ، وَكَانَ دَاوُدُ سَابِعَهُمْ وَهُوَ صَغِيرٌ يَرْعَى الْغَنَمَ، فَأُوحِيَ إِلَى إِشْمَوِيلَ أَنَّ دَاوُدَ بْنَ إِيشَى هُوَ الَّذِي يَقْتُلُ جَالُوتَ، فَطَلَبَهُ مِنْ أَبِيهِ، فَجَاءَ وَقَدْ مَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ دَعَاهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَنْ يَحْمِلَهُ، وَقَالَتْ لَهُ: إِنَّكَ تَقْتُلُ بِنَا جَالُوتَ، فَحَمَلَهَا فِي مِخْلَاتِهِ وَرَمَى بِهَا جَالُوتَ فَقَتَلَهُ، وَزَوَّجَهُ طَالُوتُ بِنْتَهُ. وَرُوِيَ أَنَّهُ حَسَدَهُ وَأَرَادَ قَتْلَهُ، ثُمَّ تَابَ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾[1]: فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَمَغَارِبِهَا، وَمَا اجْتَمَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى مَلِكٍ قَطُّ قَبْلَ دَاوُدَ، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾[2]: وَالنُّبُوَّةَ، ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾[3]: مِنْ صَنْعَةِ الدُّرُوعِ، وَكَلَامِ الطَّيْرِ وَالدَّوَابِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾[4]: وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ بَعْضَ النَّاسِ بِبَعْضٍ وَيَكُفُّ بِهِمْ فَسَادَهُمْ لَغَلَبَ الْمُفْسِدُونَ، وَفَسَدَتِ الْأَرْضُ، وَبَطَلَتْ مَنَافِعُهَا، وَتَعَطَّلَتْ مَصَالِحُهَا مِنَ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ وَسَائِرِ مَا يُعَمِّرُ الْأَرْضَ، وَقِيلَ: وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْكُفَّارِ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ بِغَيْثِ الْكُفَّارِ فِيهَا وَقَتْلِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ لَوْ لَمْ يَدْفَعْهُمْ بِهِمْ لَعَمَّ الْكُفْرُ وَنَزَلَتِ السُّخْطَةُ فَاسْتُؤْصِلَ أَهْلُ الْأَرْضِ.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[5]

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾[6]، يَعْنِي: الْقَصَصَ الَّتِي اقْتَصَّهَا، مِنْ حَدِيثِ الْأُلُوفِ وَإِمَاتَتِهِمْ وَإِحْيَائِهِمْ، وَتَمْلِيكِ طَالُوتَ وَإِظْهَارِهِ بِالْآيَةِ الَّتِي هِيَ نُزُولُ التَّابُوتِ مِنَ السَّمَاءِ، وَغَلَبَةِ الْجَبَابِرَةِ عَلَى يَدِ صَبِيٍّ ﴿بِالْحَقِّ﴾[7]: بِالْيَقِينِ الَّذِي لَا يَشُكُّ فِيهِ أَهْلُ الْكِتَابِ، لِأَنَّهُ فِي كُتُبِهِمْ كَذَلِكَ.

﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[8]: حَيْثُ تُخْبَرُ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْرِفَ بِقِرَاءَةِ كِتَابٍ وَلَا سَمَاعِ أَخْبَارٍ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[8] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مَنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتِ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1]

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾[2]: إِشَارَةٌ إِلَى جَمَاعَةِ الرُّسُلِ الَّتِي ذُكِرَتْ قَصَصُهَا فِي السُّورَةِ، أَوِ الَّتِي ثَبَتَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[3]: لِمَا أَوْجَبَ ذَلِكَ مِنْ تَفَاضُلِهِمْ فِي الْحَسَنَاتِ.

﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾[4]: مِنْهُمْ مَنْ فَضَّلَهُ اللَّهُ بِأَنْ كَلَّمَهُ مِنْ غَيْرِ سَفِيرٍ، وَهُوَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– وَقُرِئَ: (كَلَّمَ اللَّهَ) بِالنَّصْبِ، وَقَرَأَ الْيَمَانِيُّ: (كَالَمَ اللَّهَ) مِنَ الْمُكَالَمَةِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُمْ: كَلِيمُ اللَّهِ، بِمَعْنَى مُكَالِمِهِ.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[5]، أَيْ وَمِنْهُمْ مَنْ رَفَعَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، فَكَانَ بَعْدَ تَفَاوُتِهِمْ فِي الْفَضْلِ أَفْضَلَ مِنْهُمْ بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ مُحَمَّدًا –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، لِأَنَّهُ هُوَ الْمُفَضَّلُ عَلَيْهِمْ، حَيْثُ أُوتِيَ مَا لَمْ يُؤْتَهُ أَحَدٌ مِنَ الْآيَاتِ الْمُتَكَاثِرَةِ الْمُرْتَقِيَةِ إِلَى أَلْفِ آيَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَلَوْ لَمْ يُؤْتَ إِلَّا الْقُرْآنَ وَحْدَهُ لَكَفَى بِهِ فَضْلًا مُنِيفًا عَلَى سَائِرِ مَا أُوتِيَ الْأَنْبِيَاءُ، لِأَنَّهُ الْمُعْجِزَةُ الْبَاقِيَةُ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ دُونَ سَائِرِ الْمُعْجِزَاتِ، وَفِي هَذَا الْإِبْهَامِ مِنْ تَفْخِيمِ فَضْلِهِ وَإِعْلَاءِ قَدْرِهِ مَا لَا يَخْفَى، لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَى أَنَّهُ الْعَلَمُ الَّذِي لَا يُشْتَبَهُ، وَالْمُتَمَيِّزُ الَّذِي لَا يَلْتَبِسُ، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: أَحَدُكُمْ أَوْ بَعْضُكُمْ،

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

يُرِيدُ بِهِ الَّذِي تُعُورِفَ وَاشْتُهِرَ بِنَحْوِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ، فَيَكُونُ أَفْخَمَ مِنَ التَّصْرِيحِ بِهِ وَأَنْوَهَ بِصَاحِبِهِ.

وَسُئِلَ الْحُطَيْئَةُ عَنْ أَشْعَرِ النَّاسِ؟ فَذَكَرَ زُهَيْرًا وَالنَّابِغَةَ، ثُمَّ قَالَ: وَلَوْ شِئْتُ لَذَكَرْتُ الثَّالِثَ، أَرَادَ نَفْسَهُ، وَلَوْ قَالَ: وَلَوْ شِئْتُ لَذَكَرْتُ نَفْسِي لَمْ يُفَخِّمْ أَمْرَهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ: إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدًا وَغَيْرَهُمَا مِنْ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "كُنَّا فِي الْمَسْجِدِ نَتَذَاكَرُ فَضْلَ الْأَنْبِيَاءِ، فَذَكَرْنَا نُوحًا بِطُولِ عِبَادَتِهِ، وَإِبْرَاهِيمَ بِخُلَّتِهِ، وَمُوسَى بِتَكْلِيمِ اللَّهِ إِيَّاهُ، وَعِيسَى بِرَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَقُلْنَا: رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَفْضَلُ مِنْهُمْ، بُعِثَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَغُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَهُوَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، فَدَخَلَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– فَقَالَ: "فِيمَ أَنْتُمْ؟ فَذَكَرْنَا لَهُ، فَقَالَ: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا، فَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ سَيِّئَةً قَطُّ وَلَمْ يَهُمَّ بِهَا".

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ خُصَّ مُوسَى وَعِيسَى مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ بِالذِّكْرِ؟

قُلْتُ: لِمَا أُوتِيَا مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ، وَلَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ وَجْهَ التَّفْضِيلِ، حَيْثُ جَعَلَ التَّكْلِيمَ مِنَ الْفَضْلِ وَهُوَ آيَةٌ مِنَ الْآيَاتِ، فَلَمَّا كَانَ هَذَانِ النَّبِيَّانِ قَدْ أُوتِيَا مَا أُوتِيَا مِنْ عِظَامِ الْآيَاتِ خُصَّا بِالذِّكْرِ فِي بَابِ التَّفْضِيلِ.

وَهَذَا دَلِيلٌ بَيِّنٌ أَنَّ مَنْ زِيدَ تَفْضِيلًا بِالْآيَاتِ مِنْهُمْ فَقَدْ فُضِّلَ عَلَى غَيْرِهِ، وَلَمَّا كَانَ نَبِيُّنَا –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– هُوَ الَّذِي أُوتِيَ مِنْهَا مَا لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ فِي كَثْرَتِهَا وَعِظَمِهَا كَانَ هُوَ الْمَشْهُودَ لَهُ بِإِحْرَازِ قَصَبَاتِ الْفَضْلِ غَيْرَ مُدَافَعٍ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا شَفَاعَتَهُ يَوْمَ الدِّينِ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾[1]: مَشِيئَةَ إِلْجَاءٍ وَقَسْرٍ، ﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ﴾[2] مِنْ بَعْدِ الرُّسُلِ، لِاخْتِلَافِهِمْ فِي الدِّينِ، وَتَشَعُّبِ مَذَاهِبِهِمْ، وَتَكْفِيرِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.

﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ﴾[3]، لِالْتِزَامِهِ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾[4]: لِإِعْرَاضِهِ عَنْهُ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾[1]: كَرَّرَهُ لِلتَّأْكِيدِ، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[2]: مِنَ الْخِذْلَانِ وَالْعِصْمَةِ.

﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾[3]: أَرَادَ الْإِنْفَاقَ الْوَاجِبَ، لِاتِّصَالِ الْوَعِيدِ بِهِ، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾[4]: لَا تَقْدِرُونَ فِيهِ عَلَى تَدَارُكِ مَا فَاتَكُمْ مِنَ الْإِنْفَاقِ، لِأَنَّهُ ﴿لا بَيْعٌ فِيهِ﴾[5]، حَتَّى تَبْتَاعُوا مَا تُنْفِقُونَهُ، ﴿وَلا خُلَّةٌ﴾[6]، حَتَّى يُسَامِحَكُمْ أَخِلَّاؤُكُمْ بِهِ. وَإِنَّ أَرَدْتُمْ أَنْ يُحَطَّ عَنْكُمْ مَا فِي ذِمَّتِكُمْ مِنَ الْوَاجِبِ لَمْ تَجِدُوا شَفِيعًا يَشْفَعُ لَكُمْ فِي حَطِّ الْوَاجِبَاتِ، لِأَنَّ الشَّفَاعَةَ ثَمَّةَ فِي زِيَادَةِ الْفَضْلِ لَا غَيْرُ .

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[7]، أَرَادَ: وَالتَّارِكُونَ الزَّكَاةَ هُمُ الظَّالِمُونَ، فَقَالَ: ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾[8] لِلتَّغْلِيظِ، كَمَا قَالَ فِي آخِرِ آيَةِ الْحَجِّ.

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾[9] مَكَانَ (وَمَنْ لَمْ يَحُجَّ)، وَلِأَنَّهُ جَعَلَ تَرْكَ الزَّكَاةِ مِنْ صِفَاتِ الْكُفَّارِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[10]، وَقُرِئَ: (لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ) بِالرَّفْعِ.

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
8 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
9 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
10 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[1]

﴿الْحَيُّ﴾[2]: الْبَاقِي الَّذِي لَا سَبِيلَ عَلَيْهِ لِلْفَنَاءِ، وَهُوَ عَلَى اصْطِلَاحِ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِي يَصِحُّ أَنْ يُعْلَمَ وَيُقَدَّرَ، وَ﴿الْقَيُّومُ﴾[3]: الدَّائِمُ الْقِيَامِ بِتَدْبِيرِ الْخَلْقِ وَحِفْظِهِ، وَقُرِئَ: (الْقَيَّامُ)، (وَالْقَيِّمُ)، وَالسِّنَةُ: مَا يَتَقَدَّمُ النَّوْمَ مِنَ الْفُتُورِ الَّذِي يُسَمَّى النُّعَاسَ.

قَالَ ابْنَ الرِّقَاعِ الْعَامِلِيُّ:

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

أَيْ: لَا يَأْخُذُهُ نُعَاسٌ وَلَا نَوْمٌ وَهُوَ تَأْكِيدٌ لِلْقَيُّومِ، لِأَنَّ مَنْ جَازَ عَلَيْهِ ذَلِكَ اسْتَحَالَ أَنْ يَكُونَ قَيُّومًا.

وَمِنْهُ حَدِيثُ مُوسَى: أَنَّهُ سَأَلَ الْمَلَائِكَةَ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ قَوْمِهِ كَطَلَبِ الرُّؤْيَةِ: أَيَنَامُ رَبُّنَا؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ أَنْ يُوقِظُوهُ ثَلَاثًا وَلَا يَتْرُكُوهُ يَنَامُ، ثُمَّ قَالَ: خُذْ بِيَدِكَ قَارُورَتَيْنِ مَمْلُوءَتَيْنِ، فَأَخَذَهُمَا، وَأَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِ النُّعَاسَ، فَضَرَبَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَانْكَسَرَتَا، ثُمَّ أَوْحَى إِلَيْهِ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ إِنِّي أُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقُدْرَتِي، فَلَوْ أَخَذَنِي نَوْمٌ أَوْ نُعَاسٌ لَزَالَتَا.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾[4]: بَيَانٌ لِمَلَكُوتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ، وَأَنَّ أَحَدًا لَا يَتَمَالَكُ أَنْ يَتَكَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِذَا أُذِنَ لَهُ فِي الْكَلَامِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾[5].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[6]: مَا كَانَ قَبْلَهُمْ وَمَا يَكُونُ بَعْدَهُمْ، وَالضَّمِيرُ لِمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لِأَنَّ فِيهِمُ الْعُقَلَاءَ، أَوْ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ: ﴿مَنْ ذَا﴾[7] مِنَ الْمَلَائِكَةِ

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[5] سورة النَّبَأِ، الآية 38.
[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَالْأَنْبِيَاءِ ﴿مِنْ عِلْمِهِ﴾[1]: مِنْ مَعْلُومَاتِهِ، ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[2]: إِلَّا بِمَا عَلِمَ، الْكُرْسِيُّ مَا يُجْلَسُ عَلَيْهِ، وَلَا يَفْضُلُ عَنْ مَقْعَدِ الْقَاعِدِ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾[3]: أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ:

-أَحَدُهَا أَنَّ كُرْسِيَّهُ لَمْ يَضِقْ عَنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِبَسْطَتِهِ وَسَعَتِهِ، وَمَا هُوَ إِلَّا تَصْوِيرٌ لِعَظَمَتِهِ وَتَخْيِيلٌ فَقَطْ، وَلَا كُرْسِيَّ ثَمَّةَ وَلَا قُعُودَ وَلَا قَاعِدَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[4] مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرِ قَبْضَةٍ وَطَيِّ يَمِينٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْيِيلٌ لِعَظَمَةِ شَأْنِهِ، وَتَمْثِيلٌ حِسِّيٌّ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[5]؟

-وَالثَّانِي: وَسِعَ عِلْمُهُ وَسُمِّيَ الْعِلْمُ كُرْسِيًّا تَسْمِيَةً بِمَكَانِهِ الَّذِي هُوَ كُرْسِيُّ الْعَالِمِ.

-وَالثَّالِثُ: وَسِعَ مُلْكُهُ تَسْمِيَةً بِمَكَانِهِ الَّذِي هُوَ كُرْسِيُّ الْمَلِكِ.

-وَالرَّابِعُ مَا رُوِيَ: أَنَّهُ خَلَقَ كُرْسِيًّا هُوَ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ دُونَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَهُوَ إِلَى الْعَرْشِ كَأَصْغَرِ شَيْءٍ، وَعَنِ الْحَسَنِ: الْكُرْسِيُّ هُوَ الْعَرْشُ.

﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾[6]: وَلَا يُثْقِلُهُ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ "حِفْظُهُمَا": حِفْظُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾[7]: الشَّأْنِ، ﴿الْعَظِيمُ﴾[8]: الْمُلْكِ وَالْقُدْرَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ تَرَتَّبَتِ الْجُمَلُ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ مِنْ غَيْرِ حَرْفِ عَطْفٍ؟

قُلْتُ: مَا مِنْهَا جُمْلَةٌ إِلَّا وَهِيَ وَارِدَةٌ عَلَى سَبِيلِ الْبَيَانِ لِمَا تَرَتَّبَتْ عَلَيْهِ، وَالْبَيَانُ مُتَّحِدٌ بِالْمُبَيَّنِ، فَلَوْ تَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا عَاطِفٌ لَكَانَ كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا.

-فَالْأُولَى بَيَانٌ لِقِيَامِهِ بِتَدْبِيرِ الْخَلْقِ، وَكَوْنِهِ مُهَيْمِنًا عَلَيْهِ غَيْرَ سَاهٍ عَنْهُ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الزُّمَرِ، الآية 67.

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[8] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

-وَالثَّانِيَةُ: لِكَوْنِهِ مَالِكًا لِمَا يُدَبِّرُهُ.

-وَالثَّالِثَةُ: لِكِبْرِيَاءِ شَأْنِهِ.

-وَالرَّابِعَةُ: لِإِحَاطَتِهِ بِأَحْوَالِ الْخَلْقِ، وَعِلْمِهِ بِالْمُرْتَضَى مِنْهُمُ الْمُسْتَوْجِبِ لِلشَّفَاعَةِ وَغَيْرِ الْمُرْتَضَى.

-وَالْخَامِسَةُ: لِسِعَةِ عِلْمِهِ وَتَعَلُّقِهِ بِالْمَعْلُومَاتِ كُلِّهَا، أَوْ لِجَلَالِهِ وَعِظَمِ قَدْرِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ فُضِّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ حَتَّى وَرَدَ فِي فَضْلِهَا مَا وَرَدَ مِنْهُ قَوْلُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا قُرِئَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي دَارٍ إِلَّا هَجَرَتْهَا الشَّيَاطِينُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا، وَلَا يَدْخُلُهَا سَاحِرٌ وَلَا سَاحِرَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، يَا عَلِيُّ عَلِّمْهَا وَلَدَكَ وَأَهْلَكَ وَجِيرَانَكَ، فَمَا نَزَلَتْ آيَةٌ أَعْظَمَ مِنْهَا".

وَعَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أَعْوَادِ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: "مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا الْمَوْتُ، وَلَا يُوَاظِبُ عَلَيْهَا إِلَّا صَدِّيقٌ أَوْ عَابِدٌ، وَمَنْ قَرَأَهَا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ أَمَّنَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَجَارِهِ، وَجَارِ جَارِهِ وَالْأَبْيَاتِ حَوْلَهُ".

وَتَذَاكَرَ الصَّحَابَةُ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- أَفْضَلَ مَا فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ آيَةِ الْكُرْسِيِّ؟ ثُمَّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "يَا عَلِيُّ، سَيِّدُ الْبَشَرِ آدَمُ، وَسَيِّدُ الْعَرَبِ مُحَمَّدٌ وَلَا فَخْرَ، وَسَيِّدُ الْفُرْسِ سَلْمَانُ، وَسَيِّدُ الرُّومِ صُهَيْبٌ، وَسَيِّدُ الْحَبَشَةِ بِلَالٌ، وَسَيِّدُ الْجِبَالِ الطُّورُ، وَسَيِّدُ الْأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَسَيِّدُ الْكَلَامِ الْقُرْآنُ، وَسَيِّدُ الْقُرْآنِ الْبَقَرَةُ، وَسَيِّدُ الْبَقَرَةِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ".

قُلْتُ: لِمَا فُضِّلَتْ لَهُ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَتَعْظِيمِهِ، وَتَمْجِيدِهِ، وَصِفَاتِهِ الْعُظْمَى، وَلَا مَذْكُورَ أَعْظَمُ مِنْ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَمَا كَانَ ذِكْرًا لَهُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ سَائِرِ الْأَذْكَارِ.

وَبِهَذَا يُعْلَمُ أَنَّ أَشْرَفَ الْعُلُومِ وَأَعْلَاهَا مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ عِلْمُ أَهْلِ الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ، وَلَا يَغُرَّنَّكَ عَنْهُ كَثْرَةُ أَعْدَائِهِ:

إِنَّ الْعَرَانِينَ تَلْقَاهَا مُحَسَّـــدَةً وَلَا تَرَى لِلِئَامِ النَّاسِ حُسَّـــادًا

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[2]، أَيْ: لَمْ يُجْرِ اللَّهُ أَمْرَ الْإِيمَانِ عَلَى الْإِجْبَارِ وَالْقَسْرِ، وَلَكِنْ عَلَى التَّمْكِينِ وَالِاخْتِيَارِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[3]، أَيْ: لَوْ شَاءَ لَقَسَرَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ، وَبُنِيَ الْأَمْرُ عَلَى الِاخْتِيَارِ.

﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[4]: قَدْ تَمَيَّزَ الْإِيمَانُ مِنَ الْكُفْرِ بِالدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾[5]: فَمَنِ اخْتَارَ الْكُفْرَ بِالشَّيْطَانِ أَوِ الْأَصْنَامِ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[6]: مِنَ الْحَبْلِ الْوَثِيقِ الْمُحْكَمِ، الْمَأْمُونِ انْفِصَامُهَا، أَيِ: انْقِطَاعُهَا، وَهَذَا تَمْثِيلٌ لِلْمَعْلُومِ بِالنَّظَرِ، وَالِاسْتِدْلَالُ بِالْمُشَاهَدِ الْمَحْسُوسِ، حَتَّى يَتَصَوَّرَهُ السَّامِعُ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ بِعَيْنِهِ، فَيَحْكُمُ اعْتِقَادَهُ وَالتَّيَقُّنَ بِهِ، وَقِيلَ: هُوَ إِخْبَارٌ فِي مَعْنَى النَّهْيِ، أَيْ: لَا تَتَكَرَّهُوا فِي الدِّينِ.

ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[7]، وَقِيلَ: هُوَ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ خَاصَّةً؛ لِأَنَّهُمْ حَصَّنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَدَاءِ الْجِزْيَةِ.

وَرُوِيَ: أَنَّهُ كَانَ لِأَنْصَارِيٍّ مِنْ بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ ابْنَانِ، فَتَنَصَّرَا قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، ثُمَّ قَدِمَا الْمَدِينَةَ، فَلَزِمَهُمَا أَبُوهُمَا، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَدَعُكُمَا حَتَّى تُسْلِمَا، فَأَبَيَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَدْخُلُ بِعَضِّي النَّارَ وَأَنَا أَنْظُرُ؟ فَنَزَلَتْ: فَخَلَّاهُمَا.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة يُونُس، الآية 99.

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[7] سورة التَّوْبَة، الآية 73.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[2]، أَيْ: أَرَادُوا أَنْ يُؤْمِنُوا يَلْطُفُ بِهِمْ حَتَّى يُخْرِجَهُمْ بِلُطْفِهِ وَتَأْيِيدِهِ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾[3]، أَيْ: صَمَّمُوا عَلَى الْكُفْرِ، أَمْرُهُمْ عَلَى عَكْسِ ذَلِكَ، أَوِ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الشُّبَهِ فِي الدِّينِ –إِنْ وَقَعَتْ لَهُمْ– بِمَا يَهْدِيهِمْ وَيُوَفِّقُهُمْ لَهُ مِنْ حَلِّهَا، حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى نُورِ الْيَقِينِ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ﴾[4] الشَّيَاطِينُ ﴿يُخْرِجُونَهُمْ﴾: مِنْ نُورِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي تَظْهَرُ لَهُمْ إِلَى ظُلُمَاتِ الشَّكِّ وَالشُّبْهَةِ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[5]

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿أَلَمْ تَرَ﴾[1]: تَعْجِيبٌ مِنْ مُحَاجَّةِ نَمْرُوذَ فِي اللَّهِ وَكُفْرِهِ بِهِ، ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾[2]: مُتَعَلِّقٌ بِ(حَاجَّ) عَلَى وَجْهَيْنِ:

-أَحَدُهُمَا حَاجَّ لِأَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ إِيتَاءَ الْمُلْكِ أَبْطَرَهُ وَأَوْرَثَهُ الْكِبْرَ وَالْعُتُوَّ فَحَاجَّ لِذَلِكَ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ وَضَعَ الْمُحَاجَّةَ فِي رَبِّهِ مَوْضِعَ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ، فَكَأَنَّ الْمُحَاجَّةَ كَانَتْ لِذَلِكَ، كَمَا تَقُولُ: عَادَانِي فُلَانٌ لِأَنِّي أَحْسَنْتُ إِلَيْهِ، تُرِيدُ أَنَّهُ عَكْسُ مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمُوَالَاةِ لِأَجْلِ الْإِحْسَانِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[3].

-وَالثَّانِي: حَاجَّ وَقْتَ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جَازَ أَنْ يُؤْتِيَ اللَّهُ الْمُلْكَ الْكَافِرَ؟

قُلْتُ: فِيهِ قَوْلَانِ: آتَاهُ مَا غَلَبَ بِهِ وَتَسَلَّطَ مِنَ الْمَالِ وَالْخَدَمِ وَالْأَتْبَاعِ، وَأَمَّا التَّغْلِيبُ وَالتَّسْلِيطُ فَلَا، وَقِيلَ: مَلَّكَهُ امْتِحَانًا لِعِبَادِهِ.

وَ﴿إِذْ قَالَ﴾[4]: نُصِبَ بِ(حَاجَّ) أَوْ بَدَلٌ مِنْ (آتَاهُ) إِذْ جُعِلَ بِمَعْنَى الْوَقْتِ.

﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾[5]: يُرِيدُ أَعْفُو عَنِ الْقَتْلِ وَأَقْتُلُ، وَكَانَ الِاعْتِرَاضُ عَتِيدًا، وَلَكِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا سَمِعَ جَوَابَهُ الْأَحْمَقَ لَمْ يُحَاجَّهُ فِيهِ، وَلَكِنِ انْتَقَلَ إِلَى مَا لَا يَقْدِرُ فِيهِ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ الْجَوَابِ؛ لِيَبْهَتَهُ أَوَّلَ شَيْءٍ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الِانْتِقَالِ لِلْمُجَادِلِ مِنْ حُجَّةٍ إِلَى حُجَّةٍ.

وَقُرِئَ: (فَبَهَتَ الَّذِي كَفَرَ): أَيْ فَغَلَبَ إِبْرَاهِيمُ الْكَافِرَ، وَقَرَأَ أَبُو حَيْوَةَ: (فَبُهْتٌ) بِوَزْنِ قُرْبٍ، وَقِيلَ: كَانَتْ هَذِهِ الْمُحَاجَّةُ حِينَ كَسَرَ الْأَصْنَامَ وَسَجَنَهُ نَمْرُوذُ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنَ السِّجْنِ لِيَحْرِقَهُ فَقَالَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْوَاقِعَة، الآية 82.

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿أَوْ كَالَّذِي﴾[1]، مَعْنَاهُ: أَوْ أَرَأَيْتَ مَثَلَ الَّذِي مَرَّ، فَحُذِفَ لِدَلَالَةِ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾[2]: عَلَيْهِ، لِأَنَّ كِلْتَيْهِمَا كَلِمَةُ تَعْجِيبٍ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَرَأَيْتَ كَالَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ، وَالْمَارُّ كَانَ كَافِرًا بِالْبَعْثِ، وَهُوَ الظَّاهِرُ، لِانْتِظَامِهِ مَعَ نَمْرُودَ فِي سِلْكٍ، وَلِكَلِمَةِ الِاسْتِبْعَادِ الَّتِي هِيَ: (أَنَّى يَحْيِي) وَقِيلَ: هُوَ عُزَيْرٌ أَوِ الْخَضِرُ، أَرَادَ أَنْ يُعَايِنَ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى؛ لِيَزْدَادَ بَصِيرَةً كَمَا طَلَبَهُ إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَنَّى يُحْيِي﴾[3]: اعْتِرَافٌ بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَةِ طَرِيقَةِ الْإِحْيَاءِ، وَاسْتِعْظَامٌ لِقُدْرَةِ الْمُحْيِي، وَالْقَرْيَةُ: بَيْتُ الْمَقْدِسِ حِينَ خَرَّبَهُ بُخْتَنَصَّرُ، وَقِيلَ هِيَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا الْأُلُوفُ، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾[4]: تَفْسِيرُهُ فِيمَا بَعْدُ .

﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[5]: بِنَاءً عَلَى الظَّنِّ، رُوِيَ أَنَّهُ مَاتَ ضُحًى وَبُعِثَ بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ قَبْلَ غَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ، فَقَالَ -قَبْلَ النَّظَرِ إِلَى الشَّمْسِ-: يَوْمًا، ثُمَّ الْتَفَتَ فَرَأَى بَقِيَّةً مِنَ الشَّمْسِ فَقَالَ: أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ .

وَرُوِيَ أَنَّ طَعَامَهُ كَانَ تِينًا وَعِنَبًا، وَشَرَابَهُ عَصِيرًا أَوْ لَبَنًا، فَوَجَدَ التِّينَ وَالْعِنَبَ كَمَا جُنِيَا، وَالشَّرَابَ عَلَى حَالِهِ ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾[6]: لَمْ يَتَغَيَّرْ، وَالْهَاءُ أَصْلِيَّةٌ أَوْ هَاءُ سَكْتٍ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ السَّنَةِ عَلَى الْوَجْهَيْنِ، لِأَنَّ لَامَهَا هَاءٌ أَوْ وَاوٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْءَ يَتَغَيَّرُ بِمُرُورِ الزَّمَانِ.

وَقِيلَ: أَصْلُهُ يَتَسَنَّنُ، مِنَ الْحَمَأِ الْمَسْنُونِ، فَقُلِبَتْ نُونُهُ حَرْفَ عِلَّةٍ، كَتَقَضِّي الْبَازِي، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾[7]: لَمْ تَمُرَّ عَلَيْهِ السُّنُونَ الَّتِي مَرَّتْ عَلَيْهِ، يَعْنِي: هُوَ بِحَالِهِ كَمَا كَانَ كَأَنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ مِائَةَ سَنَةٍ.

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: (فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَهَذَا شَرَابُكَ لَمْ يَتَسَنَّ)، وَقَرَأَ أُبَيٌّ: (لَمْ يَسَّنَّهْ) بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي السِّينِ.

﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾[1]: كَيْفَ تَفَرَّقَتْ عِظَامُهُ وَنَخِرَتْ، وَكَانَ لَهُ حِمَارٌ قَدْ رَبَطَهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: وَانْظُرْ إِلَيْهِ سَالِمًا فِي مَكَانِهِ كَمَا رَبَطْتَهُ، وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ أَنْ يُعَيِّشَهُ مِائَةَ عَامٍ مِنْ غَيْرِ عَلَفٍ وَلَا مَاءٍ، كَمَا حَفِظَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنَ التَّغَيُّرِ.

﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾[2]: فَعَلْنَا ذَلِكَ، يُرِيدُ إِحْيَاءَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَحِفْظَ مَا مَعَهُ، وَقِيلَ: أَتَى قَوْمُهُ رَاكِبَ حِمَارِهِ، وَقَالَ: أَنَا عُزَيْرٌ، فَكَذَّبُوهُ، فَقَالَ: هَاتُوا التَّوْرَاةَ فَأَخَذَ يَهُذُّهَا هَذًّا عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ فِي الْكِتَابِ، فَمَا خَرَمَ حَرْفًا، فَقَالُوا: هُوَ ابْنُ اللَّهِ، وَلَمْ يَقْرَأِ التَّوْرَاةَ ظَاهِرًا أَحَدٌ قَبْلَ عُزَيْرٍ، فَذَلِكَ كَوْنُهُ آيَةً، وَقِيلَ: رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَرَأَى أَوْلَادَهُ شُيُوخًا وَهُوَ شَابٌّ، فَإِذَا حَدَّثَهُمْ بِحَدِيثٍ قَالُوا: حَدِيثُ مِائَةِ سَنَةٍ.

﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾[3]: هِيَ عِظَامُ الْحِمَارِ أَوْ عِظَامُ الْمَوْتَى الَّذِينَ تَعَجَّبَ مِنْ إِحْيَائِهِمْ، ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾[4]: كَيْفَ نُحْيِيهَا.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: (نَنْشُرُهَا) مِنْ نَشَرَ اللَّهُ الْمَوْتَى، بِمَعْنَى: أَنْشَرَهُمْ فَنُشِرُوا، وَقُرِئَ بِالزَّايِ، بِمَعْنَى نُحَرِّكُهَا وَنَرْفَعُ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ لِلتَّرْكِيبِ، وَفَاعِلُ "تَبَيَّنَ" مُضْمَرٌ، تَقْدِيرُهُ: فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[5]: حُذِفَ الْأَوَّلُ لِدَلَالَةِ الثَّانِي عَلَيْهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِمْ: ضَرَبَنِي وَضَرَبْتُ زَيْدًا، وَيَجُوزُ: فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ مَا أُشْكِلَ عَلَيْهِ، يَعْنِي: أَمْرَ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: (فَلَمَّا تُبُيِّنَ لَهُ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، وَقُرِئَ: (قَالَ اعْلَمْ) عَلَى لَفْظِ الْأَمْرِ، وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: (قِيلَ اعْلَمْ).

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِنْ كَانَ الْمَارُّ كَافِرًا فَكَيْفَ يَسُوغُ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ؟

قُلْتُ: كَانَ الْكَلَامُ بَعْدَ الْبَعْثِ وَلَمْ يَكُنْ إِذْ ذَاكَ كَافِرًا.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]

﴿أَرِنِي﴾[2]: بَصِّرْنِي.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قَالَ لَهُ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾[3] وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ أَثْبَتُ النَّاسِ إِيمَانًا؟

قُلْتُ: لِيُجِيبَ بِمَا أَجَابَ بِهِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْفَائِدَةِ الْجَلِيلَةِ لِلسَّامِعِينَ.

وَ﴿بَلَى﴾[4]: إِيجَابٌ لِمَا بَعْدَ النَّفْيِ، مَعْنَاهُ بَلَى آمَنْتُ، ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[5]: لِيَزِيدَ سُكُونًا وَطُمَأْنِينَةً بِمُضَامَّةِ عِلْمِ الضَّرُورَةِ عِلْمَ الِاسْتِدْلَالِ، وَتَظَاهُرُ الْأَدِلَّةِ أَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ، وَأَزْيَدُ لِلْبَصِيرَةِ وَالْيَقِينِ، وَلِأَنَّ عِلْمَ الِاسْتِدْلَالِ يَجُوزُ مَعَهُ التَّشْكِيكُ بِخِلَافِ الْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ، فَأَرَادَ بِطُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ الْعِلْمَ الَّذِي لَا مَجَالَ فِيهِ لِلتَّشْكِيكِ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ تَعَلَّقَتِ اللَّامُ فِي ﴿لِيَطْمَئِنَّ﴾[6]؟

قُلْتُ: بِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: وَلَكِنْ سَأَلْتُ ذَلِكَ إِرَادَةَ طُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ.

﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾[7]، قِيلَ: طَاوُسًا وَدِيكًا وَغُرَابًا وَحَمَامَةً، ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾[8]: بِضَمِّ الصَّادِ وَكَسْرِهَا بِمَعْنَى فَأَمِلْهُنَّ وَاضْمُمْهُنَّ إِلَيْكَ.

قَالَ:

وَلَكِنَّ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ تَصُورُهَا

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

8 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَقَالَ:

وَفَرْعٍ يَصِيرُ الْجِيدَ وَحْفٍ كَأَنَّهُ عَلَى اللَّيْتِ قِنْوَانُ الْكُرُومِ الدَّوَالِحِ

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– (فَصُرُّهُنَّ) بِضَمِّ الصَّادِ وَكَسْرِهَا وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ، مِنْ صَرَّهُ يَصُرُّهُ وَيَصِرُّهُ إِذَا جَمَعَهُ، نَحْوُ: ضَرَّهُ وَيَضُرُّهُ وَيَضِرُّهُ، وَعَنْهُ: (فَصَرَّهُنَّ) مِنَ التَّصْرِيَةِ، وَهِيَ الْجُمَعُ أَيْضًا.

﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾[1]، يُرِيدُ: ثُمَّ جَزِّئْهُنَّ وَفَرِّقْ أَجْزَاءَهُنَّ عَلَى الْجِبَالِ، وَالْمَعْنَى: عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي بِحَضْرَتِكَ وَفِي أَرْضِكَ، وَقِيلَ: كَانَتْ أَرْبَعَةَ أَجْبُلٍ، وَعَنِ السُّدِّيِّ: سَبْعَةٌ.

﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾[2]: وَقُلْ لَهُنَّ: تَعَالَيْنَ بِإِذْنِ اللَّهِ.

﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾[3]: سَاعِيَاتٍ مُسْرِعَاتٍ فِي طَيَرَانِهِنَّ أَوْ فِي مَشْيِهِنَّ عَلَى أَرْجُلِهِنَّ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى أَمْرِهِ بِضَمِّهَا إِلَى نَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ يَأْخُذَهَا؟

قُلْتُ: لِيَتَأَمَّلَهَا وَيَعْرِفَ أَشْكَالَهَا وَهَيْئَاتِهَا وَحِلَاهَا؛ لِئَلَّا تَلْتَبِسَ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِحْيَاءِ، وَلَا يَتَوَهَّمَ أَنَّهَا غَيْرُ تِلْكَ، وَلِذَلِكَ قَالَ: يَأْتِينَكَ سَعْيًا.

وَرُوِيَ أَنَّهُ أُمِرَ بِأَنْ يَذْبَحَهَا، وَيَنْتِفَ رِيشَهَا، وَيُقَطِّعَهَا، وَيُفَرِّقَ أَجْزَاءَهَا، وَيَخْلِطَ رِيشَهَا وَدِمَاءَهَا وَلُحُومَهَا، وَأَنْ يُمْسِكَ رُءُوسَهَا، ثُمَّ أُمِرَ أَنْ يَجْعَلَ أَجْزَاءَهَا عَلَى الْجِبَالِ، عَلَى كُلِّ جَبَلٍ رُبُعًا مِنْ كُلِّ طَائِرٍ، ثُمَّ يَصِيحُ بِهَا: تَعَالَيْنَ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَجَعَلَ كُلُّ جُزْءٍ يَطِيرُ إِلَى الْآخَرِ، حَتَّى صَارَتْ جُثَثًا ثُمَّ أَقْبَلْنَ فَانْضَمَمْنَ إِلَى رُءُوسِهِنَّ، كُلُّ جُثَّةٍ إِلَى رَأْسِهَا.

وَقُرِئَ: (جُزُأً) بِضَمَّتَيْنِ، (وَجُزًّا)، بِالتَّشْدِيدِ، وَوَجْهُهُ أَنَّهُ خُفِّفَ بِطَرْحِ هَمْزَتِهِ، ثُمَّ شُدِّدَ كَمَا يُشَدَّدُ فِي الْوَقْفِ؛ إِجْرَاءً لِلْوَصْلِ مَجْرَى الْوَقْفِ.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4]

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾[1]: لَا بُدَّ مِنْ حَذْفِ مُضَافٍ، أَيْ: مَثَلُ نَفَقَتِهِمْ كَمَثَلِ حَبَّةٍ، أَوْ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ بَاذِرِ حَبَّةٍ، وَالْمُنْبِتُ هُوَ اللَّهُ، وَلَكِنَّ الْحَبَّةَ لَمَّا كَانَتْ سَبَبًا أُسْنِدَ إِلَيْهَا الْإِنْبَاتُ، كَمَا يُسْنَدُ إِلَى الْأَرْضِ وَإِلَى الْمَاءِ، وَمَعْنَى إِنْبَاتِهَا سَبْعَ سَنَابِلَ أَنْ تُخْرِجَ سَاقًا يَتَشَعَّبُ مِنْهَا سَبْعُ شُعَبٍ، لِكُلِّ وَاحِدَةٍ سُنْبُلَةٌ، وَهَذَا التَّمْثِيلُ تَصْوِيرٌ لِلْأَضْعَافِ، كَأَنَّهَا مَاثِلَةٌ بَيْنَ عَيْنَيِ النَّاظِرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ صَحَّ هَذَا التَّمْثِيلُ وَالْمُمَثَّلُ بِهِ غَيْرُ مَوْجُودٍ؟

قُلْتُ: بَلْ هُوَ مَوْجُودٌ فِي الدُّخْنِ وَالذُّرَةِ وَغَيْرِهِمَا، وَرُبَّمَا فَرَّخَتْ سَاقُ الْبُرَّةِ فِي الْأَرَاضِي الْقَوِيَّةِ الْمُقِلَّةِ فَيَبْلُغُ حَبُّهَا هَذَا الْمَبْلَغَ، وَلَوْ لَمْ يُوجَدْ لَكَانَ صَحِيحًا عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: "سَبْعُ سُنْبُلَاتٍ" عَلَى حَقِّهِ مِنَ التَّمْيِيزِ بِجَمْعِ الْقِلَّةِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ﴾[2]؟

قُلْتُ: هَذَا لِمَا قَدَّمْتُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[3] مِنْ وُقُوعِ أَمْثِلَةِ الْجَمْعِ مُتَعَاوِرَةً مَوَاقِعَهَا.

﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[4]، أَيْ: يُضَاعِفُ تِلْكَ الْمُضَاعَفَةَ لِمَنْ يَشَاءُ، لَا لِكُلِّ مُنْفِقٍ، لِتَفَاوُتِ أَحْوَالِ الْمُنْفِقِينَ، أَوْ يُضَاعِفُ سَبْعَ الْمِائَةِ وَيَزِيدُ عَلَيْهَا أَضْعَافَهَا لِمَنْ يَسْتَوْجِبُ ذَلِكَ.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[5]

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة يُوسُفَ، الآية 53.

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية 228.

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

الْمَنُّ: أَنْ يَعْتَدَّ عَلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ بِإِحْسَانِهِ، وَيُرِيدَ أَنَّهُ اصْطَنَعَهُ وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ حَقًّا لَهُ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: إِذَا صَنَعْتُمْ صَنِيعَةً فَانْسَوْهَا، وَلِبَعْضِهِمْ:

وَإِنَّ امْرَأً أَسْدَى إِلَى صَنِيعَةً وَذَكَّرَنِيهَا مَرَّةً لَلَئِيمُ

وَفِي نَوَابِغِ الْكَلِمِ: صِنْوَانِ (مَنْ مَنَحَ سَائِلَهُ وَمَنَّ) وَ(مَنْ مَنَعَ نَائِلَهُ وَضَنَّ) وَفِيهَا: (طَعْمُ الْأَلَاءِ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ) وَ(هِيَ أَمَرُّ مِنَ الْأَلَاءِ مَعَ الْمَنِّ).

وَالْأَذَى: أَنْ يَتَطَاوَلَ عَلَيْهِ بِسَبَبِ مَا أَزَالُ إِلَيْهِ.

وَمَعْنَى: ﴿ثُمَّ﴾[1] إِظْهَارُ التَّفَاوُتِ بَيْنَ الْإِنْفَاقِ وَتَرْكِ الْمَنِّ وَالْأَذَى، وَأَنَّ تَرْكَهُمَا خَيْرٌ مِنْ نَفْسِ الْإِنْفَاقِ، كَمَا جَعَلَ الِاسْتِقَامَةَ عَلَى الْإِيمَانِ خَيْرًا مِنَ الدُّخُولِ فِيهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[2].

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾[3]، وَقَوْلِهِ فِيمَا بَعْدُ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾[4]؟

قُلْتُ: الْمَوْصُولُ لَمْ يُضَمَّنْ هَهُنَا مَعْنَى الشَّرْطِ وَضُمِّنَهُ ثَمَّةَ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى أَنَّ الْفَاءَ فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْفَاقَ بِهِ اسْتَحَقَّ الْأَجْرَ، وَطَرْحُهَا عَارٍ عَنْ تِلْكَ الدَّلَالَةِ.

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[5]

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة فُصِّلَتْ، الآية 30.

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾[1]: رَدٌّ جَمِيلٌ "وَمَغْفِرَةٌ": وَعَفْوٌ عَنِ السَّائِلِ إِذَا وُجِدَ مِنْهُ مَا يَثْقُلُ عَلَى الْمَسْؤُولِ، أَوْ وَنَيْلُ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ بِسَبَبِ الرَّدِّ الْجَمِيلِ، أَوْ وَعَفْوٌ مِنْ جِهَةِ السَّائِلِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا رَدَّهُ رَدًّا جَمِيلًا عَذَرَهُ، ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾[2]: وَصَحَّ الْإِخْبَارُ عَنِ الْمُبْتَدَأِ النَّكِرَةِ؛ لِاخْتِصَاصِهِ بِالصِّفَةِ.

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾[3]: لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى مُنْفِقٍ يَمُنُّ وَيُؤْذِي "حَلِيمٌ": عَنْ مُعَاجَلَتِهِ بِالْعُقُوبَةِ، وَهَذَا سُخْطٌ مِنْهُ وَوَعِيدٌ لَهُ.

ثُمَّ بَالَغَ فِي ذَلِكَ بِمَا أَتْبَعَهُ ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ﴾[4]، أَيْ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَإِبْطَالِ الْمُنَافِقِ الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ، ﴿رِئَاءَ النَّاسِ﴾[5]: لَا يُرِيدُ بِإِنْفَاقِهِ رِضَاءَ اللَّهِ وَلَا ثَوَابَ الْآخِرَةِ، ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾[6]: مَثَّلَهُ وَنَفَقَتَهُ –الَّتِي لَا يَنْتَفِعُ بِهَا الْبَتَّةَ– بِصَفْوَانٍ بِحَجَرٍ أَمْلَسَ عَلَيْهِ تُرَابٌ.

وَقَرَأَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: (صَفَوَانٍ) بِوَزْنِ كَرَوَانٍ، ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾[7]: مَطَرٌ عَظِيمُ الْقَطْرِ، ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾[8]: أَجْرَدَ نَقِيًّا مِنَ التُّرَابِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ: صَلَدَ جَبِينُ الْأَصْلَعِ إِذَا بَرَقَ، ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾[9]، كَقَوْلِهِ: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[10].

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْكَافُ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ مُمَاثِلِينَ الَّذِي يُنْفِقُ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قَالَ: ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾[11] بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ﴾[12]؟

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[8] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[9] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[10] سورة الْفُرْقَان، الآية 23.

[11] سورة الْبَقَرَة، الآية .

قُلْتُ: أَرَادَ بِالَّذِي يُنْفِقُ الْجِنْسَ أَوِ الْفَرِيقَ الَّذِي يُنْفِقُ، وَلِأَنَّ "مَنْ" وَ"الَّذِي": يَتَعَاقَبَانِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: كَمَنْ يُنْفِقُ.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]

﴿وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[2]: وَلْيُثَبِّتُوا مِنْهَا بِبَذْلِ الْمَالِ الَّذِي هُوَ شَقِيقُ الرُّوحِ، وَبَذْلُهُ أَشَقُّ شَيْءٍ عَلَى النَّفْسِ عَلَى سَائِرِ الْعِبَادَاتِ الشَّاقَّةِ وَعَلَى الْإِيمَانِ، لِأَنَّ النَّفْسَ إِذَا رِيضَتْ بِالتَّحَامُلِ عَلَيْهَا وَتَكْلِيفِهَا مَا يَصْعُبُ عَلَيْهَا ذَلَّتْ خَاضِعَةً لِصَاحِبِهَا، وَقَلَّ طَمَعُهَا فِي اتِّبَاعِهِ لِشَهَوَاتِهَا، وَبِالْعَكْسِ، فَكَانَ إِنْفَاقُ الْمَالِ تَثْبِيتًا لَهَا عَلَى الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: وَتَصْدِيقًا لِلْإِسْلَامِ، وَتَحْقِيقًا لِلْجَزَاءِ مِنْ أَصْلِ أَنْفُسِهِمْ، لِأَنَّهُ إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلِمَ أَنَّ تَصْدِيقَهُ وَإِيمَانَهُ بِالثَّوَابِ مِنْ أَصْلِ نَفْسِهِ وَمِنْ إِخْلَاصِ قَلْبِهِ.

﴿وَمِنْ﴾[3]: عَلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ لِلتَّبْعِيضِ، مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِمْ: هَزَّ مِنْ عِطْفِهِ، وَحَرَّكَ مِنْ نَشَاطِهِ، وَعَلَى الثَّانِي لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾[4].

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا صَادِقَةُ الْإِيمَانِ مُخْلِصَةٌ فِيهِ، وَتُعَضِّدُهُ قِرَاءَةُ مُجَاهِدٍ: (وَتَبْيِينًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ).

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى التَّبْعِيضِ؟

---

12 سورة الْبَقَرَة، الآية .

1 سورة الْبَقَرَة، الآية .

2 سورة الْبَقَرَة، الآية .

3 سورة الْبَقَرَة، الآية .

4 سورة الْبَقَرَة، الآية 109.

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: أَنَّ مَنْ بَذَلَ مَالَهُ لِوَجْهِ اللَّهِ فَقَدْ ثَبَّتَ بَعْضَ نَفْسِهِ، وَمَنْ بَذَلَ مَالَهُ وَرُوحَهُ مَعًا فَهُوَ الَّذِي ثَبَّتَهَا كُلَّهَا ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾[1].

وَالْمَعْنَى: وَمَثَلُ نَفَقَةِ هَؤُلَاءِ فِي زَكَائِهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾[2]: وَهِيَ الْبُسْتَانُ "بِرَبْوَةٍ": بِمَكَانٍ مُرْتَفِعٍ، وَخَصَّهَا لِأَنَّ الشَّجَرَ فِيهَا أَزْكَى وَأَحْسَنَ ثَمَرًا ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾[3]: مَطَرٌ عَظِيمُ الْقَطْرِ، ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا﴾[4]: ثَمَرَتَهَا، ﴿ضِعْفَيْنِ﴾[5]: مِثْلَيْ مَا كَانَتْ تُثْمِرُ بِسَبَبِ الْوَابِلِ.

﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[6]، فَمَطَرٌ صَغِيرُ الْقَطْرِ يَكْفِيهَا لِكَرَمِ مَنْبَتِهَا، أَوْ مَثَّلَ حَالَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ عَلَى الرَّبْوَةِ، وَنَفَقَتَهُمُ الْكَثِيرَةَ وَالْقَلِيلَةَ بِالْوَابِلِ وَالطَّلِّ، وَكَمَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَطَرَيْنِ يُضْعِفُ أُكُلَ الْجَنَّةِ، فَكَذَلِكَ نَفَقَتُهُمْ كَثِيرَةً كَانَتْ أَوْ قَلِيلَةً –بَعْدَ أَنْ يُطْلَبَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ وَيُبْذَلَ فِيهَا الْوُسْعُ– زَاكِيَةٌ عِنْدَ اللَّهِ، زَائِدَةٌ فِي زُلْفَاهُمْ وَحُسْنِ حَالِهِمْ عِنْدَهُ، وَقُرِئَ: (كَمَثَلِ حَبَّةٍ)، وَ(بِرَبْوَةٍ) –بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ– وَ(أُكُلَهَا) بِضَمَّتَيْنِ.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[7]

الْهَمْزَةُ فِي "أَيَوَدُّ": لِلْإِنْكَارِ، وَقُرِئَ: لَهُ جَنَّاتٌ، وَذُرِّيَّةٌ ضِعَافٌ، وَالْإِعْصَارُ: الرِّيحُ الَّتِي تَسْتَدِيرُ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ تَسْطَعُ نَحْوَ السَّمَاءِ كَالْعَمُودِ، وَهَذَا مَثَلٌ لِمَنْ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ لَا يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَدَهَا مُحْبَطَةً، فَيَتَحَسَّرُ عِنْدَ ذَلِكَ حَسْرَةَ مَنْ

---

[1] سورة الصَّفِّ، الآية 11.

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

كَانَتْ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ أَبْهَى الْجِنَانِ وَأَجْمَعِهَا لِلثِّمَارِ فَبَلَغَ الْكِبَرَ، وَلَهُ أَوْلَادٌ ضِعَافٌ وَالْجَنَّةُ مَعَاشُهُمْ وَمُنْتَعَشُهُمْ، فَهَلَكَتْ بِالصَّاعِقَةِ.

وَعَنْ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ سَأَلَ عَنْهَا الصَّحَابَةَ فَقَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَغَضِبَ وَقَالَ: قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: قُلْ يَا ابْنَ أَخِي وَلَا تُحَقِّرْ نَفْسَكَ. قَالَ: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ، قَالَ: لِأَيِّ عَمَلٍ؟ قَالَ: لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ الْحَسَنَاتِ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ كُلَّهَا.

وَعَنِ الْحَسَنِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: هَذَا مَثَلٌ -قَلَّ وَاللَّهِ- مَنْ يَعْقِلُهُ مِنَ النَّاسِ، شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَعُفَ جِسْمُهُ وَكَثُرَ صِبْيَانُهُ أَفْقَرَ مَا كَانَ إِلَى جَنَّتِهِ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ -وَاللَّهِ- أَفْقَرُ مَا يَكُونُ إِلَى عَمَلِهِ إِذَا انْقَطَعَتْ عَنْهُ الدُّنْيَا.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قَالَ: ﴿جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾[1]، ثُمَّ قَالَ: ﴿لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[2]؟

قُلْتُ: النَّخِيلُ وَالْأَعْنَابُ لَمَّا كَانَا أَكْرَمَ الشَّجَرِ وَأَكْثَرَهَا مَنَافِعَ خَصَّهُمَا بِالذِّكْرِ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مِنْهُمَا -وَإِنْ كَانَتْ مُحْتَوِيَةً عَلَى سَائِرِ الْأَشْجَارِ- تَغْلِيبًا لَهُمَا عَلَى غَيْرِهِمَا، ثُمَّ أَرْدَفَهُمَا ذِكْرَ كُلِّ الثَّمَرَاتِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالثَّمَرَاتِ: الْمَنَافِعَ الَّتِي كَانَتْ تَحْصُلُ لَهُ فِيهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾[3] بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾[4].

فَإِنْ قُلْتَ: عَلَامَ عُطِفَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾[5]؟

قُلْتُ: الْوَاوُ لِلْحَالِ لَا لِلْعَطْفِ، وَمَعْنَاهُ: أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ وَقَدْ أَصَابَهُ الْكِبَرُ، وَقِيلَ: يُقَالُ: وَدِدْتُ أَنْ يَكُونَ كَذَا وَوَدِدْتُ لَوْ كَانَ كَذَا، فَحُمِلَ الْعَطْفُ عَلَى الْمَعْنَى، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ لَوْ كَانَتْ لَهُ جَنَّةٌ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْكَهْف، الآية 34.

[4] سورة الْكَهْف، الآية 32.

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[1]

﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[2]: مِنْ جِيَادِ مَكْسُوبَاتِكُمْ، ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ﴾[3]: مِنَ الْحَبِّ وَالثَّمَرِ وَالْمَعَادِنِ وَغَيْرِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا قِيلَ: وَمَا أَخْرَجْنَا لَكُمْ عَطْفًا عَلَى ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾[4]: حَتَّى يَشْتَمِلَ الطَّيِّبُ عَلَى الْمَكْسُوبِ وَالْمُخْرَجِ مِنَ الْأَرْضِ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: وَمِنْ طَيِّبَاتِ مَا أَخْرَجْنَا لَكُمْ إِلَّا أَنَّهُ حُذِفَ لِذِكْرِ الطَّيِّبَاتِ.

﴿وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾[5]: وَلَا تَقْصِدُوا الْمَالَ الرَّدِيءَ، ﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾[6]: تَخُصُّونَهُ بِالْإِنْفَاقِ، وَهُوَ فِي مَحَلِّ الْحَالِ، وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: (وَلَا تَأَمَّمُوا)، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (وَلَا تُيَمِّمُوا) بِضَمِّ التَّاءِ، وَيَمَّمَهُ وَتَيَمَّمَهُ وَتَأَمَّمَهُ سَوَاءٌ فِي مَعْنَى قَصَدَهُ .

﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾[7]: وَحَالُكُمْ أَنَّكُمْ لَا تَأْخُذُونَهُ فِي حُقُوقِكُمْ، ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾[8]: إِلَّا بِأَنْ تَتَسَامَحُوا فِي أَخْذِهِ وَتَتَرَخَّصُوا فِيهِ مِنْ قَوْلِكَ: أَغْمَضَ فُلَانٌ عَنْ بَعْضِ حَقِّهِ، إِذَا غَضَّ بَصَرَهُ، وَيُقَالُ لِلْبَائِعِ: أَغْمِضْ، أَيْ: لَا تَسْتَقْصِ، كَأَنَّكَ لَا تُبْصِرُ.

وَقَالَ الطِّرِمَّاحُ:

لَمْ يَفْتُنَا بِالْوِتْرِ قَوْمٌ وَلِلضَّيْـ ـمِ رِجَالٌ يَرْضَوْنَ بِالْإِغْمَاضِ

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
8 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَقَرَأَ الزُّهْرِيُّ: (تَغْمُضُوا) وَأَغْمَضَ وَغَمَضَ بِمَعْنًى، وَعَنْهُ: (تَغْمُضُوا) بِضَمِّ الْمِيمِ وَكَسْرِهَا، مَنْ غَمَضَ يَغْمُضُ وَيَغْمِضُ.

وَقَرَأَ قَتَادَةُ: (تُغْمَضُوا)، عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، بِمَعْنَى إِلَّا أَنْ تُدْخَلُوا فِيهِ وَتُجْذَبُوا إِلَيْهِ، وَقِيلَ: إِلَّا أَنْ تُوجَدُوا مُغْمَضِينَ.

وَعَنِ الْحَسَنِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لَوْ وَجَدْتُمُوهُ فِي السُّوقِ يُبَاعُ مَا أَخَذْتُمُوهُ حَتَّى يُهْضَمَ لَكُمْ مِنْ ثَمَنِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: كَانُوا يَتَصَدَّقُونَ بِحَشَفِ التَّمْرِ وَشِرَارِهِ، فَنُهُوا عَنْهُ.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]

أَيْ: يَعِدُكُمْ فِي الْإِنْفَاقِ ﴿الْفَقْرَ﴾[2] وَيَقُولُ لَكُمْ إِنَّ عَاقِبَةَ إِنْفَاقِكُمْ أَنْ تَفْتَقِرُوا، وَقُرِئَ: (الْفُقْرَ) بِالضَّمِّ (وَالْفُقْرَ) بِفَتْحَتَيْنِ، وَالْوَعْدُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[3]، ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾[4]: وَيُغْرِيكُمْ عَلَى الْبُخْلِ وَمَنْعِ الصَّدَقَاتِ إِغْرَاءَ الْآمِرِ لِلْمَأْمُورِ، وَالْفَاحِشُ عِنْدَ الْعَرَبِ: الْبَخِيلُ، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ﴾[5]: فِي الْإِنْفَاقِ، ﴿مَغْفِرَةً﴾[6] لِذُنُوبِكُمْ وَكَفَّارَةً لَهَا، ﴿وَفَضْلًا﴾[7]: وَأَنْ يُخْلِفَ عَلَيْكُمْ أَفْضَلَ مِمَّا أَنْفَقْتُمْ، أَوْ ثَوَابًا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية 72.

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1]

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾[2]: يُوَفِّقُ لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالْحَكِيمُ عِنْدَ اللَّهِ: هُوَ الْعَالِمُ الْعَامِلُ، وَقُرِئَ: (وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ)، بِمَعْنَى: وَمَنْ يُؤْتِهِ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، وَهَكَذَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ؛ و﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾[3]: تَنْكِيرُ تَعْظِيمٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَقَدْ أُوتِيَ أَيَّ خَيْرٍ كَثِيرٍ.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ﴾[4]، يُرِيدُ: الْحُكَمَاءُ الْعُلَّامُ الْعُمَّالُ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْحَثُّ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا تَضَمَّنَتِ الْآيُ فِي مَعْنَى الْإِنْفَاقِ.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[5]

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾[6]: فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ، ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾[7] فِي طَاعَةِ اللَّهِ، أَوْ فِي مَعْصِيَتِهِ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾[8]: لَا يَخْفَى عَلَيْهِ وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
8 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾[1] الَّذِينَ يَمْنَعُونَ الصَّدَقَاتِ أَوْ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي الْمَعَاصِي، أَوْ لَا يَفُونَ بِالنُّذُورِ، أَوْ يُنْذِرُونَ فِي الْمَعَاصِي، ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾[2]: مِمَّنْ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللَّهِ وَيَمْنَعُهُمْ مِنْ عِقَابِهِ.

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3]

"مَا" فِي "نِعِمَّا": نَكِرَةٌ غَيْرُ مَوْصُولَةٍ وَلَا مَوْصُوفَةٍ، وَمَعْنَى، ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾[4]: فَنِعْمَ شَيْئًا إِبْدَاؤُهَا، وَقُرِئَ بِكَسْرِ النُّونِ وَفَتْحِهَا.

﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ﴾[5]: وَتُصِيبُوا بِهَا مَصَارِفَهَا مَعَ الْإِخْفَاءِ، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[6]: فَالْإِخْفَاءُ خَيْرٌ لَكُمْ، وَالْمُرَادُ الصَّدَقَاتُ الْمُتَطَوَّعُ بِهَا، فَإِنَّ الْأَفْضَلَ فِي الْفَرَائِضِ أَنْ يُجَاهَرَ بِهَا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: "صَدَقَاتُ السِّرِّ فِي التَّطَوُّعِ تَفْضُلُ عَلَانِيَتَهَا سَبْعِينَ ضِعْفًا، وَصَدَقَةُ الْفَرِيضَةِ عَلَانِيَتُهَا أَفْضَلُ مِنْ سِرِّهَا بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ ضِعْفًا" وَإِنَّمَا كَانَتِ الْمُجَاهَرَةُ بِالْفَرَائِضِ أَفْضَلَ؛ لِنَفْيِ التُّهْمَةِ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْمُزَكِّي مِمَّنْ لَا يُعْرَفُ بِالْيَسَارِ كَانَ إِخْفَاؤُهُ أَفْضَلَ، وَالْمُتَطَوِّعُ إِنْ أَرَادَ أَنْ يُقْتَدَى بِهِ كَانَ إِظْهَارُهُ أَفْضَلَ.

"نُكَفِّرُ" وَقُرِئَ بِالنُّونِ مَرْفُوعًا عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ مَا بَعْدَ الْفَاءِ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: وَنَحْنُ نُكَفِّرُ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ جُمْلَةٌ مِنْ فِعْلٍ وَفَاعِلٍ مُبْتَدَأَةٌ، وَمَجْزُومًا عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ الْفَاءِ وَمَا بَعْدَهُ؛ لِأَنَّهُ جَوَابُ الشَّرْطِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَقُرِئَ: (وَيُكَفِّرُ) بِالْيَاءِ مَرْفُوعًا، وَالْفِعْلُ لِلَّهِ أَوْ لِلْإِخْفَاءِ، وَتُكَفَّرُ بِالتَّاءِ مَرْفُوعًا وَمَجْزُومًا، وَالْفِعْلُ لِلصَّدَقَاتِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – بِالْيَاءِ وَالنُّصْبِ بِإِضْمَارِ أَنْ وَمَعْنَاهُ: إِنْ تُخْفُوهَا يَكُنْ خَيْرًا لَكُمْ، وَأَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1]

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾[2]: لَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَهُمْ مَهْدِيِّينَ إِلَى الِانْتِهَاءِ عَمَّا نُهُوا عَنْهُ مِنَ الْمَنِّ وَالْأَذَى وَالْإِنْفَاقِ مِنَ الْخَبِيثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُبَلِّغَهُمُ النَّوَاهِيَ فَحَسْبُ، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[3]: يَلْطُفُ بِمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللُّطْفَ يَنْفَعُ فِيهِ فَيَنْتَهِي عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾[4]: مِنْ مَالٍ، ﴿فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾[5]: فَهُوَ لِأَنْفُسِكُمْ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُكُمْ فَلَا تَمُنُّوا بِهِ عَلَى النَّاسِ وَلَا تُؤْذُوهُمْ بِالتَّطَاوُلِ عَلَيْهِمْ.

﴿وَمَا تُنْفِقُونَ﴾[6]: وَلَيْسَتْ نَفَقَتُكُمْ إِلَّا لِابْتِغَاءِ وَجْهِ اللَّهِ وَلِطَلَبِ مَا عِنْدَهُ، فَمَا بَالُكُمْ تَمُنُّونَ بِهَا وَتُنْفِقُونَ الْخَبِيثَ الَّذِي لَا يُوَجَّهُ مِثْلُهُ إِلَى اللَّهِ؟!

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾[7]: ثَوَابُهُ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، فَلَا عُذْرَ لَكُمْ فِي أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ إِنْفَاقِهِ، وَأَنْ يَكُونَ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَجْمَلِهَا.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَقِيلَ: حَجَّتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، فَأَتَتْهَا أُمُّهَا تَسْأَلُهَا، وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَأَبَتْ أَنْ تُعْطِيَهَا، فَنَزَلَتْ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: كَانُوا يَتَّقُونَ أَنْ يَرْضَخُوا لِقَرَابَاتِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

وَرُوِيَ: أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ لَهُمْ أَصْهَارٌ فِي الْيَهُودِ وَرَضَاعٌ وَقَدْ كَانُوا يُنْفِقُونَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا كَرِهُوا أَنْ يُنْفِقُوهُمْ، وَعَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ: لَوْ كَانَ شَرَّ خَلْقِ اللَّهِ لَكَانَ لَكَ ثَوَابُ نَفَقَتِكَ .

وَاخْتُلِفَ فِي الْوَاجِبِ، فَجَوَّزَ أَبُو حَنِيفَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– صَرْفَ صَدَقَةِ الْفِطْرِ إِلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَأَبَاهُ غَيْرُهُ.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[1]

الْجَارُّ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، وَالْمَعْنَى: اعْمَدُوا لِلْفُقَرَاءِ، وَاجْعَلُوا مَا تُنْفِقُونَ لِلْفُقَرَاءِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾[2]؛]النَّمْلِ: 12] وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرَ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: صَدَقَاتُكُمْ لِلْفُقَرَاءِ.

وَ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[3]: هُمُ الَّذِينَ أَحْصَرَهُمُ الْجِهَادُ، ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ﴾[4]، لِاشْتِغَالِهِمْ بِهِ، ﴿ضَرْبًا فِي الأَرْضِ﴾[5]: لِلْكَسْبِ، وَقِيلَ: هُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ، وَهُمْ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ مُهَاجِرِي قُرَيْشٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَسَاكِنُ فِي الْمَدِينَةِ وَلَا عَشَائِرُ، فَكَانُوا فِي صُفَّةِ الْمَسْجِدِ –وَهِيَ سَقِيفَتُهُ– يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ بِاللَّيْلِ، وَيَرْضَخُونَ النَّوَى

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة النَّمْلِ، الآية 12.

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

بِالنَّهَارِ، وَكَانُوا يَخْرُجُونَ فِي كُلِّ سَرِيَّةٍ بَعَثَهَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ أَتَاهُمْ بِهِ إِذَا أَمْسَى.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَوْمًا عَلَى أَصْحَابِ الصُّفَّةِ، فَرَأَى فَقْرَهُمْ وَجُهْدَهُمْ وَطِيبَ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ: "أَبْشِرُوا يَا أَصْحَابَ الصُّفَّةِ، فَمَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى النَّعْتِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ رَاضِيًا بِمَا فِيهِ فَإِنَّهُ مِنْ رُفَقَائِي فِي الْجَنَّةِ".

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾[1]، بِحَالِهِمْ، ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾[2]: مُسْتَغْنِينَ مِنْ أَجْلِ تَعَفُّفِهِمْ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾[3]: مِنْ صُفْرَةِ الْوَجْهِ وَرَثَاثَةِ الْحَالِ، وَالْإِلْحَافُ: الْإِلْحَاحُ، وَهُوَ اللُّزُومُ وَأَنْ لَا يُفَارِقَ إِلَّا بِشَيْءٍ يُعْطَاهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: لَحَفَنِي مِنْ فَضْلِ لِحَافِهِ، أَيْ: أَعْطَانِي مِنْ فَضْلِ مَا عِنْدَهُ .

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– يُحِبُّ الْحَيِيَّ الْحَلِيمَ الْمُتَعَفِّفَ، وَيُبْغِضُ الْبَذِيَّ السَّئَّالَ الْمُلْحِفَ"، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ إِنْ سَأَلُوا سَأَلُوا بِتَلَطُّفٍ وَلَمْ يُلِحُّوا، وَقِيلَ: هُوَ نَفْيٌ لِلسُّؤَالِ وَالْإِلْحَافِ جَمِيعًا كَقَوْلِهِ:

عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَـــــارِهِ

يُرِيدُ نَفْيَ الْمَنَارَ وَالِاهْتِدَاءَ بِهِ.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4]

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً﴾[1]: يَعُمُّونَ الْأَوْقَاتِ وَالْأَحْوَالَ بِالصَّدَقَةِ لِحِرْصِهِمْ عَلَى الْخَيْرِ، فَكُلَّمَا نَزَلَتْ بِهِمْ حَاجَةُ مُحْتَاجٍ عَجَّلُوا قَضَاءَهَا، وَلَمْ يُؤَخِّرُوهُ وَلَمْ يَتَعَلَّلُوا بِوَقْتٍ وَلَا حَالٍ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- حِينَ تَصَدَّقَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، عِشْرَةٍ بِاللَّيْلِ، وَعَشْرَةٍ بِالنَّهَارِ، وَعَشْرَةٍ فِي السِّرِّ، وَعَشْرَةٍ فِي الْعَلَانِيَةِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لَمْ يَمْلِكْ إِلَّا أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ، فَتَصَدَّقَ بِدِرْهَمٍ لَيْلًا، وَبِدِرْهَمٍ نَهَارًا، وَبِدِرْهَمٍ سِرًّا، وَبِدِرْهَمٍ عَلَانِيَةً.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي عَلْفِ الْخَيْلِ وَارْتِبَاطِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، كَانَ إِذَا مَرَّ بِفَرَسٍ سَمِينٍ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[2]

﴿الرِّبَا﴾[3]: كُتِبَ بِالْوَاوِ عَلَى لُغَةِ مَنْ يُفَخِّمُ كَمَا كُتِبَتِ الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَزِيدَتِ الْأَلِفُ بَعْدَهَا تَشْبِيهًا بِوَاوِ الْجَمْعِ، ﴿لا يَقُومُونَ﴾[4]: إِذَا بُعِثُوا مِنْ قُبُورِهِمْ، ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾[5]، أَيِ: الْمَصْرُوعُ، وَتَخَبُّطُ الشَّيْطَانِ مِنْ زَعَمَاتِ الْعَرَبِ، يَزْعُمُونَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخْبِطُ الْإِنْسَانَ فَيُصْرَعُ، وَالْخَبْطُ الضَّرْبُ عَلَى غَيْرِ اسْتِوَاءٍ كَخَبْطِ الْعَشْوَاءِ، فَوَرَدَ عَلَى مَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ، وَالْمَسُّ: الْجُنُونُ، وَرَجُلٌ مَمْسُوسٌ، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ زَعَمَاتِهِمْ؛

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَأَنَّ الْجِنِّيَّ يَمَسُّهُ فَيَخْتَلِطُ عَقْلُهُ، وَكَذَلِكَ جُنَّ الرَّجُلُ مَعْنَاهُ: ضَرَبَتْهُ الْجِنُّ، وَرَأَيْتُهُمْ لَهُمْ فِي الْجِنِّ قِصَصٌ وَأَخْبَارٌ وَعَجَائِبُ، وَإِنْكَارُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ كَإِنْكَارِ الْمُشَاهَدَاتِ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ يَتَعَلَّقُ قَوْلُهُ: ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾[1]؟

قُلْتُ: بِـ ﴿لَا يَقُومُونَ﴾[2]، أَيْ: لَا يَقُومُونَ مِنَ الْمَسِّ الَّذِي بِهِمْ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الْمَصْرُوعُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِـ ﴿يَقُومُ﴾[3]، أَيْ: كَمَا يَقُومُ الْمَصْرُوعُ مِنْ جُنُونِهِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَقُومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُخَبَّلِينَ كَالْمَصْرُوعِينَ، تِلْكَ سِيمَاهُمْ يُعْرَفُونَ بِهَا عِنْدَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ.

وَقِيلَ: الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ يُوفِضُونَ، إِلَّا أَكَلَةُ الرِّبَا فَإِنَّهُمْ يَنْهَضُونَ وَيَسْقُطُونَ كَالْمَصْرُوعِينَ؛ لِأَنَّهُمْ أَكَلُوا الرِّبَا فَأَرْبَاهُ اللَّهُ فِي بُطُونِهِمْ حَتَّى أَثْقَلَهُمْ، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْإِيفَاضِ، ﴿ذَلِكَ﴾[4]: الْعِقَابُ بِسَبَبِ قَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾[5].

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: إِنَّمَا الرِّبَا مِثْلُ الْبَيْعِ، لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي الرِّبَا لَا فِي الْبَيْعِ فَوَجَبَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمْ شَبَّهُوا الرِّبَا بِالْبَيْعِ فَاسْتَحَلُّوهُ، وَكَانَتْ شُبْهَتُهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: لَوِ اشْتَرَى الرَّجُلُ مَا لَا يُسَاوِي إِلَّا دِرْهَمًا بِدِرْهَمَيْنِ جَازَ، فَكَذَلِكَ إِذَا بَاعَ دِرْهَمًا بِدِرْهَمَيْنِ؟

قُلْتُ: جِيءَ بِهِ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ، وَهُوَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مِنِ اعْتِقَادِهِمْ فِي حِلِّ الرِّبَا أَنَّهُمْ جَعَلُوهُ أَصْلًا وَقَانُونًا فِي الْحِلِّ حَتَّى شَبَّهُوا بِهِ الْبَيْعَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[6]: إِنْكَارٌ لِتَسْوِيَتِهِمْ بَيْنَهُمَا، وَدَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْقِيَاسَ يَهْدِمُهُ النَّصُّ، لِأَنَّهُ جَعَلَ الدَّلِيلَ عَلَى بُطْلَانِ قِيَاسِهِمْ إِحْلَالَ اللَّهِ وَتَحْرِيمَهُ.

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

6 سورة الْبَقَرَةِ ، الآية .

﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾[1]: فَمَنْ بَلَغَهُ وَعْظٌ مِنَ اللَّهِ وَزَجْرٌ بِالنَّهْيِ عَنِ الرِّبَا، ﴿فَانْتَهَى﴾[2]: فَتَبِعَ النَّهْيَ وَامْتَنَعَ، ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾[3]: فَلَا يُؤْخَذُ بِمَا مَضَى مِنْهُ، لِأَنَّهُ أَخَذَ قَبْلَ نُزُولِ التَّحْرِيمِ، ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾[4]: يَحْكُمُ فِي شَأْنِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ مِنْ أَمْرِهِ إِلَيْكُمْ شَيْءٌ، فَلَا تُطَالِبُوهُ بِهِ.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾[5]: إِلَى الرِّبَا، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[6]: وَهَذَا دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى تَخْلِيدِ الْفُسَّاقِ، وَذُكِّرَ فِعْلُ الْمَوْعِظَةِ لِأَنَّ تَأْنِيثَهَا غَيْرُ حَقِيقِيٍّ، وَلِأَنَّهَا فِي مَعْنَى الْوَعْظِ.

وَقَرَأَ أُبَيٌّ وَالْحَسَنُ: (فَمَنْ جَاءَتْهُ).

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾[7]: يَذْهَبُ بِبَرَكَتِهِ وَيُهْلِكُ الْمَالَ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ إِلَى قِلٍّ، ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[8]: مَا يُتَصَدَّقُ بِهِ بِأَنْ يُضَاعِفَ عَلَيْهِ الثَّوَابَ وَيَزِيدَ الْمَالَ الَّذِي أُخْرِجَتْ مِنْهُ الصَّدَقَةُ وَيُبَارِكَ فِيهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: "مَا نَقَصَتْ زَكَاةٌ مِنْ مَالٍ قَطُّ".

﴿كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[9]: تَغْلِيظٌ فِي أَمْرِ الرِّبَا وَإِيذَانٌ بِأَنَّهُ مِنْ فِعْلِ الْكُفَّارِ لَا مَنْ فِعْلِ الْمُسْلِمِينَ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا

---

1 سورة الْبَقَرَة، الآية .
2 سورة الْبَقَرَة، الآية .
3 سورة الْبَقَرَة، الآية .
4 سورة الْبَقَرَة، الآية .
5 سورة الْبَقَرَة، الآية .
6 سورة الْبَقَرَة، الآية .
7 سورة الْبَقَرَة، الآية .
8 سورة الْبَقَرَة، الآية .
9 سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[1]

أَخَذُوا مَا شَرَطُوا عَلَى النَّاسِ مِنَ الرِّبَا وَبَقِيَتْ لَهُمْ بَقَايَا، فَأُمِرُوا أَنْ يَتْرُكُوهَا وَلَا يُطَالِبُوا بِهَا.

رُوِيَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي ثَقِيفٍ، وَكَانَ لَهُمْ عَلَى قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَالٌ، فَطَالَبُوهُمْ عِنْدَ الْمَحَلِّ بِالْمَالِ وَالرِّبَا.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: (مَا بَقَى) بِقَلْبِ الْيَاءِ أَلِفًا عَلَى لُغَةِ طَيِّءٍ، وَعَنْهُ: (مَا بَقِي) بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ.

وَمِنْهُ قَوْلُ جَرِيرٍ:

هُوَ الْخَلِيفَةُ فَارْضَوْا مَا رَضِي لَكُمُ مَاضِي الْعَزِيمَةِ مَا فِي حُكْمِهِ جَنَفُ

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]: إِنْ صَحَّ إِيمَانُكُمْ، يَعْنِي: أَنَّ دَلِيلَ صِحَّةِ الْإِيمَانِ وَثَبَاتِهِ امْتِثَالُ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ، ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ﴾[3]: فَاعْلَمُوا بِهَا، مِنْ أَذِنَ بِالشَّيْءِ إِذَا عَلِمَ بِهِ، وَقُرِئَ: (فَآذِنُوا)، فَأَعْلِمُوا بِهَا غَيْرَكُمْ، وَهُوَ مِنَ الْإِذْنِ وَهُوَ الِاسْتِمَاعُ، لِأَنَّهُ مِنْ طُرُقِ الْعِلْمِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: (فَأَيْقِنُوا)، وَهُوَ دَلِيلٌ لِقِرَاءَةِ الْعَامَّةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ بِحَرْبِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟

قُلْتُ: كَانَ هَذَا أَبْلَغَ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: فَأْذَنُوا بِنَوْعٍ مِنَ الْحَرْبِ عَظِيمٍ [مِنْ] عِنْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَرُوِيَ أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ قَالَتْ ثَقِيفٌ: لَا يَدَيْ لَنَا بِحَرْبِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾[4] مِنَ الِارْتِبَاءِ، ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ﴾[5]: الْمَدْيُونِينَ بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

عَلَيْهَا، ﴿وَلا تُظْلَمُونَ﴾[1]: بِالنُّقْصَانِ مِنْهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: هَذَا حُكْمُهُمْ إِنْ تَابُوا، فَمَا حُكْمُهُمْ لَوْ لَمْ يَتُوبُوا؟

قُلْتُ: قَالُوا: يَكُونُ مَالُهُمْ فَيْئًا لِلْمُسْلِمِينَ، وَرَوَى الْمُفَضَّلُ عَنْ عَاصِمٍ: (لَا تُظْلَمُونَ وَلَا تَظْلِمُونَ).

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾[2]: وَإِنْ وَقَعَ غَرِيمٌ مِنْ غُرَمَائِكُمْ ذُو عُسْرَةٍ أَوْ ذُو إِعْسَارٍ.

وَقَرَأَ عُثْمَانُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: (ذَا عُسْرَةٍ) عَلَى (وَإِنْ كَانَ الْغَرِيمُ ذَا عُسْرَةٍ)، وَقُرِئَ: (وَمَنْ كَانَ ذَا عُسْرَةٍ).

﴿فَنَظِرَةٌ﴾[3]، أَيْ: فَالْحُكْمُ أَوْ فَالْأَمْرُ نَظِرَةٌ وَهِيَ الْإِنْظَارُ، وَقُرِئَ: (فَنَظْرَةٌ) بِسُكُونِ الظَّاءِ.

وَقَرَأَ عَطَاءٌ: (فَنَاظِرُهُ) بِمَعْنَى فَصَاحِبُ الْحَقِّ نَاظِرُهُ، أَيْ: مُنْتَظِرُهُ، أَوْ صَاحِبُ نَظْرَتِهِ عَلَى طَرِيقَةِ النَّسَبِ كَقَوْلِهِمْ: مَكَانٌ عَاشِبٌ وَبَاقِلٌ، أَيْ: ذُو عُشْبٍ وَذُو بَقْلٍ، وَعَنْهُ: (فَنَاظِرْهُ) عَلَى الْأَمْرِ بِمَعْنَى فَسَامِحْهُ بِالنَّظِرَةِ وَيَاسِرْهُ بِهَا.

﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾[4]: إِلَى يَسَارٍ، وَقُرِئَ: بِضَمِّ السِّينِ، كَمَقْبَرَةٍ وَمَقْبُرَةٍ وَمَشْرَقَةٍ وَمَشْرُقَةٍ، وَقُرِئَ بِهِمَا مُضَافَيْنِ بِحَذْفِ التَّاءِ عِنْدَ الْإِضَافَةِ كَقَوْلِهِ:

وَأَخْلَفُوكَ عِدَ الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا

وَقَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَإِقَامِ الصَّلاةِ﴾[5].

﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾[6]: نَدْبٌ إِلَى أَنْ يَتَصَدَّقُوا بِرُءُوسِ أَمْوَالِهِمْ عَلَى مَنْ أُعْسِرَ مِنْ غُرَمَائِهِمْ أَوْ بِبَعْضِهَا، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[7].

---

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة النُّورِ، الآية 37.

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية 237.

وَقِيلَ: أُرِيدَ بِالتَّصَدُّقِ الْإِنْظَارُ لِقَوْلِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لَا يَحِلُّ دَيْنُ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فَيُؤَخِّرُهُ إِلَّا كَانَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]: أَنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ فَتَعْمَلُوا بِهِ، جُعِلَ مَنْ لَا يَعْمَلُ بِهِ -وَإِنْ عَلِمَهُ- كَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ، وَقُرِئَ: (تَصَدَّقُوا) بِتَخْفِيفِ الصَّادِ عَلَى حَذْفِ التَّاءِ.

﴿تُرْجَعُونَ﴾[2]: قُرِئَ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ، وَقُرِئَ: (يُرْجَعُونَ) بِالْيَاءِ عَلَى طَرِيقَةِ الِالْتِفَاتِ، وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: (تُرَدُّونَ)، وَقَرَأَ أُبَيٌّ: (تَصِيرُونَ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهَا آخِرُ آيَةٍ نَزَلَ بِهَا جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَقَالَ: ضَعْهَا فِي رَأْسِ الْمِائَتَيْنِ وَالثَّمَانِينَ مِنَ الْبَقَرَةِ، وَعَاشَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعْدَهَا أَحَدًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَقِيلَ: أَحَدًا وَثَمَانِينَ، وَقِيلَ: سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَقِيلَ: ثَلَاثَ سَاعَاتٍ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلا تَرْتَابُوا إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[3]

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾[1]: إِذَا دَايَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. يُقَالُ: دَايَنْتُ الرَّجُلَ إِذَا عَامَلْتَهُ ﴿بِدَيْنٍ﴾[2]: مُعْطِيًا أَوْ آخِذًا كَمَا تَقُولُ: بَايَعْتُهُ إِذَا بِعْتَهُ أَوْ بَاعَكَ.

قَالَ رُؤْبَةُ:

دَايَنْتُ أَرْوَى وَالدُّيُونُ تُقْضَى فَمَطَلَتْ بَعْضًا وَأَدَّتْ بَعْضَا

وَالْمَعْنَى: إِذَا تَعَامَلْتُمْ بِدَيْنٍ مُؤَجَّلٍ فَاكْتُبُوهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: إِذَا تَدَايَنْتُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، وَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَى ذِكْرِ "الدَّيْنِ" كَمَا قَالَ: دَايَنْتُ أَرْوَى، وَلَمْ يَقُلْ: بِدَيْنٍ؟

قُلْتُ: ذُكِرَ لِيَرْجِعَ الضَّمِيرُ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾[3]: إِذْ لَوْ لَمْ يُذْكَرْ لَوَجَبَ أَنْ يُقَالَ: فَاكْتُبُوا الدَّيْنَ، فَلَمْ يَكُنِ النَّظْمُ –بِذَلِكَ– الْحَسَنَ، وَلِأَنَّهُ أَبْيَنُ لِتَنْوِيعِ الدَّيْنِ إِلَى مُؤَجَّلٍ وَحَالٍّ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ: ﴿مُسَمًّى﴾[4]؟

قُلْتُ: لِيُعْلَمَ أَنَّ مِنْ حَقِّ الْأَجَلِ أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا كَالتَّوْقِيتِ بِالسَّنَةِ وَالْأَشْهُرِ وَالْأَيَّامَ، وَلَوْ قَالَ: إِلَى الْحَصَادِ، أَوِ الدِّيَاسِ، أَوْ رُجُوعِ الْحَاجِّ، لَمْ يَجُزْ لِعَدَمِ التَّسْمِيَةِ، وَإِنَّمَا أُمِرَ بِكَتْبَةِ الدَّيْنِ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَوْثَقُ وَآمَنُ مِنَ النِّسْيَانِ وَأَبْعَدُ مِنَ الْجُحُودِ، وَالْأَمْرُ لِلنَّدْبِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ السَّلَمُ، وَقَالَ: لَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ الرِّبَا أَبَاحَ السَّلَفَ، وَعَنْهُ: أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ أَبَاحَ السَّلَمَ الْمَضْمُونَ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ فِي كِتَابِهِ وَأَنْزَلَ فِيهِ أَطْوَلَ آيَةٍ ﴿بِالْعَدْلِ﴾[5]: مُتَعَلِّقٌ بِـ ﴿كَاتِبٌ﴾[6] صِفَةٌ لَهُ، أَيْ: كَاتِبٌ مَأْمُونٌ عَلَى مَا يَكْتُبُ، يَكْتُبُ بِالسَّوِيَّةِ وَالِاحْتِيَاطِ، لَا يَزِيدُ عَلَى مَا يَجِبُ أَنْ يُكْتَبَ وَلَا يَنْقُصَ.

---

1 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَفِيهِ: أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ فَقِيهًا عَالِمًا بِالشُّرُوطِ حَتَّى يَجِيءَ مَكْتُوبُهُ مُعَدَّلًا بِالشَّرْعِ، وَهُوَ أَمْرٌ لِلْمُتَدَايِنِينَ بِتَخَيُّرِ الْكَاتِبِ، وَأَنْ لَا يَسْتَكْتِبُوا إِلَّا فَقِيهًا دَيِّنًا.

﴿وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾[1]: وَلَا يَمْتَنِعُ أَحَدٌ مِنَ الْكُتَّابِ، وَهُوَ مَعْنَى تَنْكِيرِ ﴿كَاتِبٌ﴾[2]، ﴿أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾[3]: مِثْلَ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ كِتَابَةَ الْوَثَائِقِ لَا يُبَدِّلُ وَلَا يُغَيِّرُ، وَقِيلَ: هُوَ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[4]، أَيْ: يَنْفَعُ النَّاسَ بِكِتَابَتِهِ كَمَا نَفَعَهُ اللَّهُ بِتَعْلِيمِهَا.

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ: هِيَ فَرْضُ كِفَايَةٍ، وَ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾[5] يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِـ ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾[6]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾[7].

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الْوَجْهَيْنِ؟

قُلْتُ: إِنْ عَلَّقْتَهُ بِـ ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾[8]، فَقَدْ نُهِيَ عَنِ الِامْتِنَاعِ مِنَ الْكِتَابَةِ الْمُقَيَّدَةِ، ثُمَّ قِيلَ لَهُ: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾[9]، يَعْنِي: فَلْيَكْتُبْ تِلْكَ الْكِتَابَةَ لَا يَعْدِلُ عَنْهَا لِلتَّوْكِيدِ.

وَإِنْ عَلَّقْتَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾[10]، فَقَدْ نُهِيَ عَنِ الِامْتِنَاعِ مِنَ الْكِتَابَةِ عَلَى سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ، ثُمَّ أُمِرَ بِهَا مُقَيَّدَةً.

﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾[11]: وَلَا يَكُنِ الْمُمْلِي إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْحَقُّ، لِأَنَّهُ هُوَ الْمَشْهُودُ عَلَى ثَبَاتِهِ فِي ذِمَّتِهِ وَإِقْرَارِهِ بِهِ، وَالْإِمْلَاءُ وَالْإِمْلَالُ لُغَتَانِ قَدْ نَطَقَ بِهِمَا

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْقَصَصِ، الآية 77.

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[8] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[9] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[10] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[11] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

الْقُرْآنُ، ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ﴾[1]، ﴿وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾[2]: مِنَ الْحَقِّ ﴿شَيْئًا﴾[3]، وَالْبَخْسُ: النَّقْصُ، وَقُرِئَ: (شَيًا) بِطَرْحِ الْهَمْزَةِ، (وَشَيًّا) بِالتَّشْدِيدِ.

﴿سَفِيهًا﴾[4]: مَحْجُورًا عَلَيْهِ لِتَبْذِيرِهِ وَجَهْلِهِ بِالتَّصَرُّفِ، ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾[5]: صَبِيًّا أَوْ شَيْخًا مُخْتَلًّا ﴿أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾[6]: أَوْ غَيْرُ مُسْتَطِيعٍ لِلْإِمْلَاءِ بِنَفْسِهِ لِعِيٍّ بِهِ أَوْ خَرَسٍ، ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾[7]: الَّذِي يَلِي أَمْرَهُ مِنْ وَصِيٍّ إِنْ كَانَ سَفِيهًا أَوْ صَبِيًّا، أَوْ وَكِيلٍ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُسْتَطِيعٍ، أَوْ تُرْجُمَانٍ يُمِلُّ عَنْهُ وَهُوَ يُصَدِّقُهُ.

وَقَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾[8]: فِيهِ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَطِيعٍ بِنَفْسِهِ وَلَكِنْ بِغَيْرِهِ، وَهُوَ الَّذِي يُتَرْجِمُ عَنْهُ.

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾[9]: وَاطْلُبُوا أَنْ يَشْهَدَ لَكُمْ شَهِيدَانِ عَلَى الدَّيْنِ، ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾[10]: مِنْ رِجَالِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْحَرِيَّةُ وَالْبُلُوغُ شَرْطٌ مَعَ الْإِسْلَامِ عِنْدَ عَامَّةِ الْعُلَمَاءِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ الْعَبْدِ فِي شَيْءٍ، وَعِنْدَ شُرَيْحٍ وَابْنِ سِيرِينَ وَعُثْمَانَ الْبَتِّيِّ أَنَّهَا جَائِزَةٌ.

وَيَجُوزُ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ شَهَادَةُ الْكُفَّارِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ عَلَى اخْتِلَافِ الْمِلَلِ.

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾[11]: فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الشَّهِيدَانِ ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾[12]، فَلْيَشْهَدْ رَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ، وَشَهَادَةُ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ مَقْبُولَةٌ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ فِيمَا عَدَا الْحُدُودَ

---

1 سورة الْفُرْقَانِ، الآية 5.
2 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
3 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
4 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
5 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
6 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
7 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
8 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
9 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
10 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
11 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
12 سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَالْقِصَاصَ ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ﴾[1]: مِمَّنْ تَعْرِفُونَ عَدَالَتَهُمْ، ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾[2]: أَنْ لَا تَهْتَدِيَ إِحْدَاهُمَا لِلشَّهَادَةِ بِأَنْ تَنْسَاهَا، مِنْ ضَلَّ الطَّرِيقَ إِذَا لَمْ يَهْتَدِ لَهُ، وَانْتِصَابُهُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، أَيْ: إِرَادَةَ أَنْ تَضِلَّ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَكُونُ ضَلَالُهَا مُرَادًا لِلَّهِ –تَعَالَى–؟

قُلْتُ: لَمَّا كَانَ الضَّلَالُ سَبَبًا لِلْإِذْكَارِ، وَالْإِذْكَارُ مُسَبَّبًا عَنْهُ، وَهُمْ يُنْزِلُونَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبَبِ وَالْمُسَبَّبِ مَنْزِلَةَ الْآخَرِ –لِالْتِبَاسِهِمَا وَاتِّصَالِهِمَا– كَانَتْ إِرَادَةُ الضَّلَالِ الْمُسَبَّبِ عَنْهُ الْإِذْكَارُ إِرَادَةً لِلْإِذْكَارِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: إِرَادَةَ أَنْ تُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى إِنْ ضَلَّتْ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُمْ: أَعْدَدْتُ الْخَشَبَةَ أَنْ يَمِيلَ الْحَائِطُ فَأُدَعِّمَهُ، وَأَعْدَدْتُ السِّلَاحَ أَنْ يَجِيءَ عَدُوٌّ فَأَدْفَعَهُ.

وَقُرِئَ: (فَتُذَكِّرَ) بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ، وَهُمَا لُغَتَانِ، وَ (فَتُذَاكِرَ).

وَقَرَأَ حَمْزَةُ: (إِنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا) عَلَى الشَّرْطِ، فَتُذَكِّرُ بِالرَّفْعِ وَالتَّشْدِيدِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾[3].

وَقُرِئَ: (أَنْ تُضَلَّ إِحْدَاهُمَا) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَالتَّأْنِيثِ، وَمِنْ بِدَعِ التَّفَاسِيرِ. (فَتُذَكِّرَ): فَتَجْعَلَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ذَكَرًا، يَعْنِي أَنَّهُمَا إِذَا اجْتَمَعَتَا كَانَتَا بِمَنْزِلَةِ الذَّكَرِ.

﴿إِذَا مَا دُعُوا﴾[4]: لِيُقِيمُوا الشَّهَادَةَ، وَقِيلَ: لِيُسْتَشْهَدُوا، وَقِيلَ لَهُمْ (شُهَدَاءُ) قَبْلَ التَّحَمُّلِ؛ تَنْزِيلًا لِمَا يُشَارِفُ مَنْزِلَةَ الْكَائِنِ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: كَانَ الرَّجُلُ يَطُوفُ [فِي] الْحِوَاءِ الْعَظِيمِ فِيهِ الْقَوْمُ فَلَا يَتْبَعُهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَنَزَلَتْ.

كُنِّيَ بِالسَّأَمِ عَنِ الْكَسَلِ، لِأَنَّ الْكَسَلَ صِفَةُ الْمُنَافِقِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: "لَا يَقُولُ الْمُؤْمِنُ كَسِلْتُ"، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ مَنْ كَثُرَتْ مُدَايَنَاتُهُ، فَاحْتَاجَ أَنْ يَكْتُبَ لِكُلِّ دَيْنٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ كِتَابًا، فَرُبَّمَا مَلَّ كَثْرَةَ الْكَتْبِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْمَائِدَة، الآية 95.

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَالضَّمِيرُ فِي ﴿تَكْتُبُوهُ﴾[1]: لِلدَّيْنِ أَوِ الْحَقِّ، ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾[2]: عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ الْحَقُّ مِنْ صِغَرٍ أَوْ كِبَرٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِلْكِتَابِ، وَأَنْ يَكْتُبُوهُ مُخْتَصَرًا أَوْ مُشْبَعًا لَا يُخِلُّوا بِكِتَابَتِهِ ﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾[3]: إِلَى وَقْتِهِ الَّذِي اتَّفَقَ الْغَرِيمَانِ عَلَى تَسْمِيَتِهِ.

﴿ذَلِكُمْ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى أَنْ تَكْتُبُوهُ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْمَصْدَرِ، أَيْ: ذَلِكُمُ الْكَتْبُ ﴿أَقْسَطُ﴾[4]: أَعْدَلُ مِنَ الْقِسْطِ، ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾[5]: وَأَعْوَنُ عَلَى إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ، ﴿وَأَدْنَى أَلا تَرْتَابُوا﴾[6]: وَأَقْرَبُ مِنِ انْتِفَاءِ الرَّيْبِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مِمَّ بُنِيَ أَفْعَلَا التَّفْضِيلِ، أَعْنِي: ﴿أَقْسَطُ﴾[7] وَ﴿أَقْوَمُ﴾[8]؟

قُلْتُ: يَجُوزُ عَلَى مَذْهَبِ سِيبَوَيْهِ أَنْ يَكُونَا مَبْنِيَّيْنِ مِنْ (أَقْسَطَ) وَ(أَقَامَ)، وَأَنْ يَكُونَ (أَقْسَطَ) مِنْ قَاسِطٍ عَلَى طَرِيقَةِ النَّسَبِ بِمَعْنَى ذِي قِسْطٍ، وَ(أَقْوَمَ) مِنْ قَوِيمٍ.

وَقُرِئَ: (وَلَا يَسْأَمُوا أَنْ يَكْتُبُوهُ) بِالْيَاءِ فِيهِمَا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى: ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾[9]، وَسَوَاءٌ أَكَانَتِ الْمُبَايَعَةُ بِدَيْنٍ أَوْبِعَيْنٍ فَالتِّجَارَةُ حَاضِرَةٌ؟ وَمَا مَعْنَى: إِدَارَتِهَا بَيْنَهُمْ؟

قُلْتُ: أُرِيدَ بِالتِّجَارَةِ مَا يُتَّجَرُ فِيهِ مِنَ الْأَبْدَالِ، وَمَعْنَى إِدَارَتِهَا بَيْنَهُمْ تَعَاطِيهِمْ إِيَّاهَا يَدًا بِيَدٍ، وَالْمَعْنَى: إِلَّا أَنْ تَتَبَايَعُوا بَيْعًا نَاجِزًا يَدًا بِيَدٍ فَلَا بَأْسَ أَنْ لَا تَكْتُبُوهُ، لِأَنَّهُ لَا يُتَوَهَّمُ فِيهِ مَا يُتَوَهَّمُ فِي التَّدَايُنِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[7] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[8] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .
[9] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَقُرِئَ: (تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ) بِالرَّفْعِ عَلَى كَانَ التَّامَّةِ، وَقِيلَ: هِيَ النَّاقِصَةُ عَلَى أَنَّ الِاسْمَ (تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ)، وَالْخَبَرَ ﴿تُدِيرُونَهَا﴾[1] وَبِالنَّصْبِ عَلَى إِلَّا أَنْ تَكُونَ التِّجَارَةُ تِجَارَةً حَاضِرَةً كَبَيْتِ الْكِتَابِ:

بَنِي أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بَلَاءَنَا إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ أَشْنَعَا؟

أَيْ: إِذَا كَانَ الْيَوْمُ يَوْمًا.

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾[2]: أَمْرٌ بِالْإِشْهَادِ عَلَى التَّبَايُعِ مُطْلَقًا، نَاجِزًا أَوْ كَالِئًا لِأَنَّهُ أَحْوَطُ وَأَبْعَدُ مِمَّا عَسَى [أَنْ] يَقَعَ مِنَ الِاخْتِلَافِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ هَذَا التَّبَايُعَ يَعْنِي التِّجَارَةَ الْحَاضِرَةَ، عَلَى أَنَّ الْإِشْهَادَ كَافٍ فِيهِ دُونَ الْكِتَابَةِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: إِنْ شَاءَ أَشْهَدَ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يُشْهِدْ.

وَعَنِ الضَّحَّاكِ: هِيَ عَزِيمَةٌ مِنَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى بَاقَةِ بَقْلٍ.

﴿وَلا يُضَارَّ﴾[3] يَحْتَمِلُ الْبِنَاءَ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ: قِرَاءَةُ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: (وَلَا يُضَارِرْ) بِالْإِظْهَارِ وَالْكَسْرِ، وَقِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: (وَلَا يُضَارَرْ) بِالْإِظْهَارِ وَالْفَتْحِ.

وَالْمَعْنَى: نُهِيَ الْكَاتِبُ وَالشَّهِيدُ عَنْ تَرْكِ الْإِجَابَةِ إِلَى مَا يُطْلَبُ مِنْهُمَا، وَعَنِ التَّحْرِيفِ وَالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، أَوِ النَّهْيُ عَنِ الضِّرَارِ بِهِمَا بِأَنْ يُعَجَّلَا عَنْ مُهِمٍّ، وَيُلَزَّا، أَوْ لَا يُعْطَى الْكَاتِبُ حَقَّهُ مِنَ الْجُعْلِ، أَوْ يَحْمِلُ الشَّهِيدُ مُؤْنَةَ مَجِيئِهِ مِنْ بَلَدٍ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: (وَلَا يُضَارِّ)، بِالْكَسْرِ.

﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾[4]: وَإِنْ تُضَارُّوا، ﴿فَإِنَّهُ﴾[5]: فَإِنَّ الضِّرَارَ ﴿فُسُوقٌ بِكُمْ﴾[6]: وَقِيلَ: وَإِنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا مِمَّا نُهِيتُمْ عَنْهُ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

﴿عَلَى سَفَرٍ﴾[1]: مُسَافِرِينَ، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأُبَيٌّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: (كِتَابًا)، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَرَأَيْتَ إِنْ وَجَدْتَ الْكَاتِبَ وَلَمْ تَجِدِ الصَّحِيفَةَ وَالدَّوَاةَ، وَقَرَأَ أَبُو الْعَالِيَةِ: (كُتُبًا)، وَقَرَأَ الْحَسَنُ: (كُتَّابًا)، جَمْعُ كَاتِبٍ.

﴿فَرِهَانٌ﴾[2]: فَالَّذِي يُسْتَوْثَقُ بِهِ رُهُنٌ، وَقُرِئَ: (فَرُهُنٌ) بِضَمِّ الْهَاءِ وَسُكُونِهَا، وَهُوَ جَمْعُ رَهْنٍ، كَسُقُفٍ وَسَقْفٍ، وَ(فَرُهَانٌ).

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ شُرِطَ السَّفَرُ فِي الِارْتِهَانِ وَلَا يَخْتَصُّ بِهِ سَفَرٌ دُونَ حَضَرٍ وَقَدْ رَهَنَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– دِرْعَهُ فِي غَيْرِ سَفَرٍ؟

قُلْتُ: لَيْسَ الْغَرَضُ تَجْوِيزُ الِارْتِهَانِ فِي السَّفَرِ خَاصَّةً، وَلَكِنَّ السَّفَرَ لَمَّا كَانَ مَظِنَّةً لِإِعْوَازِ الْكَتْبِ وَالْإِشْهَادِ أُمِرَ –عَلَى سَبِيلِ الْإِرْشَادِ إِلَى حِفْظِ الْمَالِ– مَنْ كَانَ عَلَى سَفَرٍ بِأَنْ يُقِيمَ التَّوَثُّقَ بِالِارْتِهَانِ مَقَامَ التَّوَثُّقِ بِالْكَتْبِ وَالْإِشْهَادِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ وَالضَّحَّاكِ: أَنَّهُمَا لَمْ يُجَوِّزَاهُ إِلَّا فِي حَالِ السَّفَرِ أَخْذًا بِظَاهِرِ الْآيَةِ.

وَأَمَّا الْقَبْضُ فَلَا بُدَّ مِن اعْتِبَارِهِ، وَعِنْدَ مَالِكٍ يَصِحُّ الِارْتِهَانُ بِالْإِيجَابِ وَالْقَبُولِ بِدُونِ الْقَبْضِ

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾[3]: فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُ الدَّائِنِينَ بَعْضَ الْمَدْيُونِينَ لِحُسْنِ ظَنِّهِ بِهِ، وَقَرَأَ أُبَيٌّ: (فَإِنْ أُومِنَ)، أَيْ: آمَنَهُ النَّاسُ وَوَصَفُوا الْمَدْيُونَ بِالْأَمَانَةِ وَالْوَفَاءِ وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنِ الِارْتِهَانِ مِنْ مِثْلِهِ .

﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾[4]: حَثُّ الْمَدْيُونِ عَلَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ ظَنِّ الدَّائِنِ بِهِ وَأَمْنِهِ مِنْهُ وَائْتِمَانِهِ لَهُ، وَأَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهِ الْحَقَّ الَّذِي ائْتَمَنَهُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرْتَهِنْ مِنْهُ، وَسُمِّيَ الدَّيْنُ أَمَانَةً وَهُوَ مَضْمُونٌ لِائْتِمَانِهِ عَلَيْهِ بِتَرْكِ الِارْتِهَانِ مِنْهُ، وَالْقِرَاءَةُ أَنْ تَنْطِقَ بِهَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ بَعْدَ الذَّالِ أَوْ يَاءٍ، فَتَقُولُ: (الَّذِي اؤْتُمِنَ) أَوِ (الَّذِي تُمِنَ).

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

وَعَنْ عَاصِمٍ أَنَّهُ قَرَأَ: (الَّذِي اتُّمِنَ)، بِإِدْغَامِ الْيَاءِ فِي التَّاءِ؛ قِيَاسًا عَلَى اتَّسَرَ فِي الِافْتِعَالِ مِنَ الْيُسْرِ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ، لِأَنَّ الْيَاءَ مُنْقَلِبَةٌ عَنِ الْهَمْزَةِ، فَهِيَ فِي حُكْمِ الْهَمْزَةِ، وَ"اتَّزَرَ" عَامِّيٌّ، وَكَذَلِكَ رَيَّا فِي رُؤْيَا .

﴿آثِمٌ﴾[1]: خَبَرُ إِنَّ، وَ﴿قَلْبُهُ﴾[2]: رُفِعَ بِـ ﴿آثِمٌ﴾[3] عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَإِنَّهُ يَأْثَمُ قَلْبُهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرْتَفِعَ قَلْبُهُ بِالِابْتِدَاءِ، وَآثِمٌ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ إِنَّ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا اقْتُصِرَ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ﴾[4]؟ وَمَا فَائِدَةُ ذِكْرِ الْقَلْبِ –وَالْجُمْلَةُ هِيَ الْآثِمَةُ لَا الْقَلْبُ وَحْدَهُ–؟

قُلْتُ: كِتْمَانُ الشَّهَادَةِ: هُوَ أَنْ يُضْمِرَهَا وَلَا يَتَكَلَّمَ بِهَا، فَلَمَّا كَانَ إِثْمًا مُقْتَرِفًا بِالْقَلْبِ أُسْنِدَ إِلَيْهِ، لِأَنَّ إِسْنَادَ الْفِعْلِ إِلَى الْجَارِحَةِ الَّتِي يُعْمَلُ بِهَا أَبْلَغُ.

أَلَا تَرَاكَ تَقُولُ إِذَا أَرَدْتَ التَّوْكِيدَ: هَذَا مِمَّا أَبْصَرَتْهُ عَيْنِي وَمِمَّا سَمِعَتْهُ أُذُنِي، وَمِمَّا عَرَفَهُ قَلْبِي؟ وَلِأَنَّ الْقَلْبَ هُوَ رَئِيسُ الْأَعْضَاءِ، وَالْمُضْغَةُ الَّتِي إِنْ صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: فَقَدْ تَمَكَّنَ الْإِثْمُ فِي أَصْلِ نَفْسِهِ، وَمَلَكَ أَشْرَفَ مَكَانٍ فِيهِ، وَلِئَلَّا يُظَنَّ أَنَّ كِتْمَانَ الشَّهَادَةِ مِنَ الْآثَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِاللِّسَانِ فَقَطْ، وَلِيُعْلَمَ أَنَّ الْقَلْبَ أَصْلُ مُتَعَلَّقِهِ وَمَعْدِنُ اقْتِرَافِهِ، وَاللِّسَانَ تُرْجُمَانٌ عَنْهُ، وَلِأَنَّ أَفْعَالَ الْقُلُوبِ أَعْظَمُ مِنْ أَفْعَالِ سَائِرِ الْجَوَارِحِ وَهِيَ لَهَا كَالْأُصُولِ الَّتِي تَتَشَعَّبُ مِنْهَا.

أَلَا تَرَى أَنَّ أَصْلَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ الْإِيمَانُ وَالْكُفْرُ، وَهُمَا مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ؟ فَإِذَا جُعِلَ كِتْمَانُ الشَّهَادَةِ مِنْ آثَامِ الْقُلُوبِ، فَقَدْ شُهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ مِنْ مَعَاظِمِ الذُّنُوبِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ لِقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾[5]، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَكِتْمَانُ الشَّهَادَةِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[5] سورة الْمَائِدَةِ، الآية 72.

وَقُرِئَ: (قَلْبَهُ) بِالنَّصْبِ، كَقَوْلِهِ: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[1]، وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عَبْلَةَ: (أَثَّمَ قَلْبَهُ)، أَيْ: جَعَلَهُ آثِمًا.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]

﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾[3]، يَعْنِي مِنَ السُّوءِ، ﴿يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[4]: لِمَنِ اسْتَوْجَبَ الْمَغْفِرَةَ بِالتَّوْبَةِ مِمَّا أَظْهَرَ مِنْهُ أَوْ أَضْمَرَهُ، ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾[5]: مِمَّنِ اسْتَوْجَبَ الْعُقُوبَةَ بِالْإِصْرَارِ، وَلَا يَدْخُلُ فِيمَا يُخْفِيهِ الْإِنْسَانُ الْوَسَاوِسُ وَحَدِيثُ النَّفْسِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي وُسْعِهِ الْخُلُوُّ مِنْهُ، وَلَكِنْ مَا اعْتَقَدَهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– أَنَّهُ تَلَاهَا، فَقَالَ: لَئِنْ آخَذَنَا اللَّهُ بِهَذَا لَنَهْلَكَنَّ، ثُمَّ بَكَى حَتَّى سُمِعَ نَشِيجُهُ، فَذُكِرَ لِابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَدْ وَجَدَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا مِثْلَ مَا وَجَدَ، فَنَزَلَ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ﴾[6].

وَقُرِئَ: (فَيَغْفِرْ) وَ(يُعَذِّبْ)، مَجْزُومَيْنِ عَطْفًا عَلَى جَوَابِ الشَّرْطِ، وَمَرْفُوعَيْنِ عَلَى فَهُوَ يَغْفِرُ ﴿وَيُعَذِّبُ﴾[7].

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَقْرَأُ الْجَازِمُ؟

قُلْتُ: يُظْهِرُ الرَّاءَ وَيُدْغِمُ الْبَاءَ، وَمُدْغِمُ الرَّاءِ فِي اللَّامِ لَاحِنٌ مُخْطِئٌ خَطَأً فَاحِشًا، وَرَاوِيهِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو مُخْطِئٌ مَرَّتَيْنِ، لِأَنَّهُ يَلْحَنُ وَيَنْسُبُ إِلَى أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا يُؤْذِنُ

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية 130.
[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .
[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .

بِجَهْلٍ عَظِيمٍ، وَالسَّبَبُ فِي نَحْوِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ قِلَّةُ ضَبْطِ الرُّوَاةِ، وَالسَّبَبُ فِي قِلَّةِ الضَّبْطِ قِلَّةُ الدِّرَايَةِ، وَلَا يَضْبِطُ نَحْوَ هَذَا إِلَّا أَهَلُ النَّحْوِ .

وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: (يَغْفِرْ) بِغَيْرِ فَاءٍ مَجْزُومًا عَلَى الْبَدَلِ مِنْ ﴿يُحَاسِبْكُمْ﴾[1] كَقَوْلِهِ:

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدْ حَطَبًا جَزْلًا وَنَارًا تَأَجَّجَا

وَمَعْنَى هَذَا الْبَدَلِ التَّفْصِيلُ لِجُمْلَةِ الْحِسَابِ، لِأَنَّ التَّفْصِيلَ أَوْضَحُ مِنَ الْمَفْصَّلِ، فَهُوَ جَارٍ مَجْرَى بَدَلِ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ أَوْ بَدَلِ الِاشْتِمَالِ، كَقَوْلِكَ: ضَرَبْتُ زَيْدًا رَأْسَهُ، وَأُحِبُّ زَيْدًا عَقْلَهُ، وَهَذَا الْبَدَلُ وَاقِعٌ فِي الْأَفْعَالِ وُقُوعَهُ فِي الْأَسْمَاءِ لِحَاجَةِ الْقَبِيلَيْنِ إِلَى الْبَيَانِ.

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[2]

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[3]: إِنْ عُطِفَ عَلَى الرَّسُولِ كَانَ الضَّمِيرُ –الَّذِي التَّنْوِينُ نَائِبٌ عَنْهُ فِي (كُلٌّ)– رَاجِعًا إِلَى الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ، أَيْ: كُلُّهُمْ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ مِنَ الْمَذْكُورِينَ، وَوُقِفَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ مُبْتَدَأً كَانَ الضَّمِيرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَوُحِّدَ ضَمِيرُ ﴿كُلٌّ﴾[4] فِي ﴿آمَنَ﴾[5] آمَنَ عَلَى مَعْنَى: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ آمَنَ، وَكَانَ يَجُوزُ أَنْ يُجْمَعَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[6].

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (وَكِتَابِهِ) يُرِيدُ الْقُرْآنَ أَوِ الْجِنْسَ، وَعَنْهُ: الْكِتَابُ أَكْثَرُ مِنَ الْكُتُبِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَكُونُ الْوَاحِدُ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمْعِ؟

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة النَّمْل، الآية 87.

قُلْتُ: لِأَنَّهُ إِذَا أُرِيدَ بِالْوَاحِدِ الْجِنْسُ –وَالْجِنْسِيَّةُ قَائِمَةٌ فِي وِحْدَانِ الْجِنْسِ كُلِّهَا– لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ، فَأَمَّا الْجَمْعُ فَلَا يَدْخُلُ تَحْتَهُ إِلَّا مَا فِيهِ الْجِنْسِيَّةُ مِنَ الْجُمُوعِ.

﴿لا نُفَرِّقُ﴾[1]: يَقُولُونَ: لَا نُفَرِّقُ، وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو: (يُفَرَّقُ) بِالْيَاءِ، عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ لِـ ﴿كُلٌّ﴾[2] وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: (لَا يُفَرِّقُونَ)، و﴿أَحَدٍ﴾[3] فِي مَعْنَى الْجَمْعِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[4]، وَلِذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْهِ بَيْنَ.

﴿سَمِعْنَا﴾[5]: أَجَبْنَا ﴿غُفْرَانَكَ﴾[6]: مَنْصُوبٌ بِإِضْمَارِ فِعْلِهِ، يُقَالُ: غُفْرَانَكَ لَا كُفْرَانَكَ، أَيْ: نَسْتَغْفِرُكَ وَلَا نَكْفُرُكَ، وَقُرِئَ: (وَكُتُبِهِ وَرُسْلِهِ) بِالسُّكُونِ.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[7]

الْوُسْعُ: مَا يَسَعُ الْإِنْسَانَ وَلَا يُضَيِّقُ عَلَيْهِ وَلَا يُحَرَّجُ فِيهِ، أَيْ: لَا يُكَلِّفُهَا إِلَّا مَا يَتَّسِعُ فِيهِ طَوْقُهُ وَيَتَيَسَّرُ عَلَيْهِ دُونَ مَدَى الطَّاقَةِ وَالْمَجْهُودِ، وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ عَدْلِهِ وَرَحْمَتِهِ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾[8] [البَقَرَة: 185] لِأَنَّهُ كَانَ فِي إِمْكَانِ الْإِنْسَانِ وَطَاقَتِهِ أَنْ يُصَلِّيَ أَكْثَرَ مِنَ الْخَمْسِ، وَيَصُومَ أَكْثَرَ مِنَ الشَّهْرِ، وَيَحُجَّ أَكْثَرَ مِنْ حَجَّةٍ، وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عَبْلَةَ: (وَسْعَهَا) بِالْفَتْحِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[4] سورة الْحَاقَّة، الآية 47.

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[7] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[8] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[1]: يَنْفَعُهَا مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ وَيَضُرُّهَا مَا اكْتَسَبَتْ مِنْ شَرٍّ، لَا يُؤَاخَذُ بِذَنْبِهَا غَيْرُهَا وَلَا يُثَابُ غَيْرُهَا بِطَاعَتِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ خُصَّ الْخَيْرُ بِالْكَسْبِ وَالشَّرُّ بِالِاكْتِسَابِ؟

قُلْتُ: فِي الِاكْتِسَابِ اعْتِمَالٌ، فَلَمَّا كَانَ الشَّرُّ مِمَّا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ –وَهِيَ مُنْجَذِبَةٌ إِلَيْهِ وَأَمَّارَةٌ بِهِ– كَانَتْ فِي تَحْصِيلِهِ أَعْمَلَ وَأَجَدَّ، فَجُعِلَتْ لِذَلِكَ مُكْتَسِبَةً فِيهِ، وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ فِي بَابِ الْخَيْرِ وُصِفَتْ بِمَا لَا دَلَالَةَ فِيهِ عَلَى الِاعْتِمَالِ، أَيْ: لَا تُؤَاخِذْنَا بِالنِّسْيَانِ أَوِ الْخَطَأِ إِنَّ فَرَطَ مِنَّا.

فَإِنْ قُلْتَ: النِّسْيَانُ وَالْخَطَأُ مُتَجَاوَزٌ عَنْهُمَا، فَمَا مَعْنَى الدُّعَاءِ بِتَرْكِ الْمُؤَاخَذَةِ بِهِمَا؟

قُلْتُ: ذُكِرَ النِّسْيَانُ وَالْخَطَأُ وَالْمُرَادُ بِهِمَا مَا هُمَا مُسَبَّبَانِ عَنْهُ مِنَ التَّفْرِيطِ وَالْإِغْفَالِ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ﴾[2]، وَالشَّيْطَانُ لَا يَقْدِرُ عَلَى فِعْلِ النِّسْيَانِ، وَإِنَّمَا يُوَسْوِسُ فَتَكُونُ وَسْوَسَتُهُ سَبَبًا لِلتَّفْرِيطِ الَّذِي مِنْهُ النِّسْيَانُ، وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا مُتَّقِينَ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، فَمَا كَانَتْ تُفْرُطُ مِنْهُمْ فُرُطَةٌ إِلَّا عَلَى وَجْهِ النِّسْيَانِ وَالْخَطَأِ، فَكَانَ وَصْفُهُمْ بِالدُّعَاءِ بِذَلِكَ إِيذَانًا بِبَرَاءَةِ سَاحَتِهِمْ عَمَّا يُؤَاخَذُونَ بِهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنْ كَانَ النِّسْيَانُ وَالْخَطَأُ مِمَّا يُؤَاخَذُ بِهِ، فَمَا فِيهِمْ سَبَبُ مُؤَاخَذَةٍ إِلَّا الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَدْعُوَ الْإِنْسَانُ بِمَا عَلِمَ أَنَّهُ حَاصِلٌ لَهُ قَبْلَ الدُّعَاءِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ لِاسْتِدَامَتِهِ وَالِاعْتِدَادِ بِالنِّعْمَةِ فِيهِ.

وَالْإِصْرُ: الْعِبْءُ الَّذِي يَأْصِرُ حَامِلَهُ، أَيْ: يَحْبِسُهُ مَكَانَهُ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ لِثِقَلِهِ، اسْتُعِيرَ لِلتَّكْلِيفِ الشَّاقِّ، مِنْ نَحْوِ قَتْلِ الْأَنْفُسِ، وَقَطْعِ مَوْضِعِ النَّجَاسَةِ مِنَ الْجِلْدِ وَالثَّوْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَقُرِئَ: (آصَارًا) عَلَى الْجَمْعِ، وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: (وَلَا تُحَمِّلْ عَلَيْنَا) بِالتَّشْدِيدِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ هَذِهِ التَّشْدِيدَةِ وَالَّتِي فِي: ﴿وَلا تُحَمِّلْنَا﴾[3]؟

قُلْتُ: هَذِهِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي (حَمَلَ) عَلَيْهِ، وَتِلْكَ لِنَقْلِ (حَمَّلَهُ) مِنْ مَفْعُولٍ وَاحِدٍ إِلَى مَفْعُولَيْنِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية .

[2] سورة الْكَهْف، الآية 63.

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية .

﴿وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[1]: مِنَ الْعُقُوبَاتِ النَّازِلَةِ بِمَنْ قَبْلَنَا، طَلَبُوا الْإِعْفَاءَ عَنِ التَّكْلِيفَاتِ الشَّاقَّةِ الَّتِي كُلِّفَهَا مَنْ قَبْلَهُمْ، ثُمَّ عَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعُقُوبَاتِ عَلَى تَفْرِيطِهِمْ فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ الشَّاقُّ الَّذِي لَا يَكَادُ يُسْتَطَاعُ مِنَ التَّكَالِيفِ. وَهَذَا تَكْرِيرٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾[2].

﴿مَوْلَانَا﴾[3]: سَيِّدُنَا وَنَحْنُ عَبِيدُكَ، أَوْ نَاصِرُنَا، أَوْ مُتَوَلِّي أُمُورِنَا، ﴿فَانْصُرْنَا﴾[4]: فَمِنْ حَقِّ الْمَوْلَى أَنْ يَنْصُرَ عَبِيدَهُ، أَوْ فَإِنَّ ذَلِكَ عَادَتُكَ، أَوْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِنَا الَّتِي عَلَيْكَ تَوَلِّيهَا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا دَعَا بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ، قِيلَ لَهُ عِنْدَ كُلِّ كَلِمَةٍ: قَدْ فَعَلْتُ".

وَعَنْهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: "مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ".

وَعَنْهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامِ-: "أُوتِيتُ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ لَمْ يُؤْتَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي".

وَعَنْهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: "أَنْزَلَ اللَّهُ آيَتَيْنِ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ كَتَبَهُمَا الرَّحْمَنُ بِيَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ بِأَلْفَيْ سَنَةٍ، مَنْ قَرَأَهُمَا بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ أَجْزَأَتَاهُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ".

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: قَرَأْتُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ أَوْ قَرَأْتُ الْبَقَرَةَ؟

قُلْتُ: لَا بَأْسَ بِذَلِكَ، وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ" و"خَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ" وَ"خَوَاتِيمُ الْبَقَرَةِ".

وَعَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "خَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ".

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ رَمَى الْجَمْرَةَ ثُمَّ قَالَ: "مِنْ هَهُنَا - وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ- رَمَى الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ".

---

[1] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةِ، الآية .

وَلَا فَرْقَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِكَ: سُورَةُ الزُّخْرُفِ، وَسُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ، وَسُورَةُ الْمُجَادِلَةِ، وَإِذَا قِيلَ: قَرَأْتُ الْبَقَرَةَ لَمْ يُشْكَلْ أَنَّ الْمُرَادَ سُورَةُ الْبَقَرَةِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[1].

وَعَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ، وَقَالَ: يُقَالُ: قَرَأْتُ السُّورَةَ الَّتِي تُذْكَرُ فِيهَا الْبَقَرَةُ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "السُّورَةُ الَّتِي تُذْكَرُ فِيهَا الْبَقَرَةُ فُسْطَاطُ الْقُرْآنِ فَتَعَلَّمُوهَا؛ فَإِنَّ تَعَلُّمَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَنْ تَسْتَطِيعَهَا الْبَطَلَةُ. قِيلَ: وَمَا الْبَطَلَةُ؟ قَالَ: السَّحَرَةُ".

---

[1] سورة يُوسُفَ، الآية 82.

محتويات الكتاب

مخطوطات الكتاب

كتاب تفسير الكشّاف

الجزء الثّاني **52 – 19**

سُورَةُ الْبَقَرَةِ		
﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾		
﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾		
﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾		
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾		
﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾		
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ		

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾		
﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾		
﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾		
﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مِنَ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولُ مِمَّنْ		

يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾		
﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾		
﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾		
﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي		

وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾		
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾		
﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾		
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنَ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾		
﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾		
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾		
﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾		
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنَ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ		

مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنَ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾		
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهِ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾		
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾		
﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾		
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾		
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلا		

يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾		
﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾		
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ		

﴿يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾		
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنَ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾		
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾		
﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطُ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامِ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهُ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾		
﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾		
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرُّ مِنْ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾		
﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهِ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ		

مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنِ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾		
﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامُ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾		
﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهِ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾		
﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيِ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنَ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنَ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجَّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجَّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾		
﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجُّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجُّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرِ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾		
﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فَإِذَا		

قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مَنْ خَلاقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾		
﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾		
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾		
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾		
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾		
﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهِ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾		
﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مِنَ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾		

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسُ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مِنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾		
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾		
﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾		
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾		
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٍ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾		

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾		
﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾		
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾		
﴿وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾		
﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنْ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ		

وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾		
﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلا أَنْ يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودَ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودَ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾		
﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾		
﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلا وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالا عَنْ		

تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾		
﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلا أَنْ تَقُولُوا قَوْلا مَعْرُوفًا وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾		
﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾		
﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾		
﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾		

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾		
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهِ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾		
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾		
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾		
﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مِنَ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾		
﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾		
﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ		

وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾		
﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهِ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهِ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾		
﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾		
﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مَنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتِ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾		
﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مَنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾		
﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾		

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾		
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾		
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾		
﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾		
﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾		
﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ		

		وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾
		﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
		﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾
		﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾
		﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾
		﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ﴾
		﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾
		﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مَنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مَنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾		
﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنَ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهِ بِهِ عَلِيمٌ﴾		
﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾		
﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهُ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾		
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ		

وَلْيَتَّقِ اللَّهُ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنْ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءِ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهُ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلا تَرْتَابُوا إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهُ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾		
﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾		
﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾		
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾		

محتويات الكتاب 61 – 64

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع